

مرآة الحرفين

لـ

الرضا المجازية والنج وسماعة الدنيبة

محددة

بمئات الصور الثمينة

تأليف ورسوم

الذواء

أبوالهيثم محمد بن أبي شيبة

بمئات الصور الثمينة والنج وسماعة الدنيبة

الجزء الأول

الطبعة الأولى

طبعة دار الكتب المصرية القاهرة

١٩٢٤

مكتبة الخزانة العامة

عند ما اطلع على الكتاب حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا
محي مجد مصر ورافع لواء نهضتها تفضل فبعث الى المؤلف كتابه الذى هو آية البيان
ونقطة من سحر البلاغة .

حضرة صاحب السعادة اللواء ابراهيم رفعت باشا

تسلمت كتابكم "مرآة الحرمين" الذى تفضلتم باهداء نسخة
منه الىّ، فأشكركم على إهدائه أوفر الشكر، وأهنيكم على ما وفقتم
اليه من وضعه فى موضوع جليل القدر عظيم الفائدة، ومن تحرير
مسائله وتحقيق مباحثه فى عبارات مهذبة ومع رسوم متقنة
فى شكل جميل وطبع حسن، حتى جاء كتابا فيه هدى للسائلين،
وغنى للباحثين، ومسرة للناظرين، جزاكم الله عن جميع هؤلاء
أحسن الجزاء والسلام ما

سعد زغلول

مسجد وصيف فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦

مِرَاةُ الْحَرْبِ بَيْنَ

لَهُ

الرَّحَدَاتِ الْحَازِمَةِ وَالْمُجُوعَةِ الدَّيْنِيَّةِ

مُحَمَّدَ

بَنَاتِ الصُّورِ السَّيِّئَةِ

تَأْلِيفُ وَرَسْمُ

الْمَلُوكِ

أَبْنِ الْهَيْمِ زُفَعَتِ الْبَاشِيَا

قَوْمُنَا حَرَسَ الْحَرَّافِ الْبَاشِيَا وَأَمِيرِ الْحَرْبِ الْبَاشِيَا وَبَنَاتِ الْبَاشِيَا وَبَنَاتِ الْبَاشِيَا

(حقوق الطبع والرسم محفوظة للؤلئف)

الْحَرْبِ الْأَوَّلِ

(الطبعة الأولى)

الكتاب من التبريد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

(أنظر الفهرس المـجـأئـى فى آخر الجزء)

مرآة الحرمين

أو

الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

الجزء الأول

محتويات الجزء الأول

صحيحة

- ٣٦ التراويح بمكة
- ٤٠ غسل الكعبة
- ٤١ فتح الكعبة
- ٤٢ السير الى عرفات - وصف الطريق
- ٤٤ جبل عرفات وما يميده به الفسيح
- ٤٥ الوقوف بعرفات
- ٤٧ الافاضة الى المزدلفة
- السير الى منى - رمى جرة العقبة - نحر الهدى - السير الى مكة لطواف الافاضة والعودة الى منى - رمى الجمار الثلاث
- ٤٨ الاحتفال بتلاوة فرمان السلطان
- ٤٩ التهنئة بالعيد في منى
- ٥٢ الرياض بمنى - ذبائح منى وسوقها
- ٥٣ الرجوع من منى الى مكة
- ٥٤ الاحتفال بفتح المسارحامة السلطانية
- ٥٦ زيارة نازحراء "جبل المور"
- ٦٠ زيارة عارف الدنى اختفى فيه النبى (ص)
- ٦٣ عادات المكئين بعد موسم الحج
- ٦٤ الشريف عون الرفوق وساطته بمكة
- ٦٥ أجر الجمال والمكوس
- ٦٩ تاريخ المكوس
- ٧٠ ضيافات بمكة
- ٧١ إغاثة السكة الحديدية الحجازية

صحيحة

- ١ مقدمة الكتاب
- الرحلة الأولى سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م
- الأعمال التمهيدية قبل سفر المحل -
- ٥ ركب المحمل
- صرة المحمل - الكسوة ووصفها -
- ٦ نص الاشهاد الشرعى بتسليم الكسوة
- ٩ الاحتمال بالكسوة
- ١٢ سمر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة
- ١٥ الإحرام تحاه رابع
- وصول المحمل الى حدة - نقل الأمتعة من الباهرة الى ساحل حدة - عوائد الحجر الصحى وإحازة السفر
- ١٦ نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر
- ١٧ الإقامة فى حدة
- ١٩ تبادل الزيارات بجدة - معارفا بجدة
- ٢٠ ما يلزم الحاج بجدة - وصف جدة بشكلها الحاضر - ترجمة الطبيب محمد حسين اودى نائب قنصل إنجلترا للرايا الهنود
- ٢١ سكان جدة - تجارتها - ابتداء اخاذ جده نمرالمكة
- ٢٣ الدهر من حدة الى مكة - وصف الطريق
- ٢٤ الدخول الى مكة - ثبة كداء - المعلاة وما بها من مقابر السلف
- ٣٠ طواف القدوم
- ٣٣

صحيفة

منحرا الهدى	١٢٧
الانتفاع بالهدى	١٢٨
جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب	
الأربعة	١٢٩
حكم المناسك وأسرارها	١٣١
حكمة استلام الحجر الأسود	١٣٢
حكمة رمي الجمار	١٣٦
حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا	
والمروة	١٣٩
حكمة ذبائح النسك	١٤٠
جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به	١٤١

فصل جغرافي موجز

في وصف بلاد العرب

حدودها - شواطئها	١٤٣
أهمية موقعها - الجو والنبات والحيوان	١٤٤
الوصف الطبوغرافي - بلاد العرب المنصلة	
بالبحر - المحازر	١٤٥
عسير - اليمن - حضرموت	١٤٦
مهرة - عمان - الاحساء - بلاد	
العرب الداخلية - البادية	١٤٧
نجد - الدهناء - صيد - التقسيم	
السياسي الحاضر	١٤٨

فصل تاريخي موجز في حال العرب

قبل الاسلام وقيام الدولة الاسلامية	
واتنشار الدين الاسلامي - الدول	
العربية قبل الاسلام	١٤٩
قيام الدولة الاسلامية وامتداد سلطانها	
نشأة محمد عليه الصلاة والسلام	١٥٥

صحيفة

حبس الحجاج بمكة	٧٢
مرتبات الأشراف والعربان والأهالي	
وطريقة صرفها	٧٣
القسم الديني	
حجة الوداع	٧٥
فقه المذاهب في الحج - الجنس الأول -	
معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى	
من يجب ومتى يجب - وجوب	
الحج وشروطه	٩٧
متى يجب الحج - حكم العمرة - الجنس	
الثاني في أفعال هذه العبادة نوعا نوعا	
والترتبة المشترطة فيها	٩٩
الإحرام وميقاته	١٠٠
محظورات الإحرام	١٠١
أنواع الإحرام	١٠٣
صفة الإحرام	١٠٥
الطواف بالبيت	١٠٧
السعي بين الصفا والمروة	١٠٩
الخروج الى عرفة	١١٠
الوقوف بعرفة	١١١
أفعال المزدلفة - رمي الجمار	١١٣
الجنس الثالث في الأحكام - الاحصار	١١٥
أحكام جزاء الصيد والنبات	١٦٦
حكم إتيان المحظورات في الإحرام	١١٩
كفارة المنتمع - مفسدات الحج ومفوتاته	١٢١
الكفارات المسكوت عنها	١٢٤
القول في الهدى - حكمه	١٢٥
جنسه - سنه - كيفية بسوقه - من	
أين يساق	١٢٦

صفحة	
١٧٧	مكة المكرمة
١٧٨	أسمائها - موقعا - جبالها - شوارعها -
١٨٢	حاراتها - أقسامها الهامة
١٨٤	مبانيها
١٨٥	مستشفى الغرباء
١٨٦	التكية المصرية
١٨٩	مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وداره
١٩٣	دار خديجة بنت خويلد
١٩٥	دار الأرقم
١٩٧	بستان الشريف عون الرفيق باش
٢٠٣	تأثير السيول في مكة وتاريخها
٢٠٦	سكان مكة
٢٠٧	جوق مكة - تجارتها
٢٢٤	تقودها - مباحها - عين زبيدة
٢٢٤	الحرم - المواقيت - الأعلام
	المسجد الحرام
٢٢٧	وصف عام للمسجد
٢٢٩	أبوابه
٢٣٤	مآذنه
٢٣٥	توسعته وتاريخ ذلك
٢٤٢	مقام إبراهيم
٢٤٨	مواقف الأئمة
٢٥١	كيفية الصلاة فيها
٢٥٢	المنبر
٢٥٥	بئر زمزم
٢٥٩	سقاية العباس - الماشى الأربع - المراول
٢٦٠	القناديل - الموظفون
٢٦١	أعمدة المطاف - محل النساء

صفحة	
١٥٦	فتح بلاد العرب - غزوة بدر
١٥٧	غزوة أحد - غزوة الخندق - صلح
١٥٨	الحديبية
١٥٩	كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى
١٦٠	المقوقس
١٦١	فتح خيبر - فتح مكة
١٦٢	غزوة حنين - غزوة تبوك - حجة
١٦٣	الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام
١٦٤	انتشار الدين الاسلامي - الحرب بين
١٦٥	العرب وبين الروم والفرس
١٦٦	فتح الشام - واقعة اليرموك
١٦٧	فتح القدس - فتح مصر والنوبة
١٦٨	زحف عمرو على مصر
١٦٩	واقعة عين شمس - أخذ حصن بابلون
١٧٠	فتح الاسكندرية
١٧١	فتح بلاد المغرب - فتح الأندلس
١٧٢	قيام البحرية الاسلامية وفتح أكبر جزائر
١٧٣	البحر الابيض المتوسط
١٧٤	فتح العراق - واقعة القادسية
١٧٥	فتح فارس - فتح أواسط آسيا ودخول
١٧٦	الاسلام فيها
١٧٧	فتح الهند وانتشار الاسلام فيها
١٧٨	دخول الاسلام في جنوب أوروبا الشرق
١٧٩	نمو الدولة التركية
١٨٠	الأقطار التي دخلها الاسلام بمجرد الدعوة
١٨١	ومقدار انتشار الاسلام في الوقت
١٨٢	الحاضر - الصحراء الكبرى
١٨٣	السودان - غرب افريقية وشرقها
١٨٤	الروسيا
١٨٥	الصين - ارخبيل الملايو

صحيفة

حكم البناء بمكى - الحصيات بمكى -

المزدلفة ... ٣٣١

عرفة - ميدانها وجبالها - عرفة موقف ... ٣٣٥

مسجد نَمرة ... ٣٣٦

مسجد الصخرات - سوق عرفة -

مناظر الحجاج في عرفات ... ٣٣٧

الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر

الحج فيه ... ٣٣٨

التنعيم ومساجد عائشة ... ٣٤١

الطائف ... ٣٤٤

أمرء مكة ... ٣٥٤

جدول المسافات بين مكة وأمّهات المدن

الاسلامية ... ٣٦٧

الاحتفال بسفر المحمل من مكة ... ٣٦٩

السفر من مكة الى المدينة من الطريق

الشرق ... ٣٦٩

دخول المدينة المنورة ... ٣٨٣

وليمة المحافظ - الأحتفال بإدخال المحمل

الى المسجد النبوى ... ٣٨٤

زيارة شهداء أحد - غزوة أحد ... ٣٨٥

مسجد سيدنا حمزة بن عبد المطلب ... ٣٩٠

زيارة مسجد قباء ... ٣٩٤

إخراج المحمل من المسجد النبوى وزيارته

محافظ المدينة لنا ... ٣٩٩

سلطان مكة والشحر ... ٤٠٠

المدينة المنورة ... ٤٠٧

مساجد المدينة - مسجد القبليتين ... ٤١٤

مسجد الفتح ... ٤١٦

مسجد الأجابه - مسجد الراية ... ٤١٧

صحيفة

الكعبة المشرفة

استأواها ... ٢٦٢

وصف الكعبة الآن ومقاسها ... ٢٦٣

الخطيم ... ٢٦٦

الملزم - المعجن ... ٢٦٧

بناء الكعبة وعمارتها ... ٢٦٨

الميزاب وتاريخه وما كتب فيه ... ٢٧٥

باب الكعبة ... ٢٧٦

محلّة الكعبة ... ٢٧٧

معاليق الكعبة وما أهدى اليها من الخلق ... ٢٧٨

كسوة الكعبة ... ٢٨١

صورة وقفية الكسوة سنة ٩٤٧ ... ٢٨٥

تفصيل أجزاء كسوة الكعبة ... ٢٩٢

سدانة الكعبة ومفتاحها ... ٢٩٨

تطيب الكعبة ... ٣٠٠

صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة ... ٣٠٠

الحجر الأسود ... ٣٠١

الخطيم والحجر ... ٣٠٥

الحج في الجاهلية وما يتبعه ... ٣٠٨

الصفاء والمروة ... ٣٢٠

منى - مسجد اخيف ... ٣٢٢

مسجد الكوثر ... ٣٢٥

مسجد الكبش ... ٣٢٦

مسجد البيعة ... ٣٢٧

مسجد منى - الجمار ... ٣٢٨

المنحدر ... ٣٢٩

المفجر ... ٣٣٠

منى موطن توحيد ... ٣٣٠

صحيفة

- ٤٦٠ ... تاريخ المسجد النبوى
 ٤٦٨ ... محاريب المسجد النبوى
 ٤٧١ ... المنبر النبوى
 ٤٧٢ حجر الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصورة
 ٤٧٦ أبواب المسجد
 ٤٧٨ مآذن المسجد - تيجير المسجد
 ٤٨٠ آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم
 ٤٨١ زيارة القبور
 ٤٨٢ السفر من المدينة فى طريق الوجه
 ٤٩١ السفر من الوجه الى الطور
 ٤٩٢ السفر من الطور الى السويس
 ٤٩٣ السفر من السويس الى القاهرة
 جدول خط السير من مصر الى الجحاز ثم
 الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩
 ٤٩٩ ختام الرحلة الأولى

صحيفة

- ٤١٨ مسجد السقيا - مسجد الفضيخ
 ٤١٩ مسجد بنى قريظة - مسجد بنى ظفر
 مسجد أبى بن كعب - مسجد المائدة
 مصلى العيد المعروف الآن بمسجد العامة
 ٤٢٠ مكتبات المدينة
 ٤٢٢ تكايا المدينة
 ٤٢٤ مقابر المدينة - البقيع
 ٤٢٥ أراضى المدينة وأوديتها وأبارها وزروعها
 ٤٢٧ أهالى المدينة
 ٤٣٨ التجارة بالمدينة
 ٤٤٠ عادات أهل المدينة
 ٤٤٢ جوق المدينة
 ٤٤٥ قرى المدينة وتوابعها
 ٤٤٦ حرم المدينة
 ٤٤٧ المسجد النبوى
 ٤٤٨

فهرس رسوم الجزء الأول

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
٣٠	٢٦	بُروطوى بمكة	١	١	المؤلف
٣٠	٢٧	طريق الحجون	١٠	٢	كيس مفتاح الكعبة
٣١	٢٨	قبة على قبر السيدة خديجة	١١	٣	جزء من كسوة الكعبة
٣٢	٢٩	قباب على مقابر أجداد النبي صلى الله عليه وسلم .	١٣	٤	الاحتفال بالكسوة بالقاهرة
٣٢	٣٠	مقبرة المعلاة	١٤	٥	المحمل بمحطة الاسماعيلية
٣٢	٣١	« » وبها قباب السيدة خديجة والسيدة آمة وأجداد الرسول .	١٦	٦	الاحتفال بانزال المحمل الى البحر في السويس .
٣٣	٣٢	مجتمع الحاج لسباع خطبة يوم التروية	١٦	٧	مرفأ جدة
٣٣	٣٣	الكعبة المعظمة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة .	١٥	٦٩	رجل وامرأة هنديان يحزمان
٣٧	٣٣١	مسق بجنى	١٦	٨	مدينة جدة ومرفأها
٣٨	٣٤	محمد بن أباشا وعبد الله أباشا بلباس عربي .	١٧	٩	ديوان الحجر الصحي بجدة
٣٨	٣٥	محسن أباشا وعبد الله أباشا بلباس مكى	١٨	١٠	خطاب المحجر بطلب ٢٣٠ قرش
٣٨	٣٦	محسن أباشا وعبد الله أباشا وإبراهيم بك مصطافى والمؤلف .	١٧	١١	ساحل جدة وبه الجمرى
٣٨	٢٦٧	جنائب (ركائب) أمير مكة	٢٠	١٢	احتفال أهل جدة بالمحمل
٣٩	٣٧	عون الرقيق أباشا أمير مكة وجايسه ..	٢٠	١٣	مدير البريد والبرق ورئيس المحكمة ومدير الأوقاف بجدة .
٤٠	٣٨	الوالى يصالح الضباط بمكة	١٤	١٤	سليمان بن عبد الله البسام وأمير الحج
٤٠	٣٩	« » والشريف فى العسرة بمكة	٢٢	١٥	محمد حسين الطيب
٤٣	٤٠	خطاب تحديد أول ذى الحجة	٢٢	١٦	منازل جدة القيمة
٤٤	٤١	جبل عرفات	٢٢	١٧	منزل السيد عمر السقاف بجدة
٤٥	٤٢	معسكر الحاج بعرفات به مسجد الصخرات .	٢٢	١٨	« » نائب الوالى بجدة
٤٥	٤٣	مسجد تيمرة	٢٢	١٩	ثكنة العساكر العثمانية بجدة
٤٦	٤٤	الحجاج بجبل عرفات وبه الشيخ أبو النور طوموم .	٢٢	٢٠	قبة قبر حواء المكذوب
			٢٦	٢١	ركب المحمل بمحطة بحرة
			٢٧	٢٢	منظر بحرة وبها مسجد قديم
			٢٧	٢٣	حدة ومسجدها
			٢٨	٢٥	علما الحرم بالشمسى
			٢٨	٢٤	مؤنرا الركب وبه أمير الحج بالشمسى

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
١٨٢	٦٨	بيوت مكة وبها سراى الشريف عبد المطلب .	٤٧	٤٥	المحملان المصرى والشامى بموقف عرفات .
١٥	٦٩	رجل وامرأة هنديان محومان ...	٤٩	٤٦	أمير الحج الشامى حاملا وصية السلطان بالحج (الفرمان) .
١٧٩	٧٠	تكية محمد على باشا بمكة ...	٥٠	٤٧	كيس الوصية السابقة (الفرمان) ...
١٨٩	٧١	مولد النبي صلى الله عليه وسلم ...	٥٠	٤٨	وفاء القرمات (قبضته) ...
١٩٦	٧٢	حديقة الشريف عون الرقيق باشا ...	٥١	٤٩	الفرمان الشاهانى بالعبودية ...
١٩٧	٧٣	المشير عثمان باشا نورى العادل ...	٥١	٥٠	عنوان ومقدمة الفرمان ...
٢٠٠	٧٤	الحجاج يجنازون السيل بمكة ...	٥١	٥١	الفرمان الشاهانى بالتركية ...
٢٠٥	٧٥	مسجد السيدة ميمونة ...	٥٥	٥٢	الاحتفال بسفر المحمل من مكة للدينة .
٣٣٧	٧٦	معسكر الحجاج بعرفات وبه حوض مياه .	٥٦	٥٣	المسافر خاتنة أو المضيفة المكية ...
٢١٢	٧٩	المفجر وبه آلة بخارية ...	٥٨	٥٤	جبل النور ونار حراء ...
٢٠٨	٧٧	الأحواض بعرفات ...	٦٢	٥٥	جبل ثود وصعوبة مرثقا ...
٢١١	٧٨	خرينة بعرفات ...	١٧٨	٦٠	من جبل أبى قيس الى جبل ثور ...
٢١٣	٨٠	بحرى عين زبيدة ...	٦٢	٥٦	غار ثور وبه فاظر التكية ...
٢١٧	٨١	نقش خطة قايتباى بجبل بعرفات ...	٧٦	٥٧	رسم تقريبي للسير في حجة الوداع ...
٢٢٦	٨٢	خرينة المواقيت وأعلام الحرم ...	٨١	٥٨	صلاة الجمعة بالمسجد الحرام وبالرسم باب بنى شيبة .
٢٢٨	٨٣	المسجد الحرام بمكة المكرمة ...	٨٢	٥٩	الحجاج حول الكعبة وتقبيلهم الحجر الاسود .
	٨٤	عقود « بواكى » المسجد الحرام ...			
	٨٥	المسجد الحرام من جهة الشمال والغرب والجنوب وبه ٣ مآذن .			
٢٢٩	٨٦	اجتماع الحجاج لصلاة الجمعة ...	١٧٩	٦١	مقياس المياه بجرو ...
	٨٧	حمام الحى بالمسجد الحرام ...	١٥٨	٣٢٠	كتاب النبي صلى الله عليه للفرقس ...
٢٢٩	٣٢٩	سلم لدخول الكعبة ...	١٧٩	٦٠	خرينة مكة ...
٢٣١	٨٨	باب سيدنا على ...	١٧٩	٦٢	بيوت مكة التى على الطراز الحديث
	٨٩	باب الصفاء ...		٦٣	» » » » » »
٢٣٣	٩٠	المسجد الحرام من جهة باب ابراهيم	١٧٩	٦٤	ثكنة العساكر الشاهانية بجباد ...
٢٣٥	٩١	داخل المسجد الحرام من الجهة الشمال الغربية وبه ٦ مآذن	١٨٠	٦٥	بيوت مكة الجنوبية الغربية وبالرسم قطة جباد
٢٥٠	٩٢	الكعبة بالمسجد الحرام ...	١٨١	٦٦	بيوت مكة وبها غار حراء ومثذبة ورة
٢٤٦	٩٣	كسوة مقام الخليل ...			مولد النبي صلى الله عليه وسلم .
٢٥٣	٩٤	منبر المسجد الحرام مصفرا كاملا ...		٦٧	بيوت مكة من الشرق والشمال ...

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
٣٢٤	١٢٢	مسجد الخيف بمبنى مكبرا ...	٢٥٣	٩٥	منبر المسجد الحرام مكبرا ...
	١٢٣	« بواكى » مسجد الخيف ...	٢٥٤	٩٦	ستارة باب منبر المسجد الحرام ...
٣٢٥	١٢٤	مسجد الكوثر بمبنى وبالرسم عمود البرق	٢٥٥	٩٧	صلاة الجمعة بالمسجد الحرام
٣٢٧	٣٢٨	قبة الكيش ...			سنة ١٣٢٠ هـ
٣٢٩	١٢٥	رى الجمرة الوسطى ...	٢٥٥	٩٨	صلاة الجمعة ونصف الكعبة ...
	١٢٦	« جمره العقبه » ...		٩٩	زحزم يستقي منها الحجاج ...
٣٢٩	١٢٧	« الجمره الصفرى » ...	٢٦١	١٠٠	الكعبة بالازار الأبيض من الجهة الغربية
٣٣٧	١٢٨	سوق عرفات ...	٢٦٢	١٠١	فحص النساء بالمسجد الحرام ...
٣٣٣	٣٢٧	خرية المزدلفة ...			الكعبة من الجنوب والشرق وبالرسم بابها وتقبيل الركن اليماني .
٣٣٧	١٢٩	الحجاج وخيامهم بعرفات وبالرسم رايح	٢٦٣	١٠٢	ستارة باب الكعبة ...
	١٣٠	معسكر الحجاج بعرفات من الشرق وبه جبل الرحمة		١٠٣	« » التوبة ...
٣٤٢	١٣١	خرية مشاعر الحج ...	٢٦٤	١٠٤	ميزاب الكعبة وما كتب فيه ...
٣٤٣	١٣٢	علما الحرم بالتنعيم ...	٢٧٦	١٠٥	القسم الأعلى من ستارة باب الكعبة
	١٣٣	مسجد السيدة عائشة وعلما الحرم ...	٢٧٧	١٠٦	« الأوسط » » »
٣٨٢	١٣٤	معسكر المحمل خارج باب العنبرية بالمدينة سنة ١٣٢٠ هـ		١٠٧	« الأدنى » » » »
٣٨٣	١٣٥	محافظ المدينة الفريق عثمان فريد باشا	٢٧٧	١٠٨	الكعبة من الجنوب والشرق وبالرسم بابها وسادن الكعبة .
٣٨٤	١٣٦	الباب المصرى بالمدينة المتورة ...		١٠٩	حزام الكعبة القصبي ...
	١٣٧	منظر المدينة من جهة جبل سلع وبه قبة السق	٢٨٤	١١٠	ستارة باب الكعبة مذهبة ...
٣٨٩	١٣٨	جبل سلع وبه كتابة كوفية ...		١١١	كسوة الكعبة من الظاهر ...
	١٣٩	جبل سلع به المؤلف وارايم حدى خربوطى حافظ مكتبة عارف حكمت بك .	٢٩١	١١٢	كسوة الكعبة من الداخل باللون الأحمر كالأصل .
	١٤٠	من جبل سلع الى جبل أحد ...		١١٣	حرف « س » كأصله في الكسوة ...
	١٤١	ضريح سيدنا حمزة فيه المؤلف وسعودى وشيخ الضريح	٢٩٨	١١٤	« و » » » »
٣٩٠	١٤٢	مشهد سيدنا حمزة بالمدينة ...		١١٥	ستارة باب الكعبة مكبرة ...
	١٤٣	جبل أحد وفيه ضريح ومسجد سيدنا حمزة		١١٦	يا الله « أربع مرات » ...
	١٤٤	قبة الثنايا وعندها سيدات مصرات	٣٠١	١١٧	الحجر الأسود ...
٣٩٣	١٤٥	« » وعندها الضباط والعسكر ...	٢٦٢	١١٨	معسكر الحجاج بمبنى ...
			٣٢٤	١١٩	مسجد الخيف مصغرا ...
			٣٢٣	١٢٠	خرية منى ...

فهرس رسوم الجزء الأول

(ل)

رقم الرمز	رقم الصفحة	نوع الرسم	رقم الرمز	رقم الصفحة	نوع الرسم
٤٢٦	١٧٠	بقيع الفرق	٣٩٣	١٤٦	جبل أحد رسم سعودى أفندى...
٤٣٢	١٧١	البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية ...	٣٩٧	١٤٧	داخل مسجد قباء به القبة والشرفات
٤٣٩	٣٣٠	دورق مياه ماس فى المسجد النبوى ...	٣٩٨	١٤٨	مسجد قباء به السكر وإبراهيم بك مصطفى وعلى بك إسماعيل الخ
٤٣٨	١٧٢	معسكر المحمل بالداودية بالمدينة ...	٣٩٩	١٤٩	مسجد السيدة فاطمة ويقال له مسجد الشمس بعمالى المدينة .
٤٤٨	١٧٣	اجتماع من أهل المدينة بمنزل السيد الحنبشى	٤٠٢	١٥٠	مسجد قباء من الشمال والشرق ...
٤٥٠	٣٢٥	آثار قصر سعيد بن العاص	٤٠٦	١٥١	منظر اخراج المياه من بئر الخاتم بقاء...
٤٥١	١٧٤	خريطة المسجد النبوى ملونة ...	٤٠٨	١٥٢	» » » » سواق المدينة
٤٦٠	١٧٥	« بواكى » المسجد النبوى ...	٤٠٩	١٥٣	مناقبة بالبقيع بها بقرتان ينظر اليهما سعودى أفندى .
٤٦٩	١٧٦	حمام الحى بالمسجد النبوى	٤١٣	١٥٤	نجل سلطان المكلة والشحر عمر بن عوض القعيطى .
٤٦٩	١٧٧	قسم من المسجد النبوى رسم من الجهة الشمالية	٤١٢	١٥٥	محمد بن غالب نجل ولى عهد المكلة والشحر .
٤٦٩	١٧٩	قسم من المسجد النبوى رسم من الجهة القبيلة وبه درابزين نحاس .	٤٢٠	١٥٦	كتاب نجل سلطان المكلة للولف ...
٤٧٧	١٧٨	قبة النبي صلى الله عليه وسلم ومعها المنبذة الرئيسية	٤٢٢	١٥٧	خريطة المدينة وما حولها
٤٧٧	١٨٠	الروضة بها النجفة الكبيرة	٤٢٢	١٥٨	أكبر فندق بالمدينة
٤٧٧	١٨١	أحد الأغوات بالمسجد النبوى ...	٤٢٢	١٥٩	منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية .
٤٧٧	١٨٢	أغا آخر » »	٤٢٢	١٦١	منظر المدينة من جهة الباب الشامى ...
٤٧٧	١٨٣	قبة النبي صلى الله عليه وسلم وثلاث مآذن	٤٢٢	١٦٠	خريطة المدينة المتورة
٤٧٧	١٨٤	الروضة الشريفة وفيها المحراب النبوى	٤٢٢	١٦٢	مسجد القباين
٤٧٧	١٨٥	محراب عثمان بن عفان	٤٢٢	١٦٣	مسجد عروفة
٤٧٧	١٨٦	المحراب السلماني العثاني	٤٢٢	١٦٤	خارج باب قباء
٤٧٧	١٨٧	كسوة الحجر النبوية من الداخل ...	٤٢٢	١٦٥	مسجد سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه .
٤٧٧	١٨٨	قسم من الروضة والحجرة به السائر ...	٤٢٢	١٦٦	مسجد سيدنا على رضى الله عنه
٤٧٧	١٨٩	باب الرحمة بالمسجد النبوى	٤٢٢	١٦٧	مصلى الأعياد بالمناحة بالمدينة ...
٤٧٧	١٩٠	باب السلام بالمسجد النبوى	٤٢٢	١٦٨	منظر المدينة من فوق تكية محمد على باشا
٤٧٧	١٩١	مآذن المسجد النبوى وبالرسم السور من الجهة الشرقية	٤٢٤	١٦٩	واجهة تكية المدينة المتورة ...
٤٨٥	١٩٢	قصر علة فى طريق الوجه			

محمد السادس فؤاد الأول



Sa Majesté Fouad I.
Roi d'Egypte

تقديم الكتاب

الى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم فؤاد الأول
أيد الله ملكه

مولاي

لقد تسامى عصركم على الأعصار . وزهت مصر في عهدكم على الأفطار فهذه
نهضة العلوم والمعارف قد استوت . وتلك أفنانها قد اهتزت وربت . وأحكامها قد
تفتحت فأتت أكلها ضعفين ، بهمة مليكها . شبل اسماعيل ومحيي مجد وادي النيل .
وتلك مكة أم القرى . وطيبة مقر الهدى . والبيت المعمور وما اليها من
معاهد . بارك الله حولها . وشاد في القرآن بذكرها . فجعلها مثابة للناس وأمنا .
تلك المعاهد . تسدى اليك يا أبا الفاروق : شكران من حباها جلالته وآباؤه الغر
الميامن بفيض كرمهم وأسبغوا عليها وفيهم نعمهم . ونفروا خفافا لنصرتها فلما جأر
الحجاز : رب أنى منى الضر . كان أسرع الأفطار لتأييده واعزازه مصر وما مصر
إلا ماثر آبائك الصيد ومكارم كل غضنفر كبير القلب حديد قد اشترى الله منهم
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الذكر الحميد في اعلاء شأن الاسلام والمسلمين .

فقدىما حى جذكم الأعلى حى الحرمين . وعنى بقداسة القبلتين ثم درج
على سنته أبوكم ابراهيم فاذا بتلك الأفطار وقد أمنت مسالكها وسهلت مباركها
ومهايعها .

وجاءت رعايتكم السامية في أزمانكم الزاهية مصدقة لما بين يديها من عطفه
سام على الحرم الأقدس وعناية ملكية بالأثر الأشرف :

منن لكم ولآبائكم خالداً * وأياد على الدهر باقيات

يحفظها لجلالتكم المسلمون بين طيات قلوبهم . ويردها المججج في عرفة
يوم الحج الأكبر . وينقشها الزمان على جبين الكعبة تفيض نورا وتحديث عن
مآثركم أصائل وبكورا .

وهذا كتاب حملني على تأليفه حب شغف به قلبي لتلك البقعة المباركة التي أنزل
الله فيها على عبده الكتاب فدرج فيها الدين وأشرقت منها شمس الهداية على العالمين
جمعه وأنا أنشرف كل عام بإيصال رفق ببيتكم بيت اسماعيل و ابراهيم الى بيت رفع
قواعده ابراهيم واسماعيل ، وبالسفارة بين موالى وملوكى الأخيار وبين ساكن الروضة
الشريفة المعطار .

وليس فيه إلا كل نقيبة من نقائب المجد لديكم ومحمدة تنطق بالثناء عليكم فهو
منكم واليكم والحمد لله ان جاء مرآة صادقة للشاعر الطاهرة وصورة حقيقة برسومه
الوافرة .

وإني أرفعه لسدنتكم العلية وأنزله بساحتكم السنية كلاً الله ذاتكم وحاط باليمن
أيامكم ورعى بتوقيفه سمولى العهد المحروس آمين ما

العبد المخلص المطيع لجلالتكم

(اللواء) ابراهيم باشا رفعت

اللواء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري ١٣٠٧



LEWA IBRAHIM REFAAT PASHA

EX O. C. H. H. BODY GUARD

EMIR EL HAGG, YEAR 1325 H.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(١) ^(١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ^(١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^(١٢٩) (القرة)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ^(١٣٠) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ مِمَّنْ تَبَعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(١٣١) رَبَّنَا إِنِّي أََسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ^(١٣٢) (إبراهيم)

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ^(١٣٣) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ^(١٣٤) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَاظَ الْفَقِيرِ ^(١٣٥)

- (١) أرقام الآيات حسب ما جاء في المصحف الذي تم طبعه في عهد صاحب الجلالة قواد الأزل ملك مصر (٢) مكة المكرمة . (٣) أبعدي . (٤) جعلنا مكانه . بقاءه لإبراهيم ومرجعاً يرجع إليه . (٥) وأعلم الناس بالحج . (٦) مشاة جمع راجل . (٧) بعير . هزول اتعبه بعد السفر . هزله . (٨) طريق بعيد .

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ
حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ... ﴿٣٠﴾ (الحج)

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ
إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ (الحج)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا . وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ آل عمران . (قرآن كريم)

الحمد لله على ما هدى إليه من شعائر الدين، وسنه من شرائع لإحياء العالمين
ومناسك يصمد إليها الدانون والقاصون ويتداعى إليها الموحدون، نحمده على بيت
جعله مثابة للناس وأمنًا، وملاذا للإسلام وحصنا، حيث به الأمة العربية وذاع
صيتها في الأفطار العجمية، وطهرت به النفوس من أوزارها وضرعت فيه إلى ربها
فأفاض عليها من الهدايات الروحية والكمالات الخلقية والمنافع الدنيوية والأخروية،
ما لا يدخل تحت الضبط ولا يحصره العد . والصلاة والسلام على هادى الأمم من
غوايتها، ومنقذها من ضلالتها، والآخذ بها عن اللعم إلى السبيل الأمم^(٦) "محمد بن عبد الله"
مظهر البيت من الأوثان، والناشر على ربوعه راية السلام الذى وحده بين المسلمين
فى المنسك وسنّ لهم سنة التعارف على اختلاف أجناسهم، وتباين لغاتهم وتباعد
أقطارهم، فكانت بذلك وحدة لاتنفصم العرا، وألفة لا يدركها البلى، مادام المسلمون

(١) أى لينزلوا وسخفهم بقص الشارب والافطار وتطهير النفوس من أدران المعاصى .

(٢) مبتعدا يقصدون اليه . (٣) مكة . (٤) موضع قيامه وهو بيتى البيت .

(٥) يقصد . (٦) الذنوب . (٧) الوسط .

بما هداهم إليه متمسكين، وبجبل الله معتمدين وبسنة رسوله مؤتسين، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وارتسموا طريقه . (وبعد) فيقول «اللواء إبراهيم باشا رفعت» (في الرسم ١) : كنت ولوعا بالحج شغوبا بأداء هذا الفرض متضرعا إلى الله أن يوفقني لرؤية بيته الحرام وما اكتشفه من المناسك، فمنّ على بالإجابة بعد الإجابة^(١) وبارك في دعوتي كما بارك لإبراهيم في دعوته الطيبة التي أحيت أمة إلى يوم القيامة وعمرت قطرها الجذب ونشرت فيه المدنية الصادقة والشرعة القائمة، فعينت في سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) رئيس حرس المحمل (قومندان) فرأيت أن نعمة الله على لا يفي بشكرها إلا تدوين رحلي من أول خطوة فيها إلى آخر خطوة وإخراجها للناس لينتفعوا بها وليستضيئوا بنورها إذا حجوا إلى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة فلم أدع صغيرة ولا كبيرة مما رأيت أو سمعت إلا قيدتها، غير أني كنت أرى مناظر جميلة وآثارا ثمينة ومشاهد مهما دقت في وصفها لا أصل بك إلى الحقيقة ولا أدخل من الروعة في نفسك ما تدخله المشاهدة والرؤية وكنت أتمنى مصورا ماهرا يحبس ما نرى من المناظر وكنت أودّ أن أكون ذلك المصور فلما رجعت من حجتي الأولى تعلمت فن التصوير وجعلته مسلاقي في وقت فراغي ونزعت نفسي إلى حجة أخرى أقيد فيها الصور فأنا لئلي الله بغيثي ومنّ على منة أخرى في سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٣ م) إذ عينت أميرا للحج فكتبت على نفسي أن أسلك سبيلي الأول في تقييد كل ما أجد وتصوير كل ما يقع عليه النظر حتى أضيف إلى إخبارك - أرشدك الله - المشاهدة فيتمتع السمع والبصر كأنك تشاهد الأماكن المقدسة عن كُتُب . ومنّ على بحجة ثالثة في سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) فكنت فيها أميرا للحج . وغمرني بعد ذلك بحجة رابعة عينت فيها أيضا أميرا للحج سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٨ م) فتلك حجّات أربع

وإنها لنفحة كبيرة ومنحة جليلة تستدعى شكرا جزيلا وثناء عريضا وما ذلك الا بسط ما رأت عيني وسمعت أذنى للناس في ثوب قشيب ومنظر بهيج فتقدمت الى المسلمين بهذه الرحلات المصورة التي حوى كل منها ما لا يغنى عن الأخرى إذ كان من حسن حظى أنى سلكت كل مرة من مكة إلى المدينة طريقا غير التي كنت أسلكها من قبل فظفرت بمعلومات قيمة عن أرض الحجاز لا أظنك تظفر بمثلها في كتاب آخر.

ولقد كان من أكبر البوائع على إخراج هذه الرحلات وتكلفت النفقات الباهظة في سبيلها أنها أبين شرح لفرض من فروض الدين وأصدق لسان يصف مهد النبوة ومبعث التشريع وأنها لتكشف لك عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن التي شرفت به حتى كأنك تراها رأى العين .

وقد رأيت أن أذكر الرحل الأربع حسب ترتيبها في الموضوع ولما كانت السنة الأولى خالية من المناظر رأيت أن أضيف إليها من مناظر السنين الأخرى إذ هي أول ما تقرأ وأوسع ما خط كما رأيت أن أشبع الكلام على كل مكان شهير أو أثر عظيم أو أمر خطير يأتى ذكره في الرحلة في فصول مستقلة .

وأسال الله سبحانه أن يجعل عملى خالصا من الرياء وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ﴿هُوَ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

الرحلة الاولى

سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م

الأعمال التمهيدية قبل سفر المحمل

أمير الحج وقوة المحمل العسكرية - صدرت إرادة سنية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ (٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠) بتعيين إسماعيل صبرى باشا الطوبجى أميراً للحج وصدر أمر عسكري بتاريخ ٥ ذى القعدة بتعيين رئيسا (قومندان) لحرس المحمل وأمر آخر في التاريخ نفسه بتعيين ١٨٠ ضابط وصف ضابط وعسكري حرسا للمحمل وكان الضباط ستة، هم رئيس المائة (اليوزباشى) عبد الوهاب حبيب افندى من المشاة (البيادة) ورئيس المائة سليمان كامل افندى الطيب، والملازم الأول ابراهيم أحمد افندى من المشاة، والملازم الأول اسماعيل كامل افندى من المدفعية (الطوبجية) والملازم الأول أحمد كامل افندى من الخيالة ، والملازم الثانى محمد كامل افندى من المشاة ومن ضمن العسكر ١٤ موسيقيا .

ركب المحمل - صدرت إرادة سنية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ بتعيين محمد سليمان بك أمينا للصرة وقررت وزارة المالية تعيين الشيخ يوسف المرجاوى إماما للمحمل ، وحسن حامى افندى كاتباً أول للصرة ، وسعيد أحمد افندى كاتباً ثانياً وحسن قاسم افندى كاتباً للقسم العسكري وإمارة الحج ، ومحمود يوسف افندى صرافاً للصرة ، والسيدة صالحه افندى طبيبة ، وجملة من كان فى خدمة المحمل فى هذه السنة ٧٣٤ ما بين ضباط وعسكر وموظفين وتابعهم وقادة الجمال والخيول وحامى المصابيح (المشاعل) والسقائين والفراشين والزمرين (الفريحية) ولم يكن مع المحمل أحد من الأهالى غير عماله وأتباعهم .

صرة المحمل — كانت النقود التي أودعت صرة المحمل في سنة ١٣١٨ هـ وسلمت لأمين الصرة بمقتضى إشهاد شرعى رسمى عمل بمحضر ناظر المالية وأمير الحج وأمين الصرة وصرافها وصراف من المالية ومندوب من قبل حضرة صاحب الفضيلة قاضى قضاة مصر كما يأتى :

مليم جنيه مصرى وينتو جنيه مجيدى ريال بطاقه ريال مصرى قرش مليم
٥٠٠ ١٤٢٧٦ ٤٩ ٣٥ ٣٩٠٠٠ ٢٩٧٢ ٥٣٢٥ ١- ٥٩٦

وجملة ذلك بالجنيه المصرى والمليم ما يأتى :

١- مليم جنيه ٢٦٢ ١٨٨٩٣ أى ربع مليم واثنان وستون ومائتا مليم وثلاثة وتسعون
وثمانمائة وثمانية عشر ألفا من الجنيهات المصرية .

والمبالغ المذكورة تشمل مرتبات رجال المحمل جميعهم مدة ثلاثة شهور وهى المدة المقدرة لسفر المحمل ومرتب أمير مكة والمقدر لأشرافها وللعربان ولتكتبى مكة والمدينة وجميع النفقات الأخرى اللازمة من أجرة جمال وثمان علف للدواب الخ — أنظر مالية المحمل فى آخر الكتاب .

الكسوة ووصفها — جرت العادة أن يكتب إشهاد شرعى بتسليم الكسوة من مأمور تشغيلها الى المحمل (من فى عهده المحمل والكسوة) ليوصلها الى البيت الحرام ويذكر فى هذا الإشهاد أجزاء الكسوة وأوصافها وقد رأينا أن نثبت هنا نص الإشهاد الشرعى الذى حرر فى سنة ١٣٢١ اذ هو أثر تاريخى يعرف منه القارئ تفاصيل الكسوة ومادتها وهى لا تختلف فى سنة عنها فى أخرى الا فى جودة ما تصنع منه واليك نص الإشهاد ،

بمحكمة مصر الكبرى الشرعية فى يوم الثلاثاء خامس عشر القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف الموافق ثانى فبراير سنة أربع وتسعمائة وألف أذن فضيلتو قاضى افندى مصر حالا لحضرة العلامة الشيخ محمد ناجى أحد أعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتى ذكره فيه ولكاتبه هما الشيخ محمد سعيد ومحمد مصطفى افندى

الكاتب كلاهما بالحكمة المذكورة بكتابة ما يأتي ذكره فيه فلبى حضرة العضو المومى اليه بحضور الكاتين المذكورين بالمجلس المنعقد بمسجد سيدنا ومولانا الامام أبى عبد الله الحسين رضى الله تعالى عنه الكائن بمصر المحروسة بالقرب من خان الخليل والجامع الأزهر بقسم الجمالية فى الساعة العاشرة صباحا من اليوم المرقوم أشهد على نفسه الحاج محمد أحمد المحاملى الساكن بالدرب الأصفر بالقسم المذكور ابن المرحوم أحمد مصطفى بن مصطفى شهوده الإشهاد الشرعى وهو بأكل الأوصاف المعتمدة شرعا أنه قبض واستلم واستوفى ووصل اليه من حضرة عبد الله فائق بك مأمور تشغيل الكسوة الشريفة حالا الساكن بشارع المحجر بقسم الخليفة بمصر ابن المرحوم اسماعيل بك ابن المرحوم ابراهيم الحاضر هو معه بهذا المجلس جميع كسوة بيت الله الحرام المشتملة على ثمانية أحزمة وأربعة رنوكه — أى دوائر — مركبة على حملين من الثمانية أحمال الآتى ذكرها فيه، مزركشة الثمانية أحزمة والأربعة رنوكه المذكورات بالخيخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر المبطن باللفت الأبيض والنوار القطن المركبات الثمانية أحزمة المذكورة على ثمانية أحمال حرير أسود مكتوب ومبطن باللفت الأبيض والنوار القطن، اثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما تسعة أبواب كل ثوب منها طوله ستة وعشرون ذراعا بالذراع البلدى طول كل ذراع منها سبعة وخمسون سانتى متر وكسور من السانتى، واثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما ثمانية أبواب من الأبواب المذكورة، والأربعة أحمال باقى الثمانية أحمال المذكورة اثنان منها سبعة أبواب ونصف من الأبواب المذكورة والاثنان الباقيان كل منهما ستة أبواب ونصف من الأبواب المذكورة. وستارة بيت الله الحرام المعبر عنها بالبرقع المزركشة بالخيخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر المبطنة باللفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها خمسة شراريب حرير أسود وقصب وكتير وغيخيش وستة أذرة (كذا) فضة مطلية بالبندق الأحمر، واثنى عشرة شرابة صغيرة حرير أحمر وقصب وكتير واثنى عشرة شمسية

مزر كشة على الحرير الأحمر . وكسوة مقام سيدنا ومولانا ابراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم المبطنة بالبفت الأبيض المزر كشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر، بها أربعة شراريب حرير أسود وقصب وكثير ومخيش وعشر شمسيات مزر كشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأحمر وعشرة شراريب صغيرة حرير أحمر وقصب وخمسة أذرة فضة مطلية بالبندق الأحمر بها سحج قطن شبكة بقيطان قطن وأذرة شراريب من قطن هندي أحمر وأصفر وبها تتر أحمر . وكيس مفتاح بيت الله الحرام المزر كش بالمخيش الأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الأطلس الحرير الأخضر به تتر ملون وكثير أصفر مبطن بالأطلس الحرير الأخضر به شرابتان قصب وكثير وقيطان قصب . وستارة باب سطح بيت الله الحرام المعروف بباب التوبة داخل بيت الله الحرام المزر كشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الأخضر والأحمر المبطنة بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها تتر . وستارة باب مقصورة سيدنا ومولانا ابراهيم الخليل المشار اليه المزر كشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأخضر والأحمر، بها خمسة أذرة فضة مطلية بالبندق الأحمر وعشر شمسيات مزر كشة بالمخيش الأبيض والأصفر على الأطلس الحرير الأحمر، بها عشرة شراريب صغيرة حرير وقصب المبطنة بالبفت الأبيض والأطلس الحرير الأخضر . وستارة باب منبر الحرم الشريف المكي المزر كشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأخضر المبطنة بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر وثلاثة مجاديل — أى حبال قطن — احتياج تعليق الكسوة الشريفة على بيت الله الحرام وإحدى وأربعين عصفورة — أى حبل قطن مجدول — احتياج الحلق وغلايتين من النحاس مغطتين بماء الورد الباش احتياج غسل بيت الله الحرام حسب المعتاد قبضا وتسلما واستيفاء ووصولاً شرعيات حسب اعتراف المشهد المذكور بذلك يوم تاريخه بهذا المجلس

بحضور كل من سعادة إبراهيم رفعت باشا أمير الحج الشريف الساكن بالدويدارى بقسم الدرب الأحمر ابن المرحوم سويفى بن المرحوم عبد الجواد ، وحضرة أحمد زكى بك مدير الأموال المقررة بنظارة المالية المصرية حالا وأمين الصرة الشريفة فى هذا العام الساكن بشارع الظاهر بقسم الأربكية ابن المرحوم السيد يوسف الحلبي ابن المرحوم السيد عثمان الحلبي ، وحضرة السيد محمود البيلوى شيخ مسجد ومقام سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين رضى الله تبارك وتعالى عنه الساكن بحارة المناصرة بقسم الموسيقى ابن حضرة العلامة الهمام السيد الشريف على البيلوى شيخ الجامع الأزهر الشريف حالا نجل المرحوم السيد محمد البيلوى ومحمد عمر افندى الكاتب وأمين مخزن مصلحة الكسوة الشريفة الساكن بشارع مصر القديمة ابن عمر ابن محمد العارف كل منهم للشهد المذكور عينا واسما ونسبا وأنه الحاضر بهذا المجلس واتصافه بالأوصاف المعتبرة شرعا وعلى المشهد المذكور الخروج من عهدة ذلك جميعه وتسليمه لمن له ولاية تسلم ذلك بمكة المشرفة حسب المعتاد فى ذلك ، صدر ذلك بحضور وشهادة من ذكر أعلاه تحريرا فى يوم الأربعاء سادس عشر القعدة المذكور الموافق ثالث فبراير المرقوم . اهـ .

ويعطى لمحرر الاشهاد الذى ينتدبه قاضى قضاة مصر ٣ جنيهات و ٢٨٠ مليم منها ٨٨٠ مليم نقدية و ١٤٠ قرش ثمن فروة و ١٠٠ قرش ثمن فرجية جوخ .

الاحتفال بالكسوة

فى يوم ٢٧ شوال سنة ١٣١٨ (١٦ فبراير سنة ١٩٠١) احتفل فى القاهرة بكسوة الكعبة المشرفة بالطريقة الآتية :

فى يوم ٢٦ شوال أتى بالمحمل من مقره بوزارة المالية ونقل داخل صناديق على عجلة الى « وكالة الست » بالجمالية حسب المعتاد من قديم ونقل جزء من كسوة الكعبة مع أحزمتها الحريرية المزركشة بالقصب ^(١) من مصنعها بالخرنفس الى

(١) خيوط من الفضة طليت بالذهب .

المصطبة بميدان صلاح الدين المعروف بميدان القلعة أو ميدان محمد علي وفي عصر هذا اليوم احتفل رسمياً بنقل كسوة مقام الخليل إبراهيم عليه السلام، والجزء الباقي من كسوة الكعبة من مصنعها بالخرنفس الى ميدان صلاح الدين السابق ، وكان نقل الكسوة على أكتاف الحمالين يحيط بها رجال الشرطة ويتقدمها قسم من الجيش مابين راجل وراكب معهم الموسيقى تصدح بالأناغام المطربة ويصحبه أرباب المزار البلدى المعينون للسفر بصحبة المحمل ، وكذلك تقدم الكسوة مدير مصنعها — مأمور الكسوة — ممتطيا جواده مرتديا لباسه الرسمى — بذلة التشريفه الكبرى — وعلى يديه مبسوطتين كيس مفتاح الكعبة (في الرسم ٢) . ويتلو كسوة الكعبة كسوة مقام الخليل محمولة على الأكتاف أيضا، وسار الموكب بهذا النظام من المصنع الى «سبيل كنتخدا» القريب من النحاسين حيث التقى به المحمل بكسوته الخضراء المعتادة آتيا من «وكالة الست» بالجمالية على ظهر جمل، فسار وراء كسوة المقام وسار الموكب كله الى النحاسين فالغورية فباب زويلة (بوابة المتولى) فالدرج الأحمر فالتبانه فالمحجر في ميدان صلاح الدين حيث أقيم هناك الاحتفال فوضع المحمل مع الكسوة في المحل المقابل لردهة (لصالة) الاستقبال حتى الصباح ووضعت كسوة المقام وسط الردهة المذكورة التي زينت جدرها بقطع من كسوة الكعبة وأحزمها القصبية وكيس مفتاح الكعبة وستارة بابها وباب التوبة ، ووضع حول كسوة المقام أربع مائلات (شمعدانات) من الفضة أحضرت من جامع القلعة ، ووضع بحجرة المحافظ التي بالجهة الغربية من ردهة الاستقبال أربع قطع يقال لها (كرداشيات) (في الرسم ٣) زينت بها جدر الحجر ، وقد أحييت المحافظة الليلة المعقبة لهذا اليوم بتلاوة آي القرآن الكريم وأنشاد المنشدين في مكان شرقي مكان الاحتفال ودعت العلماء والكبراء والأعيان لمشاركتها في إحياء الليلة ، ومنهم من دعتهم لتناول طعام العشاء قبل الغروب ، ومنهم من دعى للاحياء بعد صلاة العشاء فحسب كما أنها دعت مشايخ الطرق من الرفاعية والسعدية والأحمدية والإبراهيمية والبيومية والقادرية والشاذلية

مِنْ كُنُوزِ مَفَاتِيحِ الْكَعْبَةِ الْمَكْرُومَةِ

جزء من كسوة الكعبة في البسملة والصمدية

صحيحة ١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا إِذْ هَدَانَا رَبُّنَا لَأَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ



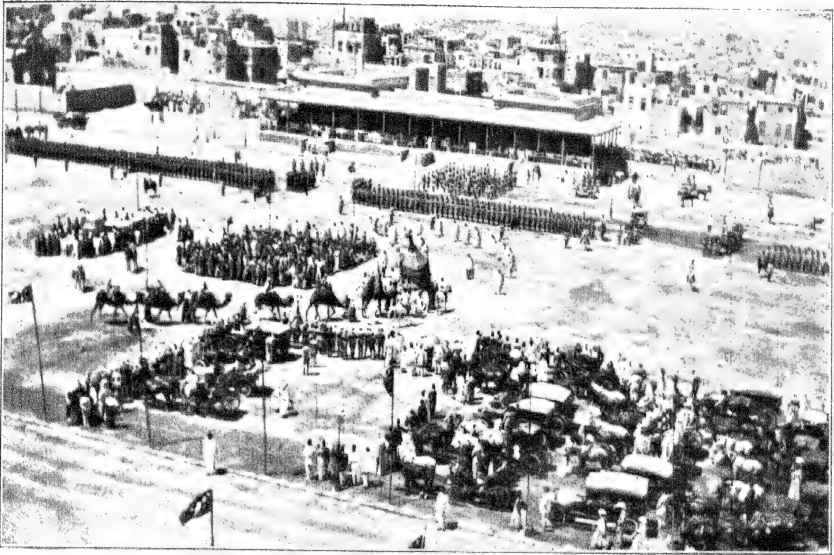
3. A view of a part of the carpet of El Kaaba containing a story from the Koran.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا إِذْ هَدَانَا رَبُّنَا لَأَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ



2. The bag containing the key of the Kaaba.

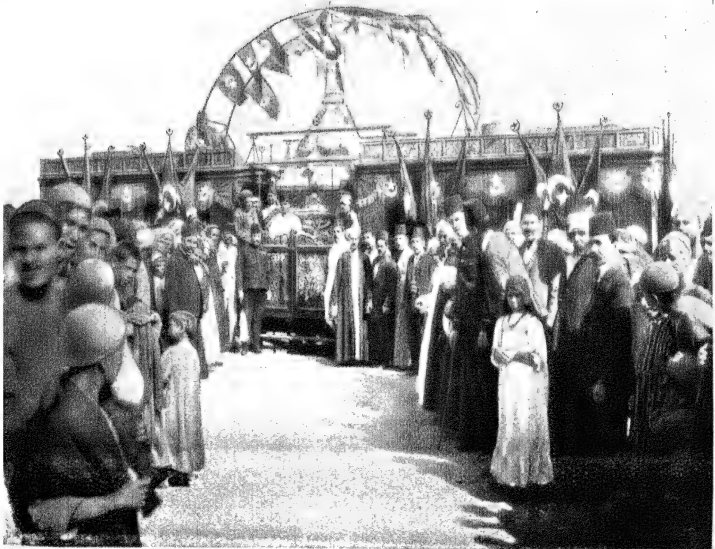
مَجْلِدُ الْمَحْمَلِ فِي الْقَائِدِيَّةِ



مَجْلِدُ الْمَحْمَلِ فِي الْقَائِدِيَّةِ

4. The farewell of the Mahmal at Citadel Square in Cairo.

مَجْلِدُ الْمَحْمَلِ فِي الْقَائِدِيَّةِ



مَجْلِدُ الْمَحْمَلِ فِي الْقَائِدِيَّةِ

5. The Mahmal in the Railway Station of the Ismailia.

للسير أمام المحمل والكسوتين والمشاركة في إحياء هذه الليلة التي أنفق فيها مائة جنيه مصرى ، واستمرت الحفلة الى ما بعد نصف الليل حيث جمعت قطع الكسوة التي في الردهة وفي حجرة المحافظ مع كسوة المقام ، ووضع كل ذلك مع المحمل في المكان المقابل لردهة الاستقبال .

وفي صباح هذه الليلة احتفل بالكسوة والمحمل إحتفالا فخما في ميدان صلاح الدين حضره سمو الخديو والوزراء والعلماء والأعيان ، وأطلق للخيول ساعة حضوره واحد وعشرون مدفعا وصدحت الموسيقى بسلامه ثلاثا أعقبها الضباط والعساكر والحضور في كل مرة بالهتاف لسموه (افند من جوق يشا) (يعيش افندينا طويلا) وكان الخديو والحضور ساعة ذلك رافعي أيديهم الى جباههم بالسلام ثم استراح جنبابه مع الحضور قليلا في بهو (صالة) الاستقبال مشاهدا دورات المحمل السبع المعتادة في الفناء الواسع الذي أمام البهو وكان يقود جمل المحمل مدير مصنع الكسوة الذي قدّم المقود الى سمو الخديو فقبله وناولوه قاضي القضاة فقبله أيضا مع بعض الحضور ثم أعاده الى المأمور الذي ينتظر بالمحمل قبالة الجامع المعروف بالمحمودية بالميدان ريثما يتم استعراض الكسوة ، ثم عرضت الكسوة يحملها الخفراء على سموه وقد وقف خارج الردهة مع الوزراء والحضور، والخفراء يمرون بها من أمامهم حتى إذا ما انتهت أستعرض الجيش ثم أطلق واحد وعشرون مدفعا إيذانا بانتهاء الحفلة (في الرسم ٤) وانصرف الخديو والحضور ثم سير بالكسوتين والمحمل الى مسجد الحسين رضى الله عنه يصحبها رجال الجيش والشرطة وأرباب الطرق وفي المسجد استقبل الكسوتين أمير الحج وأمين الصرة وكانا قد سبقا الناس الى المسجد وهناك ضمت بالخياطة قطع الكسوة بعضها الى بعض ثم نقلت الى العباسية مع كسوة المقام في صناديقها المعدة لها استعداد السفر بهما الى الحجاز بعد . أما المحمل فسير به من المسجد الحسيني الى مصنع الكسوة بالخرنقش^(١) وبقي هنالك الى صبيحة يوم الاحتفال

(١) لا يخفى عليك أن هذه الأعمال ليست من الدين في شيء . وربما كان مبرا لها أنها تهيج النفوس

بمخرج المحمل الى الأفطار المجازية ، ففي صبيحة هذا اليوم احتفل بنقله من المصنع الى ميدان صلاح الدين ولكن من طريق سوق السلاح ، وفي ضحوة ذلك اليوم ١٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٤ مارس سنة ١٩٠١) عمل احتفال بالميدان المذكور كاحتفال السابق وسلم فيه عبد الله فائق بك مدير مصنع الكسوة زمام المحمل الى سمو الخديو وسموه سامه لأمر الحج حيث قاده محفوفاً برجال الشرطة والجيش وأرباب الطرق الى العباسية ليسافر من هنالك الى السويس فمكة مع الكسوتين والروائح العطرية والخرق الحديدية التي تغسل بها الكعبة .

سفر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة

قبل سفر المحمل من القاهرة ببضعة أيام دعت مصلحة السكة الحديدية سعادة أمير الحج اسماعيل صبرى باشا الطوبجى لتتصرف منه العربات اللازمة فى قطارى البضاعة والركاب اللذين يقلان المحمل وركبه وأمتعته من القاهرة الى السويس فاتفق معها على أن يكون قطار الأمتعة مؤلفاً من ثمان عربات مغطاة وثلاث مسطحة وخمس مجنبة وسبع للحيوانات وقطار الركاب منظوماً من مركبتين للدرجة الأولى وآخرين للثانية وثمان للثالثة وثلثين للحيوانات .

وفى ليلة الخامس عشر من ذى القعدة سافر قطار البضاعة من العباسية يحمل الكسوتين وما يتبعهما وأمتعة المسافرين بصحبة المحمل من خدم وعسكر وقادة إبل وضوئية وفراشين وسقائين . وقد انتقدت الشحن بأن خدم المحمل أسرعوا بشحن أمتعتهم حينما وصل القطار وشغلوا بها أكثر العربات فلما حضر العسكر لشحن أمتعتهم وجدوا أكثر العربات مشغولاً فاضطروا الى إخراج بعض أمتعة الخدم حتى يخلوا لأمتعتهم عربات خاصة وفى ذلك من المشقة ما لا يخفى فلو أن (القومندان) عين ضابطاً ذا مقدرة ونباهة وفطنة وكياسة لتقسيم العربات بين الخدم والحرس وتميز عربات كل فريق وتنفيذ ذلك بالدقة لما هرول أولئك الخدم المتمترنون على الشحن .

وشغلوا معظم العربات بأممتهم ، وكذلك ينبغي أن يعمل هذا النظام بالباخرة البحرية فيعين لكل طائفة أماكن خاصة ويراقب الرئيس تنفيذ ذلك فلا يعتدى قوى على ضعيف ولا يسبق المتمزن غيره الى خير الأماكن بل تكون سواسية بين الجميع . وفي صبيحة يوم ١٥ ذى القعدة (٦ مارس) سافر قطار الركاب فى منتصف الساعة الأولى العربية من العباسية يقل المحمل والأمير والموظفين وبقية الحرس وأتباعهم من الأهالى ، وقد وقف القطر بمحطات القاهرة وطوخ وبنها والزقازيق وأبى حماد ونفيشة والاسماعيلية وفيد ، وقد كان الأهالى ومشايخ الطرق وطلبة المدارس بنين وبنات ينتظرون المحمل فى محطات الوقوف ومعهم الموسيقى والمزمار البلدى . ومما رأيناه من عادات الأهالى إحضارهم أولادهم الرضع ليروا المحمل ويلمسوه فيبارك لهم فى ذريتهم وكانوا اذا لم يستطيعوا لمسه قذفوا بمناديلهم الى خدام المحمل بعد أن يضعوا فيها شيئا من النقود أو يملؤها باللحوم البيضاء أو الفطير فيأخذ الخدم ذلك منها ويردونها الى أربابها بعد إمرارها على المحمل ، والذي دعا العامة الى ذلك ما يعلمونه من أن المحمل يوضع داخل المسجد الحرام كما يوضع فى المقصورة النحاسية التى حول قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما دام بالمدينة فيريدون التبرك بمحمل يزور الأماكن المقدسة ، ولما كان التمسح بالقبور منها فى الشرع كان الاجدر بالناس أن لا يتمسحوا بما يوضع على الأضرحة من باب أولى وخليق بالمسلمين خاصتهم وعامتهم أن تتفق عاداتهم مع آداب دينهم وهاك المحمل فى عربته بالاسماعيلية (فى الرسم ٥) .

وقد وصلنا السويس فى اليوم نفسه فى الساعة السابعة العربية والدقيقة ٤٥ وكانت المحطة غاصة بالنظارة (المتفرجين) ورجال الشرطة مصطفىين على الافريز وفى مقدمة الجميع سعادة المحافظ والموظفون وقد أطلق ساعة وصول القطر ٢١ مدفا من قلعة السويس وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى وهتف الحضور بالدعاء المعتاد لولى النعم (افند من جوق يشا) وتقدم سعادة المحافظ الى أمير الحج وأمين الصرة مهتئا لهما بالوصول ثم تقرر أن يكون الاحتفال بموكب المحمل فى منتصف

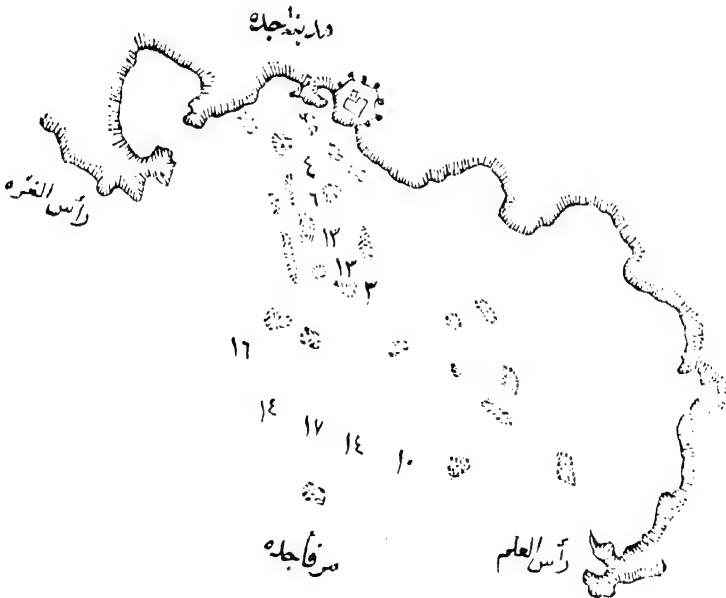
الساعة الحادية عشرة العربية من اليوم نفسه . ولما حان هذا الموعد اصطف حرس المحمل ورجال الشرطة صفين متقابلين بالقرب من المحطة وكذلك العساكر القائمون بمنع تجارة الرقيق اصطفوا بهجانهم صفين وجعل المحمل بينهما ثم سار الموكب بهذا النظام يتقدمه أمير الحج وعلى يمينه المحافظ وعلى يساره أمين الصرة ، والعامه ، وأرباب الطرق من دون ذلك ، وبعد أن طاف بشوارع المدينة كالمعتاد وقف حيث بدأ وإذ ذاك أطلق حرس المحمل ٢١ مدفعا ردّا لتحية القدوم ، وبعد السلام الخديوى انفرط عقد الحفلة وشحن المحمل بقطار السكة الحديدية الى محطة حوض السويس التى بتنا بها الى الصباح وباتت أسر موظفى المحمل بمحجر الباخرة .

وفى صباح يوم الخميس ١٦ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٧ مارس سنة ١٩٠١) أنزلت الأمتعة والكسا والمحمل (فى الرسم ٦) الى باخرة النجيلة المخصصة لنقل المحمل وركبه الى جُدّة وقد قام بتفتيش الباخرة سعادة المحافظ ومنسوب من شركة البواخر الخديوية ورئيس الحرس ولما تيقنوا بخلوها من مخبئين لايحملون جواز سفر صرح للحجاج والحرس بالنزول اليها . ومما لاحظته على الباخرة أن أماكن الدرجة الثالثة بها كانت دون حاجة المسافرين فكان الزحام فيها شديدا ومحل الحيوانات كان رديئا جدا فان طوله لايزيد على ١٥ مترا فى عرض الباخرة ، وارتفاعه متران تقريبا ولا يوجد به من النوافذ التى لا يزيد قطرها عن ٢٠ سنتيمترا إلا نافذتان فى كل جهة ، وكان به ٤ حيوانا بين خيل وبغال وقد بلغ من ازدحام الحيوانات به أن العساكر ما كانت تتمكن من وضع العلف لها إلا بالسير من تحتها وأنها كانت تتصبب عرقا بل تتساقط على الأرض من شدة الحرارة بالرغم من أننا وضعنا مروحة بحرية (منيجه) لخلب الهواء لها ، وقد تسبب عن ذلك ضعف الخيل وهزلها مع أنها مستريحة غير عاملة . وقد أخذ من كل حاج بالسويس ٣٢ مليا ضريبة الحجر الصحى بها وقد استفد ذلك كثيرا من وقت الحجاج ، فلو أن الحكومة أخذت هذه الضريبة مع ضريبة محجر الطور لأراحت الحجاج ووزرت عليهم وقتا ضيعوه فى الدفع وتسلم الصكوك به . وفى منتصف الساعة التاسعة العربية من يوم الخميس أفلعت الباخرة (بسم الله مجريها



منظر من البحر إلى ميناء السويس

(6). A view of the Mahmal coming down the Sea in Suez



7. The Port of Gedda.

رجل وامرأة هندیان محرمان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

69. An Indian man and an Indian woman in pilgrimage (Ihram) Clothes.

ومرساها) ميممة جدة فوصلتها في صبيحة ١٩ ذى القعدة (١٠ مارس) في الساعة الثانية العربية فنكون قد قطعنا المسافة بين السويس وجدة في ست وستين ساعة وهي ٦٤٦ ميلا. وقد كان البحر هادئا من وقت القيام الى مساء اليوم التالى ثم اشتدت الرياح وهاج البحر واستمر ذلك حتى جئنا وقبل الوصول اليها بما يقرب من ست ساعات مررنا برايق على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر وهناك أحرم المسافرون بعد أن اغتسلوا وحلقوا وقصوا الأظفار ولبسوا لباس المحرمين (الرسم ٦٩) فرفعوا أصواتهم بالتلبية « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

تجردت لما أن وصلت لرايق * وليت للولى كما حصل النداء
وقلت إلهى عندك الفوز بالمنى * وإنى فقير قد أتيت مجردا

والتلبية مطلوبة عند الاحرام بحج أو عمرة، وكلما علا مرتفعا أو نزل منخفضا وكذلك عند تلاقى الركبان ثم من الناس من أحرم بالحج ومنهم من أحرم بالعمرة وهم جميع الركب خلا أربعة وإنما أثرا العمرة لتحلل منها اذا وصلنا الى مكة وطفنا وسعينا بين الصفا والمروة فيحل لنا ما حرم علينا بالاحرام من لبس المخيط وكشف الرأس للرجال وتغطية الوجه للنساء والتطيب والخلق الخ ، وقد جرت العادة بأن السقائين والعكامة والفراشين والضوية لا يحرمون ولا يؤدون شيئا من مناسك الحج فأمرهم الأمير بالاحرام، فأطاعوا مرغمين وأخذوا مما عندنا من « البفتة » ما يرتدون به للأحرام وكانوا قد خرجوا من مصر غير متأهبين له دأبهم في كل مرة وكذلك اشترت للحرس (بفتة) من القاهرة بنقود دفعوها فاتخذوا منها ملابس الاحرام فكنت ترى ركب المحمل من كبيره الى صغيره محرما خلاف ما تعودوه في السنين الخالية ، ولهذا كان الناس معجبين بنا هذه المرة إذ رأوا فينا خطة جديدة هي عين ما رسمه الشرع الشريف وندب اليه .

(١) لبيك معناها إجابته بعد إجابة . (٢) طلبت في سنة ١٣٢٠ من المالية أن تشتري للعسكر ملابس الإحرام من مالها الخاص فأجابت .

وصول المحمل الى ميناء جدة

لما وصلت الباخرة مرفأ جدة لم يحضر الحاكم ولا أحد من قبله لتهيئة الأمير بالوصول حسب العادات المتبعة ولا سيما أن الباخرة بها أمير الحج وقسم عسكرى ينبغى احترامه ومساعدته فى نقل أمتعته وإرشاده الى المعسكر الذى ينزل به، إنما حضر طبيب الحجر الصحى للكشف على راكبي الباخرة وأصحاب السفن الشراعية (السنايك) لينقلوا المسافرين وأمتعتهم الى البر، وعند رسو الباخرة أطلقنا سبعة مدافع إيذاناً بالوصول ولم ترد علينا التحية الباخرة العثمانية الحربية الراسية بالميناء باطلاق المدافع كما هو المعتاد ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ فكررنا التحية باطلاق ٢١ مدفعاً وعزفت الموسيقى بسلام جلالة السلطان وأعقبته بالدعاء له ثلاثاً ثم بسلام الخديو والدعاء له كذلك وبعد تلكؤ ردت التحية باطلاق المدافع من قلعة جدة .

نقل الأمتعة من الباخرة إلى ساحل جدة — الباخرة ترسو بعيداً عن الساحل بنحو ميلين لكثرة الشعب بالمرفأ كما ترى فى (الرسم ٧) وتقوم بنقل الحجاج وأمتعتهم إلى البر سفن شراعية تسمى (السنايك أو القطائر) والأجرة المقدرة لسفن التى تحمل موظفى المحمل وأمتعته خمسة جنيهات مصرية وللنجارين (النوتية) الذين ينزلون الأمتعة الى السفن ويخرجونها منها الى البر جنيهان ومثلهما للحمالين الذين ينقلون الأمتعة من الساحل الى المعسكر «نصبيا مفروضاً» أما الحجاج التابعون للمحمل فنفقات النقل عليهم (انظر الميناء والقوارب فى الرسم ٨) .

عوائد الحجر الصحى وإجازة السفر — قضت قوانين الدولة العالية فى جدة بأن يؤخذ من كل حاج ثمانية قروش رسم الحجر الصحى (انظر ديوان الكورتنيتا فى الرسم ٩) وقرشان رسم إجازة السفر (فى سنة ١٣٤٢ هـ كانت الرسوم على كل حاج ٨٩ قرشاً — الله يرحم المعداوى القديم) ويعطى لكل حاج صكان بما دفع



(8) Geddah and Harbour.

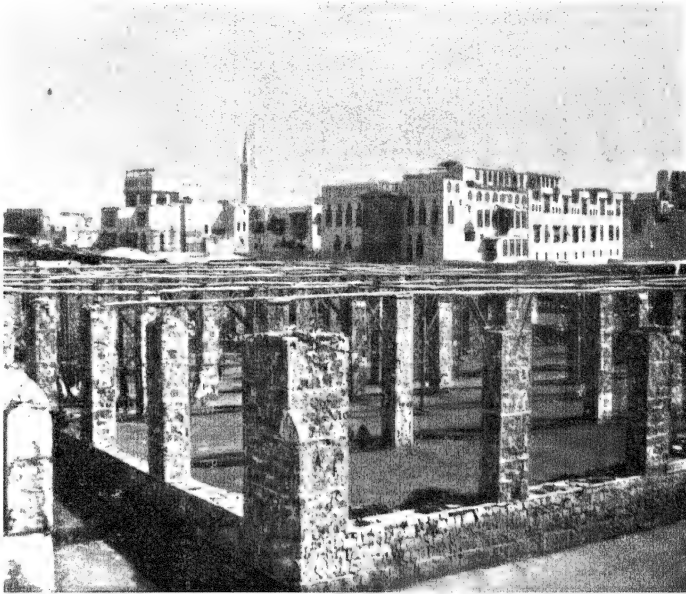
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَكْنَا فِيهِ الْكَافَّةَ إِنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ الْفِتْنَةُ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ فِي أَمْرِهِ إِنَّهُ يَوْمًا ذُو أَلْوَانٍ لِيَبْهَرَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْكِتَابَ وَخَوَّلَهُ الْغَنَاءَ إِنَّهُ يُجِيبُ عَنْكَ الْفِتْنَةَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَكْنَا فِيهِ الْكَافَّةَ إِنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ الْفِتْنَةُ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ فِي أَمْرِهِ إِنَّهُ يَوْمًا ذُو أَلْوَانٍ لِيَبْهَرَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْكِتَابَ وَخَوَّلَهُ الْغَنَاءَ إِنَّهُ يُجِيبُ عَنْكَ الْفِتْنَةَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَكْنَا فِيهِ الْكَافَّةَ إِنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ الْفِتْنَةُ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ فِي أَمْرِهِ إِنَّهُ يَوْمًا ذُو أَلْوَانٍ لِيَبْهَرَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْكِتَابَ وَخَوَّلَهُ الْغَنَاءَ إِنَّهُ يُجِيبُ عَنْكَ الْفِتْنَةَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(9) A view of the quarantine disinfection in Geddah in 1321.



11. Geddah and Customs House

فإن الطبع والنسخ هو اسم من أسماء اللغات العربية التي هي لغة العرب في كل عصر من عصورهم

أَخْبَرَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ



12. Procession of the Mahmal at Jeddah & the (falsely ascribed) mausoleum of Hawa (Eve)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَخُفُّهُمْ فِتْنَةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَةِ وَقَالُوا لَوْلَا نُنَزِّلُ الْفُرْقَانَ فَيُدَّبِ اللَّهُ يُجِيبُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ وَلِيُتَبَأَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْهُمْ أَهْلًا حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْبُيُوتَ يَبْغُوا الْفُرْقَانَ

وان أخذ الرسوم يستغرق زمنا طويلا ولذلك اضطر الحجاج الى افتراش الأرض الرطبة ليلتهم حتى انتهت مهمة التحصيل التي تستنفد من كل حاج نحو خمس دقائق، وفي الباهرة ما لا يقل عن ستمائة حاج — وكان خيرا من هذا أن تسلم الرسوم كلها من أمير الحج الى المحافظ دفعة واحدة وتحصل من الحجاج مع رسوم إجازات السفر من مصر كما يؤخذ مع هذه الرسوم أيضا أجرة نقل أمتعة الحجاج من الباهرة الى الساحل ويتولى الأمير دفعها الى الرئيس المنجلين (الحمالين) وأرباب السفن حتى لا توجد منازعات ما بينهم وبين الحجيج، وقد كتبت الى الحكومة بهذا مقترحا تنفيذه فأجابت، ولما عينت أميرا للحج في سنة ١٣٢٠ وبلغت جُدة كلمت محافظها سعادة على معنى بك أن يأذن لمرافق المحمل بالخروج من الميناء قبل دفع الرسوم وتعهدت بدفعها له مرة واحدة فأذن بذلك وكنت طبعت بطاقات بأرقام متتابعة كتب على كل منها «حاج مرافق للمحمل المصري» وأعطى لكل حاج واحدة منها وكانت تؤخذ منه ساعة خروجه وتضم الى غيرها ودفعت الرسوم الى المحافظ بعددها بعد أن أرسل لى مأمور «الكورنتينه» الكتاب التركى الذى تراه فى (الرسم ١٠)، وبهذا تمكنا من إراحة الحج ومنع التراحم وإنقاذهم من المكث زمنا طويلا على أرض رطبة فى جورطب، وكذلك اتفقت فى هذه السنة مع أرباب السفن والمنجلين، وبهذا انقطعت المنازعات والاختلافات .

نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر — نقلت الأمتعة من الباهرة الى البر ووضعت فى الطريق أمام بناء الجبرك (أنظر الرسم ١١ وترى فيه أعمدة البناء فوقها قوائم الخشب بدون سقف) وأحيطت بسور من عساكرنا ثم أخذ الحمالون فى نقلها الى المعسكر بجوار القبر المكذوب على أمنا حواء على مسافة ميل تقريبا . ولما كان نقل المتاع على ظهورهم يستنفد يومين أو ثلاثة قصدت رئيس البلدية فى مكانه القريب منا ورجوته مساعدتنا فى نقل الأشياء الثقيلة التى منها كسوة الكعبة وساعتئذ حضر «القائمقام» خالد بك (قومندان) العساكر فرجوته

أيضا فبعثا مندوبين من قبلهما للتجار أصحاب العربات ، وبعد ساعة أحضروا سبع عربات صغيرة أشبه بعربات نقل الرمل عندنا ولكنها دونها فساعدتنا كثيرا ، ولما جنّ الليل واقرب غلق أبواب الجمرک وخفت أن يبيت بعض الأمتعة بالميناء ويتعطل لديها قسم من العساكر لحراسته — رجوت رئيس الشرطة (الحكيمدار) في تأخير الغلق مدة وجيزة فلبى الرجاء ووقتئذ أمرت بحمل الأشياء الخفيفة وعلف الدواب على ظهور الخيل والبغال وأمرت العساكر أن يحملوا ما استطاعوا حمله فلم تأت الساعة الثالثة ليلا إلا وقد تم نقل جميع الأمتعة الى المعسكر، ومع أن النقل كان في الظلام الحالك والزحام بالغ أشده والمسافة بعيدة — لم يفقد شيء ما ، وان هذا لدليل قاطع على همة الحراس بجدة وكإل يقظتهم وتنبه رجالنا ، على أنه — والحمد لله — تكاد السرقات بجدة تكون معدومة مع شدة الزحام بها في موسم الحج ولكن هذا لا يمنع من التيقظ والاحتياط ” اعقلها وتوكل “ .

الاقامة في جدة

أقمنا بجدة من الساعة الثانية العربية من يوم الأحد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣١٨ الى الساعة الحادية عشرة نهارا من يوم الخميس ٢٣ منه وذلك لفقدان الجمال التي تقلنا الى مكة . وقد احتفل بالمحمل في جدة في اليوم الثاني احتفالا رسميا فتراصت عساكر الدولة العلية صفين متقابلين معهم الموسيقى — وكان عددهم ٤٠٠ من العساكر النظامية ، و ٢٠٠ من غير النظامية — وكان ذلك خلف الجمرک وحيء بالمحمل في الساعة الأولى العربية الى مجتمعهم يتقدمه الأمير وأمين الصرة ويحيط به حرسه وتضام الكل وسار المحمل بين الصفوف يحوب شوارع المدينة جريا على سنته الماضية وكان يوما مشهودا إذ كان جميع الضباط والموظفين بلباسهم الرسمي وموسيقى الدولة — وعدد رجالها ثمانون — تصدح مع موسيقانا بالأناغم الشجية ، وكنت ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة لا تقرأ عليها الا آيات الفرح والسرور واذا أضفت الى ذلك منع الزحام بفضل النظام الذي وضعه القائد خالد بك أدركت أن الناس قد

بلغ الفرح من نفوسهم مبلغا عظيما، وقد انتهت الحفلة برجوع المحمل حيث بدأ سيره بعد أن صدحت الموسيقى بالسلام السلطاني فالسلام الخديوي وبعد الاحتاف لها بالعز والبقاء . (أنظر الرسم ١٢) .

تبادل الزيارات بجدة — قد زار حاكم جدة الملكي وحاكمها العسكري بملابسهما الرسمية أمير الحج وأمين الصرة ورئيس الحرس كلا في خيمته وقدمنا لهما القهوة والشراب الحلو ورددنا لهما الزيارة في اليوم التالي، وكذلك زار رئيس تجار جدة سعادة عمر نصيف باشا الأمير والأمين ولم يتكنا من رد الزيارة له لضيق الوقت وقد بلغنى وأنا بمكة امتعاضه من تركهما لزيارته فأخبرته أننا رددنا له الزيارة بمحله بمكة لئيسرى عن نفسه ، وقد كان أهالى جدة صغيرهم وكبيرهم يتواردون علينا عصر كل يوم لمشاهدة المحمل وسماع الموسيقى والمزمار البلدى حتى مغرب الشمس ، ومن بعد العشاء الى الساعة الثالثة بعد الغروب ، وأيام وجود المحمل بجدة تعتبر عند أهاليها مواسم فرح وسرور وإنهم ليجوبون سماع الألحان حبا جما ، وكأن ذلك مركز في طبيعتهم مفطورة عليه نفوسهم .

معارفنا بجدة — قد تعرفنا برئيس المحكمة الأهلية ومأمور الأوقاف ، وكان صلة التعارف بيننا مدير البريد والإشارات البرقية عبد الرحيم محب افندى التقى الورع الصالح الأمين الذى سبق أن تعرفنا به بسواكن منذ كان هناك مدير البرق (التلغراف) للدولة العلية وكنت بها أركان حرب في سنة ١٨٩٦ ، وتاليتيا (ورسم الثلاثة كما فى اللوحة ١٣) . وتعرفنا أيضا بالشيخ سليمان بن عبد الله البسام وكيل أمير نجد والتاجر ذى الخلق الطيب والمروءة والشهامة ، وقد دعانى مع حضرة صهرى العلامة الكامل التقى الشيخ محمد طموم الى منزله فأكرمنا وأتحفنا بلذيذ حديثه وشعره وقد حضر الى مصر فى نحو سنة ١٩١٢ م وارتسمنا معا ونحن نشرب القهوة كما ترى فى (الشكل ١٤) .

مأمور الأوقاف ورئيس المحكمة بجدّة

مدير البريد والتلغراف



مدير البريد والتلغراف - مأمور الأوقاف - رئيس المحكمة بجدّة

13. The Director of Post and Telegraph. The Director of Wakfs. The Chief of Court at Geddah.

حجّة ٢٠

سليمان بن عبد الله البسام وأمير الحجاز



سليمان بن عبد الله البسام وأمير الحجاز

14. Soliman ibn Abdulla el Bassam and Amir el Hag.

وكذلك تعرفنا بالطيب محمد حسين افندى نائب "قنصل" انجلترا للرايا الهنود (أنظر الرسم ١٥) .

ما يلزم الحاج بجدة — يلزمه شراء النعال المشروعة للحرم وشراء الشقاف التى توضع على ظهر الجمل ويركب عليها شخصان كل فى عدل منها وثمان الشقاف من ١٢٠ قرشا مصريا الى ٥٠٠ قرش ، والاختلاف فى الثمن من الدقة فى الصناعة أو الزخرفة ، ولهذه الشقاف أعمدة توضع عليها الأغطية من طنافس (أبسطة) عجمية أو ملاءات مصرية أو أخيشة كنانية يشتري كل مايناسب ثروته وثمان (الكليم) العجمى من ١٣٠ الى ٣٠٠ قرش حسب الاختلاف فى الشكل والصنعة .

وصف جدة بشكلها الحاضر — جدة (بضم الجيم وتشديد الدال المفتوحة) بلدة كبيرة وميناء مكة العظيمة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر واقعة على الدرجة ٣٦ والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط

(١) لما كان لهذا الطيب ما ترجمه على الهنود الذين يحجون الى البيت الحرام رأينا أن نذكر فى رحلتنا كلمة عن حياته إنصافا للعاملين وتحليدا لذكرى المخلصين فنقول : هو محمد حسين ابن الشيخ عبد الله الطيب الذى تنتهى سلسلة نسبه الى سيدنا أبى بكر الصديق ولد بمدينة "الله آباد" فى سنة ١٨٦٣ وتلقى علومه الأولية بين أسرته وحفظ القرآن وتعلم اللغة الأردية والفارسية والانجليزية وبرع فى ثلاثها ونال درجة فى علم الطب والجراحة من كلية بنجاب فى سنة ١٨٩٠ وعين مساعد جراحة فى الحكومة الهندية وأدار عدة مستشفيات ثم عين نائبا لقنصل برطانيا بجدة فأزال ما كان من سوء التفاهم بين البدو والقناصل ومنحته حكومة الهند لقب "خان بهادر" سنة ١٨٩٨ ومن حسن سياسته أكتسب رضا عون الرقيق باشا أمير مكة وأحمد باشا راتب والها ، ولكنها تقا عليه لما أن غرهما ١٠٠٠٠ جنيه انجليزى عوضا عن السرقات التى حلت بمحاج الهنود وعن الخسارة التى لحقت التجارة الهندية ولكن ما لبث أن استمالها نحوه حتى كان طيب الشريف من داء السكر الذى أصابه فى مرضه الأخير ، وقد طاف أنحاء أوروبا خمس مرات وكل جهات آسيا عدا التبت والأفغانستان وبعض بلاد الغربيين وطاف فى بعض جهات أفريقيا ، وقد برح جدة فى ابريل سنة ١٩٠٩ لاعتلال صحته فكث بانجلترا سنة وبمصر أخرى ثم استقال فى سنة ١٩١١ وأقام فى (بالله آباد) منشئه وأسس فيها دبغا على الطراز الحديث كلفه ما ينوف على ٢٠ ألف جنيه — ملخص

عن كتاب بعث به إلينا فى ٢٥ مارس سنة ١٩١٤

العرض الشمالية يحيط بها سور ذو خمسة أضلاع يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد في ٤٥ دقيقة وارتفاع السور ٤ أمتار وبه تسعة أبواب، ستة في الجهة البحرية وثلاثة في الجهات الأخرى وأول من بناه السلطان الغورى من ملوك مصر في سنة ١٥٩٥ هـ. وبها حوالى ٣٣٠٠ منزل مبنية بالحجر الأبيض المستخرج من البحر، ويتكوّن المنزل من طبقتين الى خمس — والوجهات الامامية من البيوت بها الراشن [الخارجات المسقوفة] المصنوعة من الخشب الهندى الأحمر المخروط (الرسم ١٦) . والبيوت العالية ذات الموقع الجميل والمنظر البهيج يسكنها أكابر البلد ووكلاء الدول التجاريون (القناصل) من روس وإنجليز وفرنسيين ونمساويين وإسويين ونروجيين، ومن أغنى بيوتها بيت السيد عمر السقاف الشريف السرى (الرسم ١٧) . ومنزل المحافظ الذى تراه (في الرسم ١٨) وانه لآية في الإبداع وبه حديقة غناء . وبجدة محل للحكومة وثكنات للعساكر (الرسم ١٩) . ومكتب للإشارات البرقية وبناء نغم للجلس البلىدى والحجر الصحى (الرسم ٩ السابق) كما تجدد بالساحل بناء الجمر (في الرسم ١١ السابق) . وبها خمسة جوامع وثلاثون مسجدا مفروشة بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة إلا أنها تكون مبللة عند رطوبة الجو وهى مرتفعة عن مستوى الشوارع بنحو ثلاثة أمتار، يصعد إليها بدرج منتظم من الحجر وليس بها بيوت خلاء ولا ميضآت، وبها حمام واحد ونزلان (لوكاندتان) وأربعون قهوة وصيدلية ومكتب تعليم راق وتسعة للصبيان ومستشفى ومصنع للخير ومذبح وأربعون مخزنا تجاريا وتسعمائة دكان وآلة بخارية لطحن الحبوب وسبع وأربعون طاحونة ومثلها مخازن وعشرة مطابخ وسوق لبيع السمك وآخر للصدف ومكاتب للبريد وبها جبانة قريبة من ثكنات العسكر، يحيط بها سور يباغ طول ضلعه الشمالية ١٦٠ مترا، وفي وسط الجبانة قبر أمنا حواء (المكذوب) طوله نحو ١٥٠ مترا وعرضه أربعة أمتار وارتفاعه متر، عليه ثلاث قباب على الرأس والسرة والرجلين كما يزعمون (الرسم ٢٠) .

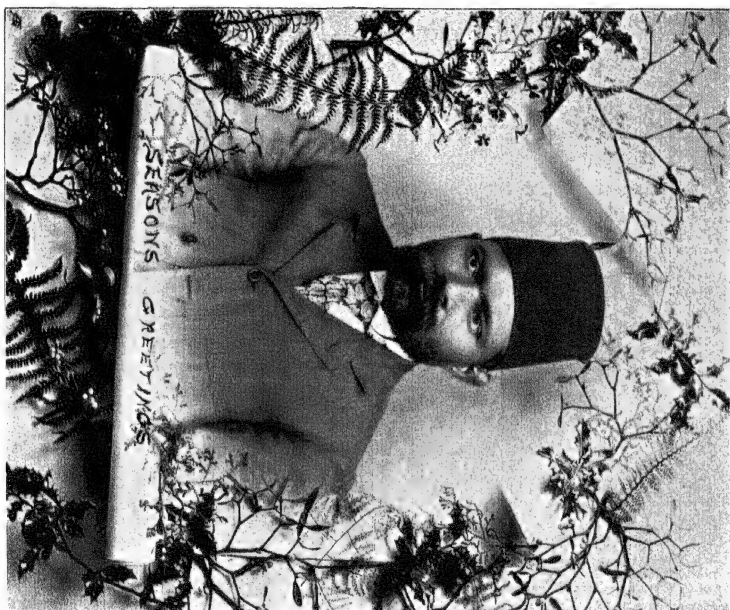
وبجانبه كثير من الشحاذات يلتمسن الصدقات على خرق بسطنها أمامهن .

الْمَرْحُومَةِ فَسَبَّحْتَ وَتَعَالَى كَرَامَةُ

22. Answer

صحيفة ٢٢

وَالطَّبِيعُ وَالسَّيْحَانُ يَمْنَعَانِ الْغُلَامَ وَهُمَا يُدْعَىٰ بِهِمَا الْغُلَامُ



10. Doctor Mohammed Hussein, the British Vice-Consul Gaddah.

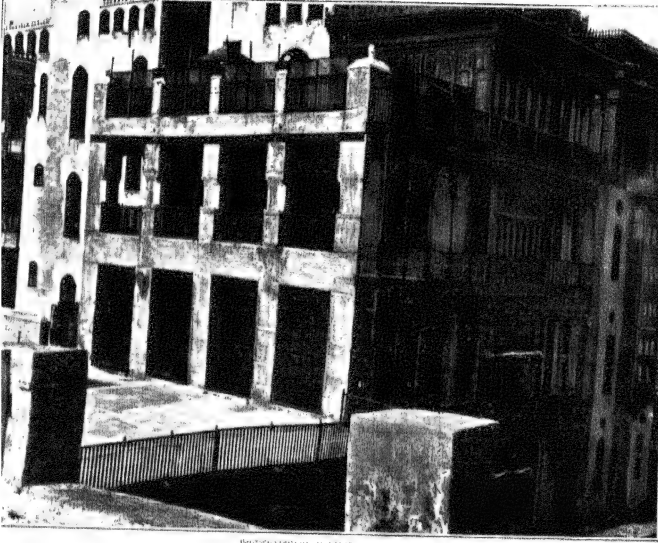
وَسَمِعْنَاكَ جَلَّةَ الْمَشْرِقَةِ الرَّفِيعَةِ



وَمِنْهُمْ مَنْ يَخُفُّهُمْ فِتْنَةُ الْيَوْمِ وَالْآخِرَةِ ۚ وَأُولَٰئِكَ أَسْفَلُ الْمُنَافِقِينَ

16. Geddah with its splendid buildings and magnificent houses.

بَيْتُ السَّيِّدِ عَمْرِو السَّكَّافِي فِي جَدَّةَ



بَيْتُ السَّيِّدِ عَمْرِو السَّكَّافِي فِي جَدَّةَ

17. The house of El Sayed Omar el Sakaf in Gedda.

بَيْتُ الْوَلِيِّ فِي جَدَّةَ



بَيْتُ الْوَلِيِّ فِي جَدَّةَ

18. Palace of the Deputy Waly at Geddah.

﴿ قشلاق العساكر الشاهانية بجده ﴾



قشلاق العساكر الشاهانية بجده

19. A view of the Turkish Barracks at Gedda.

﴿ قشلاق أمنا بجده ﴾



قشلاق أمنا بجده

20. The view of Hawa (our mother) in Gedda in 1321.

وشوارعها مختلفة السعة من ٨ أمتار الى ١٥ مترا وحرارتها ضيقة وغير منتظمة .
 وبجدة مجارٍ لتصريف مياه المطر الى البحر كما بها ٨٠٠ صهريج داخل البلد
 وخارجها - معدة لخزن مياه المطر وبيعها في موسم الحج ولكنها الآن معطلة إذ ترد
 المياه الى جدة من عين تبعد عنها مسيرة ساعتين ونصف وتسير في مجارٍ مبنية تحت
 الأرض حفرها المصلح عثمان نوري باشا والى مكة سابقا ، وخارج البلد أيضا آبار
 محفورة وأنابيب في الأرض مرسوزة تخرج منها المياه بالآلات الماصة (آبارارتوازية)
 وبعض المياه عذب وبعضها به يسير الملوحة .

والمحمل يستورد مياه الشرب من أعذب الآبار بواسطة سقائين من جدة
 يتقاضون أجرة وبقرب معسكره صهاريج مفعمة بالمياه يؤخذ منها عند الحاجة .
 وبالمدينة مجلس بلدى أعضاؤه من الأهالى ومجلس للأحكام وقاض شرعى . وجميع
 الأهالى مغرمون بشرب التبغ (التبناك) والشاى والقهوة وبها كثير من الصبار يوضع
 على القبور استرحاما للوفا .

سكان جدة - أهالى جدة خليط من أجناس شتى مكين ويمينين
 وحضرميين (من حضرموت) وهنود وترك وشوام ومصريين وقصيريين (من القصير)
 وعددهم حوالى ٢٥ ألف نسمة ويبلغ من فيها في موسم الحج خمسين ألفا الى ستين
 ويمر بها من الحجاج كل عام نحو ١٢٠ ألف حاج .

تجارتها - جدة مرفأ مكة التجارى بل هى مرفأ المجاز المهم لذلك ترى
 ميناءها مملوءا بالسفن التجارية كما تراه (في الرسم ٨ السابق) .

ويرجع اتخاذها مرفأ تجاريا لمكة الى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى
 الله عنه فانه فى سنة ٢٦هـ أعتمر من المدينة وأتى مكة فسأله أهلها أن ينقل ساحل مكة
 القديم من الشعبية (جنوبى جدة الآن) الى جدة لقربها من مكة ، فخرج بنفسه الى
 جدة ورأها واغتسل من البحر وقال : إنه مبارك وقال لمن معه : ادخلوا البحر مغتسلين^(١)

(١) فليس الاستحمام فى البحر الملح ومعرفة فوائده من مبتكرات أوربا وإنما سبقهم الى ذلك ثالث

الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ولتكونوا مؤثّرين، ومن ذلك الوقت استمرت جدّة ميناء مكة الى اليوم، وتأتى اليها التجارة من مصر وسواكن وزنجبار والصومال والهند وجاوة والروملى والأناضول وسوريا وبلاد المغرب والعراق والبحرين ومسقط واليمن وأوربا وآسيا وغيرها، ومن أصناف التجارة البن والصمغ العربى وأنواع الروائح وريش النعام واللؤلؤ والصدف والمرجان ودهن البلسان ودهن الورد، وترد اليها الحنطة والأرز والصابون والسكر من مصر وسن الفيل والأرز الهندى وعدد الجمال من الهند، وقد بلغت رسوم الواردات فى سنة ١٣٠٢ هـ ٦٣٧٩١٦ قرش عثمانى و٣٦ باره .

السفر من جدّه الى مكة

قبل المغرب بساعة من يوم ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (١٤ مارس سنة ١٩٠١) تحرّك ركب المحمل من جدّة ميمّا مكة وقد حينه فرقة من الجند العثمانى برآسة « القائمقام » خالد بك وشيعه أهل جدّة الى أبعد من ميل، وقد جدّ بنا السير حتى بلغنا ببحرّة لتّام الساعة العاشرة العربية ليلا وبتنا بها على مقربة من قلعتها التى يربط بها بعض الجنود، وفى منتصف الساعة التاسعة من يوم ٢٤ تابع المحمل سيره الى أن وصلنا الى قهوة البوغاز أو البستان فى الساعة السابعة ليلا فاسترحنا بها الى منتصف الساعة الثانية عشرة ثم ارتحلنا فوصلنا مكة لتّام الساعة الأولى من صباح يوم ٢٥ ذى القعدة .

والطريق بين جدّة ومكة واد رملى إلا فى موضعين منه حيث يوجد حصا صغير الحجم وكبيره ولكن ذلك لايشغل من الطريق إلا حوالى نصف ميل، وقيل مكة بنحو أربعة أميال تجد مدرجا حجريا مرتفعا قليلا ثم بعده يستوى الطريق وإن كان حجريا تكثرفيه التعريجات حتى يخيل الى الرأى أن الطريق سدّ لاقتراب الجبال المواجهة وهو صالح لمّد القضبان الحديدية به والوادى يحفه من الجانبين الجبال والتلال المتشابهة الضارب لونها الى السواد والنابتة فيها الأشجار وهى تارة تتقارب فيضيق الوادى وتارة تتباعد فيتسع، وبالطريق بضع عشرة قهوة لراحة الحجاج وتقديم الشاى

والقهوة لهم ، وبه جملة قلاع ذات اليمين وذات الشمال يقيم بها جنود أترك ، وبه أماكن أخرى يقطنها عساكر الشريف غير النظامية وهؤلاء الحراس وجدوا للحفاظ على الأمن بالطريق ولكنهم كما سمعت لا يفارقون أما كنهم لرد الغارات والضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطريق ولو كان ذلك بمرأى منهم ومسمع إلا إذا أمرهم الوالى وأين هو منهم . وكثيرا ما سلب الحجاج أمتعتهم إذا تأخروا عن القافلة لإصلاح الأحمال أو قضاء بعض الضرورات ، وإذا ما سئل هؤلاء الحراس لماذا لا تقومون بالواجب قالوا (أمر يوك) أى ليس عندنا أمر — فما أقبح العذر . وقد كانت العساكر تؤذى للحمل التحية العسكرية عند مروره بها وتديره الطريق بحرق كومات من الأخشاب تباعا وضعت فوق آكام مرتفعة وجمعت لهذا الغرض وكنا نسير على ضوءها نحو ألف متر .

وقد رأينا أن نصف لك بالتفصيل الطريق من مكة الى جدّة وما فيه من القلاع والقهاوى والانحراف والاستقامة حسب ما جاء فى رحلة سنة ١٣٢٠ إذ هو أوفى وأبين فنقول :

فى يوم الجمعة ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٢٠ فى الساعة الثانية العربية نهارا بدأنا السير من جدّة على أرض سهلة بين نشوز رملية ناحين نحو الجنوب الشرقى على ١١٠ مئة دقيقة وإذ ذاك تباعدت التلال وآتسع الوادى وما زال السفر يجذبنا الى أن وصلنا الى « رأس القائم » فى س ٥ وق ٢٥ وهناك وجدنا مخفرا به جملة عساكر نظامية مع بعض الضباط كما وجدنا قهوة يباع بها الشاى والقهوة فى زمن الحج ، كسائر القهاوى التى على هذا الطريق وتابعنا السير فوصلنا الى « الرغامة » بعد س ٦٠ وهناك على نشز من الأرض قلعة بها بعض الجنود وقهوة ، وقد وقفنا بالرغامة لحظة قدم لنا فيها الماء البارد تحية مباركة ، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا فسرنا مشرقين على ٩٠° وإذ ذاك أخذت الجبال تقترب منا تارة وتبتعد أخرى فيضيق الوادى ويتسع ما بين ١٨٠ متر الى ٣٦٠ بالتقريب ثم تغير الاتجاه الى الجنوب الشرقى فسرنا على ١١٠° الى أن وصلنا الى موضع يدعى « جرادة » فى س ٧ وق ٤٥ .

وبه قهوة متسعة مبنية بالحجر ومسقوفة، وعلى نحو ١٠٠ متر منها يوجد بئران مأهوما فيه شيء من الملوحة — سقينا منهما الخيل والبغال وأسترحنا ٥٥ ق وواصلنا السير في س ٨ وق ٤٠، وعلى نحو ١٠٠٠ متر وجدنا على اليسار «قلعة الكانة» على مرتفع من الأرض كسائر القلاع في الطريق وبها ضابط وعشرون جنديا، ومن هذه القلعة كانت الأرض محصية مسافة ميل بالتقريب . وفي الساعة ٩ والدقيقة ٢٠ تغير اتجاهنا الى الشمال الشرقى فسرنا على ٧٥° ووصلنا الى «قلعة الكانة» الثانية في س ٩ وق ٣٠ وبها ضابطان وخمسون جنديا والماء بعيد عنها بمسافة تستغرق ساعة ونصف بل الماء بعيد عن كل القلاع إلا ما ندر ويوجد بها قهوة، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا الى الجنوب الشرقى على ١٤٠° ولتنام الساعة العاشرة مررنا ببرج «القلعة البيضاء» وهو على اليسار به رئيس العشرين (جاویش) و ٢٥ جنديا وفي س ١٠ وق ١٠ أجتزنا برجا صغيرا على اليمين به بعض العساكر، وفي س ١٠ وق ٤٥ وصلنا الى «قلعة العبد أو قلعة سالم» وهى على اليمين وبها أربعون جنديا وقهوة وعلى مقربة منها بئر تسمى بئر البجادية ، ومن هذه القلعة آنفصح الوادى وتغير الاتجاه الى ١٠٠° وقد وصلنا الى قلعة «الثديين» س ١١ وق ٣٠ وبها ١٥ جنديا و «جاویش» وهى على اليسار على أكمة مرتفعة وهناك الأراضى رملية صالحة للزراعة وفيها مراعى ومن هذه القلعة تغير الاتجاه الى ٧٠° وبلغنا قرية «بحرة» في س ١٢ أى وقت المغرب وإذ ذاك أخذت منظر المعسكر كما تراه (في الرسم ٢١) . وبحرة وتسمى بحرة الرءاء على يسار الميمم مكة وبها أكواخ حقيرة وحظائر للابل وقهاوى ومسجد صغير بمئذنة بنى أصله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من غزوة الطائف سنة ثمان وصى فيه كما جاء فى سيرة ابن هشام وفيها عقب ذلك . قال ابن اسحاق : فحدثني عمر ابن شعيب أنه أفاد يومئذ ببخرة الرءاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أقيده فى الاسلام رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . اه . ولكن فى زاد المعاد فى هده خير العباد فى غزوة الطائف ما يأتى :

مِنْظَرُ رَكْبَةِ الْحَجِّ بِمَنْحَطَةِ الْحَجَّةِ

امير الحج محرم وجالس فوق اجولة البقساط وعلى يساره الضوئى حاملا الآلة الفتوغرافية جانا على ركبتيه والواقفون الحرس



21. The Mahmal at Bahrah, the first station between Geddah and Mecca

مِنْظَرُ مَحْطَةِ بَحْرَهَ عَلَى نَهْرِ الْيَمَنِ عَلَى شَطْرِ بَلَدِ يَمَل

البناء المرتفع قلعة بحره وهى اكبر القلاع واقواها قوة بين جده ومكة وهى على يمين الناظر الى الرسم وما بأسفله زريبة من عيدان الاشجار



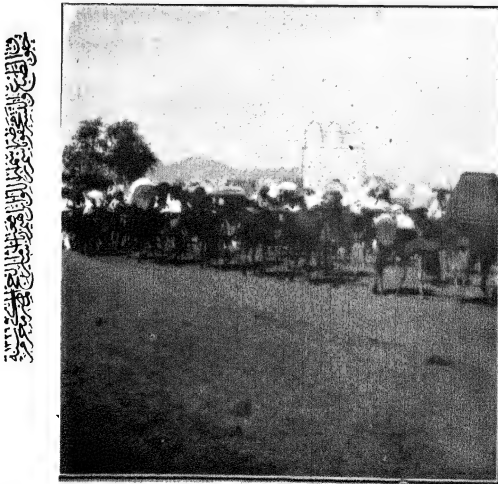
22. Bahrah and mosque where the Prophet Mohammed prayed

امير الحج محرم وخلفه مظلة بيضاء والشجر الاسود شجر الحرم



23. Heddah and an old Mosque.

العلمين بالشميسي بالقرب من الحديدية



25. Two landmarks at the outskirts of the Haram at Shumaisi.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف الى الجعرانة ثم دخل منها محرما بعمرة ففضى عمرته ثم رجع الى المدينة . اه .

والطائف في الجنوب الشرق لمكة والجعرانة بينهما لكنها أقرب الى مكة فكيف يتفق مع ذلك أنه مرّ بحرة منصرفة من غزوة الطائف مع أنها غربي مكة ولا تقل المسافة بينهما عن ثلاثين ميلا ، وبين الجعرانة ومكة حوالى عشرة أميال ، إنا لذلك نقف موقف الشك فيما رواه ابن هشام ونقله عنه كثير من المؤرخين حتى يأتينا اليقين . ويتفرع من بحرة طريق آخر الى مكة يسير نحو الجنوب الشرق ويقول الخبيريون : إنه أقرب إليها وأسهل من طريقنا لقلة التعاريج به . وبحرة جملة قهاو وقد بتنا بها ليلة السبت غرة ذى الحجة سنة ١٣٢٠ وارتحلنا منها فى س ١٢ آخر الليل ورأينا على يسارنا قلعة بحرة على نحو ميل من القرية وهى أكبر القلاع وأمتنها وبها ثلاثة ضباط و ١٠٠ جندي ، ولتأم الساعة الثانية العربية نهارا مررنا «ببئر أم القرون» وهى على اليسار مبنية بالحجارة وعمقها ١٠ أمتار لها أربعة أعمدة تدور عليها أقطاب البكر التى ترفع بها الدلاء ، وماء هذه البئر عذب فوات ، وفى منتصف الساعة الثالثة وصلنا «حدة»^(١) (بالحاء المهملة) وهى بلدة صغيرة على اليسار بها حصن ومسجد ذو مئذنة وعين ماء حلوة وبئران على يسار الطريق وبها نحو ٦٠٠ نخلة يملكها عون الرقيق باشا شريف مكة كما قيل لنا ، ورسم حدة تراه فى (الشكل ٢٣) وفيه تجد بالأرض شجر الحرمل وأشجارا أخرى صغيرة مختلفة الأجناس وترى أمير الحج جالسا على مقربة من شمسية ألقت بها الرياح . وكان الحمل يبيت أولا بحدة ثم عدل عنها الى بحرة لما أن تعدى أهلها عليه . وفى ختام الساعة الرابعة مررنا ببرجين على اليمين فوق جبل هنالك بينهما نحو ٣٠٠ متر وبهما ضابط و ٤ عسكريا ، والقوة بالبرجين مؤقتة تحضروقت مرور القوافل فقط ثم ترجع الى مستقرها بقلعة الشميسى ومن هذين البرجين تغير الاتجاه الى ١٤٥° وضاق الطريق وعند الساعة الرابعة والثالث بلغنا قلعة الشميسى وهى شامخة البناء وبها

(١) ويسمونها قديما حداء - قال أبو جندب الهذلى :

بقيتهم ما بين حداء والحشا * وأوردتهم ماء الاثيل فاصما

ضابطان و ٥٠ جنديا ، والطريق لديها متسع وسهل غير أن الجبال اليمنى قريبة منه وإن كانت تنأى بعد ذلك ، وبقرب القلعة قهوة وبعض أكواخ وبالشميسى مسجد يسمى (مسجد الشميسى أو مسجد البيعة) وهو على اليسار مربع الشكل طول ضلعه ١٥ مترا ومبنى بالحجر الأزرق بناء متينا ومجصص وبه ثلاثة أروقة (بواكى) وقبلته مكتوب فيها : هذا مسجد بيعة الرضوان مأثرة من مأثر حبيب المنان عمره الملك الى رحمة الرحمن : المغفور له السلطان محمود خان سنة ١٢٥٤ هـ . وهذا المسجد موضع الشجرة التى بايع عندها الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان عام الحديدية وأزل الله تعالى فى تلك البيعة (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وبالشميسى بئر عمقها ١٠ أمتار بالتقريب مبنية بالحجر وماؤها مقبول . ومنها تغير الاتجاه الى ١١٠° وفى الساعة الخامسة نهارا وصلنا الى العلمين ومنها يتدنى الحرم من الجهة الغربية وهما عمودان مبيان بالحجر ومجصصان مربعا الشكل سمك كل منهما متر وارتفاعه أربعة أمتار وبين العلمين مسافة ٥٠ مترا ويجوار العلم الشمالى بئر مبنية بالحجر سمك حائطها ١,١٠ متر وقطرها أربعة أمتار وعمقها نحو ١٥ مترا ويجوارها مشرب (سيل) مبنى بالحجر بناء متينا ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل وتاريخ بنائه سنة ١٢٦٣ وبجانبه شجرة من السدر (النبق) ، ويجاور العلمين تلال رملية وتجعد (فى الرسم ٢٤) أمير الحج مرتديا لباس الإحرام على يمينه مسجد الحديدية وتجعد فى الرسم ٢٥ أحد العلمين واضحا تمام الوضوح . وفى الساعة السادسة رأينا الجبال نتداني وتغير الاتجاه الى ٧٥° أى الى الشمال الشرقى ، وبعد ثلث ساعة وصلنا الى قهوة العبد (أو البزم أو سالم أو البوغاز) وأسترحنا بها ثلثى الساعة ثم سرنا وتغير اتجاهنا عند الساعة ٨ الى ٩٠° ومررنا بعد ١٠ دقائق «بقلعة المقتلة» وهى على اليمين بها حراس نظاميون وتحته بئر مطوية بالحجر وعمقها حوالى ٢٠ مترا وعليها دعمان لوضع محور البكرة عليهما ، ولها ثلاث درجات يقف عليها من يخرج الماء منها وماؤها عذب غزير ؛ وعند س ٨ وق ٢٥ تغير الاتجاه الى ٥٠°



24. The Mahmai and the Director of the Pilgrimage caravan in his Ihram dress.

وبعد ثلث ساعة تغير الى ٧٠° ، وفي س ٩ مررنا بقلعة (أم الدود) على يميننا
وأمامها بئر كسابقتها . وعند الساعة ٩ وق ١٠ تغير الاتجاه الى ٩٠° وأدركنا «قهوة
البستان» في س ٩ وق ٢٥ ولديها شجرة سدر . وبعد ربع ساعة مررنا ببلدة
الشریف حسين على يميننا وإذ ذاك أخذ الاتجاه ١٣٥° وبعد خمس دقائق اجتزنا
بيت السيد بن اسحاق شيخ السادة سابقا وهو على اليسار يبعد عن جادة الطريق
حوالى ١٤٠ مترا ومن خلفه بمائة متر قبور الشهداء ، وفيها قبر عبد الله بن عمر
الفقيه الكبير والمحدث الجليل والأثرى العظيم رضى الله عنه وعن أبيه أمير المؤمنين
ولكن في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة أن عبد الله بن عمر دفن بالحصب ،
وقيل : بذى طوى ، وقيل : بفخ ، وقيل : بسرف ؛ وفي كتاب شفاء الغرام
في أخبار البلد الحرام للثقي القاسى أنه دفن في مقبرة صديقه عبد الله بن خالد بن
أسد عند ثنية أذاخر وهى في الطرف الشرقى للحصب ، وذلك حسب وصيته
لصديقه وكل هذه الأماكن بعيدة عن مقبرة الشهداء التى زعموا أنه دفن فيها .
وعند س ١٠ أخذ الاتجاه ٩٠° ودخلنا مضيقا يسع قطارين أو ثلاثة من الجمال
قطعناه في دقيقة ثم انفرج الطريق . وفي س ١٠ وق ١٥ أخذ الاتجاه ١٥٠° مسافة
قليلة وأدركنا «قهوة المعلم» ولديها وقف الركب أمام المضيضة «المسافر خانة» التى
بناها السلطان عبد الحميد للفقراء وتبعد عن مكة بنحو ميل . ومن هنا نرجع بك الى

حج سنة ١٣١٨

قلنا فيما سبق : أن المحمل وصل الى المضيضة في الساعة ١ صباحا من يوم
٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨ وهناك وجدنا المطوفين ينتظروننا وقدموا لنا هدايا من
البطيخ والرومان وماء زمزم ، فأكلنا وشربنا حامدين الله شاكرين ووجدنا على مقربة
من المضيضة مندوبين من قبل الشريف والوالى أحدهما ضابط والآخر ملكى حضرا
لتهنئة الأمير وركبه بالقدوم من السفر وكان يصحبهما شرذمة من الجنود ، وقد تحرك
المحمل من هذا المكان بعد أن خلع لباس السفر وارتدى حلة القصصية يتقدمه ثلة
من الفرسان والموسيقى والمزمار البلدى يطربان بنغمهما الحضور والمستقبلين الى أن

وصل الى مقامه المعتاد بجهة جرول أو الشيخ محمود المجاور لحديقة عون الرفيق باشا،
وهناك نصبت الخيام بعد إزالة ما بالأرض من حجر ومدر وعرف كل مكانه وعين
الجنود الذين يقومون بالحراسة .

دخول مكة

بعد أن ألقينا عصا التسيار بجهة جرول غربى مكة واتخذنا منها مقاما محمودا
أما فيه على أمتعتنا هممنا بدخول مكة لأداء طواف القدوم تحية البيت الحرام
فاغتسلنا جميعا من بئرذى طوى اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه نزل في حجة
الوداع بذى طوى المعروفة بآبار الزاهر وبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من
ذى الحجة سنة ١٠ وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض الى مكة كما سيأتى ان
شاء الله تعالى فى سياق حجتة (أنظر المعسكر فى الرسم ٢٦) ترى به سطح المكان القائم
على البئر، وبعد اغتسلنا دخلنا مكة من الطريق المعروف بطريق المجون وهو طريق
ثنية كداء التى دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (أنظر الثنية فى الرسم ٢٧)
والثنية كما تراها فى الرسم طريق حجرى مرتفع الوسط فى شمال مكة واقع بين جبلين
على كل منهما برج بناه الشريف غالب فى سنة ١٢١٤ اتقاء لسعود بن عبد العزيز
الوهابى الذى جاء للحج فى تلك السنة ومعه من قومه أمثال الرمال ومن الثنية يهبط
المرء الى المعلاة مقبرة أهل مكة ويشقها الطريق شقين عن اليمين وعن الشمال ويحيط
بالمقبرة سور قديم مبنى بالحجارة وبها قبور كثير من الصحابة، وبالشق الأيسر قبة شاهقة

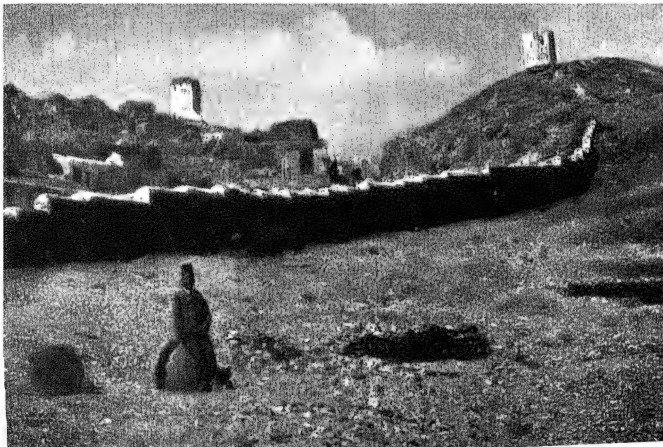
(١) قد جاء فى كتاب منتخب شفاء الغرام طبع أوروبا أنه فى سنة ٨١١ سهل بعض المجاورين موضعا
مستصعبا فى رأس الطريق وسهل أيضا بعض مجاورى مكة فى النصف الثانى من سنة ٨١٧ طريقا فى هذه
الثنية غير الطريق المعتادة بل على يسارها بطن منها الى المقبرة والأبطح كانت ضيقة جدا فنحت ما بينها من الجبل
بالمداول حتى اتسعت فصارت تسع أربع قطار من الجمال المحملة وكانت قبل ذلك لاتسع إلا واحدة وسهلت
أرضها بتراب ألقي فيها حتى استوت ورغب الناس فى سلوكها عن الطريق المعتادة وجعل بينهما حاجز من
الحجارة المرصوفة ثم جعل سودون الحمدي رئيس العائر بالمسجد الحرام سنة ٨٣٧ هذين الطريقين طريقا
واحدا فردم الطريق الجديدة المنخفضة عن القديمة بنحو قامة حتى سواها بالأولى وجعلها طريقا واحدا يسهل
عدة قطار، والمجون هو الجبل الذى فيه الثنية وهو المذكور فى شعر مضاض بن عمرو الجهمى .



جوليا في السودان

26. A view of the well of Towa in El Shaikh Mahmoud in 1325.

طريق مكة الذي كان يسلكه النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع



جوليا في السودان

27. The route on the plateau of Thannitte Kada by which the Prophet Mohammed proceeded to Mecca for his last pilgrimage (Al Wida'a - the "farewell") in the year 10 of El Hegra.



28. The dome of El Sayyida Khadija in El Maalla at Mecca,



29. A view of the domes of the grandfathers of the Prophet, Abdel Motaleb Abd Manaf, and his uncle Abu Taleb

قبة السيدة خديجة بنت خويلد بمكة المكرمة

قبة الجد عبد المطلب و جدته فاطمة

على قبر السيدة خديجة^(١) أم المؤمنين رضى الله عنها كما ترى فى الرسم ٢٨ وبه أيضا قبر زعموا أنه لآمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا آفتراء والحقيقة أنها مدفونة بالأبواء بين المدينة ومكة على نحو ١٣ ميلا من رايغ . وبه أيضا جملة قباب^(٢) قيل لنا : إنما على مقابر عبد مناف وعبد المطلب وهاشم أجداد النبي صلى الله عليه وسلم

(١) وهى زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به وقد واسته بما لها ونفسها وتزوجها صلى الله عليه وسلم وسنها ٤٠ سنة وسنه ٢٥ ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وهذه القبة بنيت فى سنة ٩٥٠ بالحجر الشمسى بمعرفة الأمير الشهيد محمد بن سليمان الجركسى أمين الدفاتر (دفتر دار) بمصر فى ولاية داود باشا نائب السلطان سليمان القانونى ، وكان على القبر قبل القبة تابوت خشبى وقد جعل محمد ابن سليمان المذكور خادم القبر مرتبا من صدقات السلطان سليمان ولكننى رأيت على القبة تاريخ سنة ١٢٩٨ فيظهر أنها جددت بعد سنة ٩٥٠

(٢) مما لا ريب فيه فى شرعتنا الاسلامية أن إقامة القباب على القبور محرمة بل ما هو دون القباب فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضى الله عنه أن لا يدع قبرا مشرفا إلا سواء بالأرض ولا تمثالا إلا لمسه — رواه النسائي — ومع هذا الحظر القطعى أكثر المسلمون من إقامة القباب فوق قبور من اعتقدوا فيهم الصلاح تقربا إليهم وإعظاما لهم وإشادة بذكهم ويعلم الله أن الذكرى إنما هى بالأعمال الطيبة لا بالأنبياء المشيدة وأن هؤلاء الموقى أحب الأشياء إليهم أن يؤتى بهم فى أعمالهم وأخلاقهم فإن ذلك ينفعهم فى أجدادهم إذ هم مثل أجر من عمل بعملهم ثم اذا كان الباعث على إقامة القباب ما ذكرنا من اعتقاد الصلاح والتقوى فلماذا نقيمها على قبر أبى طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد دعاه الى الاسلام فأبى حتى لفظ نفسه الأخير وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لله تنفعه شفاعتى فيوضع فى ضحضاح من نار) — الضحضاح — اليسير .

اللهم إني لا أظن سببا لإقامة القباب فوق قبور هؤلاء إلا قرباتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن القرابة وحدها غير منجية إذ لو أنجى قريب قريبه لنجى نوح ابنه ، وإبراهيم أباه ، ولوط زوجه ، وآسية فرعون ومحمد صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب ولكن لم ينفع هؤلاء أولئك لأن الانسان بأعماله لا بأعمال غيره (وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) والتفاضل إنما هو بالتقوى لا بالقرابة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ففى يتفقه المسلمون فى دينهم ويأتسون بنبيهم ويدعون هذه الخزعبات وتلك الترهات التى أخرت بديننا وأمتنا وتركنا مثلا سيئا فى الآخرين فاللهم اهد قومنا الى سواء السبيل .

وكذلك قبة على قبر عمه أبى طالب تراها فى (الرسم ٢٩) وفى (الرسم ٣٠) صورة عامة لمقبرة^(١) المعلاة وكذلك فى (الرسم ٣١) .

وقد زرنا هذه المقابر وقت مرورنا بها ثم سرنا الى سوق البلد ثم الى المسجد الحرام وهو على مسير نصف ساعة من معسكرنا وقد دخلنا المسجد من باب بنى شيبة المعروف بباب السلام وهو فى الجهة الشمالية الشرقية ، وعند رؤية الكعبة رفعنا الأيدي متضرعين الى الله وكبرنا وقلنا : اللهم أنت السلام ومنك السلام حينما ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو أعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرأ - وقد سمع هذا الدعاء سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله عنه يقوله ، ثم أتجهنا الى باب بنى شيبة الذى بداخل المسجد عند مقام ابراهيم وهو باب المسجد الأصيل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف بباب بنى عبد مناف ومنه دخل فى حجة الوداع وقد دخلنا منه آقتداء برسولنا عليه الصلاة والسلام وقلنا ساعة الدخول كما قال : ﴿ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا . وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبٰطِلُ إِنَّ الْبٰطِلَ كَانَ زَهُوْقًا ﴾ وإن ذلك لمكتوب فى أعلى الباب بالخط الجميل المذهب ، والباب عبارة

(١) وتسمى أيضا مقبرة الحجون وفيها يقول كثير بن كثير السهمي :

عني جودى بعبرة أسراب * من دموع كثيرة التسكاب
إن أهل الحصاب قد تركوني * موزعا مولعا بأهل الحصاب
كم بذاك الحجون من حى صدق * وكهول أغفة وشباب
فارقوني وقد علمت يقينا * ما لمن ذاق ميتة من إياب

والحصاب : المراد به المحصب وهو موضع الحجارة بمنى - وفى يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٠٨٦
. شرع الشيخ محمد على بن سليمان الوزير الذى حضر من اليمن فى هدم قبور المعلاة وبني مقبرة خاصة ذات
جدران ربيع وقسمها تقسيم الشطرنج وجعلها ذات بايين وهتك بذلك حرمة الأموات . وفى هذا يقول الشاعر :

تكفل ابن ساياب أذية من * قد وحده الله من حل فى الحرم
لحين عم الأذى الأحياء منه غدا * مفتشا لأولى التوحيد فى الرمم
طريقة من شقاء ما تناقلها * أهل التواريخ من عرب ومن عجم

وكان محمد هذا من أولع بتنظيم مكة ومناسك الحج .



30. A view of the Tomb El Maalla in Mecca.

مَعَارِجُ الْحَجَّاءِ وَالْمَسْكُوتَاتِ وَالْمَسْكُوتَاتِ وَالْمَسْكُوتَاتِ



مَعَارِجُ الْحَجَّاءِ وَالْمَسْكُوتَاتِ وَالْمَسْكُوتَاتِ وَالْمَسْكُوتَاتِ

31. The Medina showing the domes of El Sayyida Khadijah, El Sayyida Amnah, and the ancestors of the Prophet, Abdel-Mottalib and Abd Manaf.

٣٢ ٤٤٠٠٠

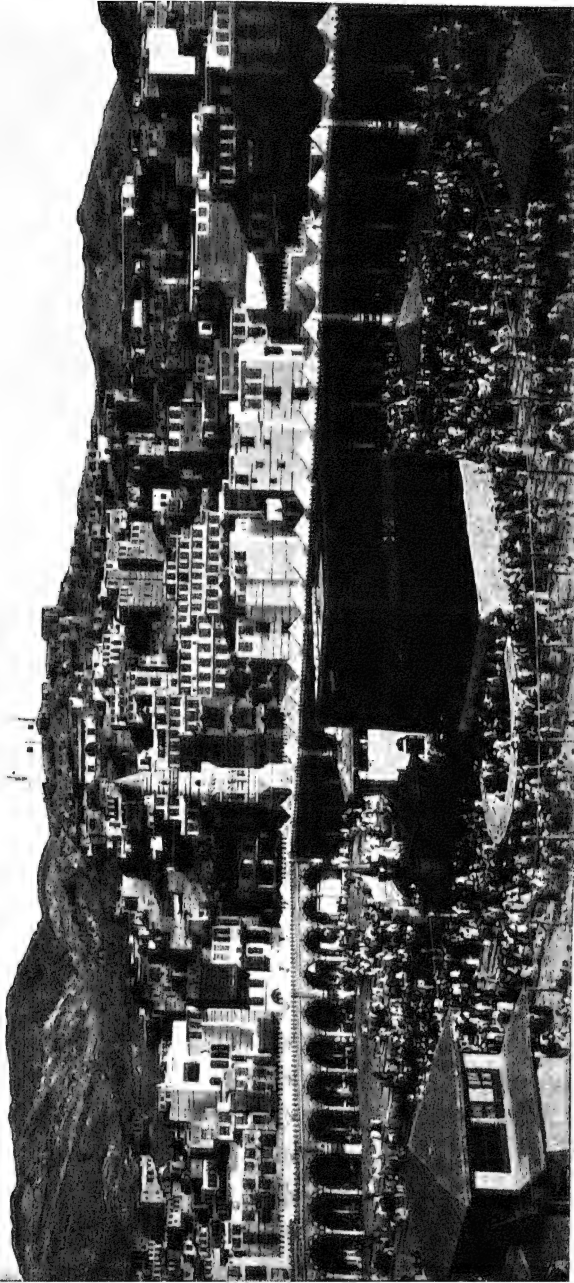


مَعَارِجُ الْحَجَّاءِ وَالْمَسْكُوتَاتِ وَالْمَسْكُوتَاتِ وَالْمَسْكُوتَاتِ

مَعَارِجُ الْحَجَّاءِ وَالْمَسْكُوتَاتِ وَالْمَسْكُوتَاتِ وَالْمَسْكُوتَاتِ

32. The meeting of the Pilgrims to attend the speech of the day of El-Tarweya

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَا لَهُ شَاكِرِينَ إِلَّا أَنْزَلَنَا الْقُرْآنَ لِنَعْلَمَ مَا يَكُونُ لَنَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى



وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَا لَهُ شَاكِرِينَ إِلَّا أَنْزَلَنَا الْقُرْآنَ لِنَعْلَمَ مَا يَكُونُ لَنَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى

عن قائمين يعلوهما عقد مستدير أتقن صنعه ، وعرضه أربعة أمتار . أنظر (الرسم ٣٢) الذى أخذت صورته فى يوم التروية ثامن ذى الحجة سنة ١٣٢٥ ، وقد اجتمع الحجاج بالمسجد الحرام لسماع خطبة المناسك . ثم وقفنا متجهين الى ناحية الكعبة الجنوبية التى فى ركنها الشرق الحجر الأسود وفى طرفها الغربى الركن اليمانى ، وبدأنا من عند الحجر بطواف القدوم (طواف التحية) بعد أن قبله من قدر ولمسه من لم يقدر وأشار اليه من لم يتمكن من أحدهما ، وقال الجميع : بسم الله والله أكبر ، وقد جعلنا البيت عن يسارنا فى الطواف حوله ، وكان طوافنا من وراء الحجر (الحطيم) وكان سبعة أشواط رملنا (أسرعنا) فى الثلاثة الأولى منها وسرنا فى الباقي سيرنا المعتاد آقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، اذ روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة فى عمرة القضيّة فقال المشركون : إنه يقدم عليكم قوم قد أوهنتهم — أضعفتهم — حمى يثرب — المدينة — ولقوا فيها شرا فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فأمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة الأولى ، ولم يمنعه أن يلزمهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ، فلما رأوهم قالوا : هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى قد أنهكتهم ، هؤلاء أجلد منا وكذلك فعل هو وأصحابه فى حجة الوداع فكان ذلك سنة ، وترى فى (الرسم ٣٣) الحجاج وهم يطوفون حول الكعبة وقد لبست كسوتها السوداء وأترزت بإزارها الأبيض والواجهتان الظاهرتان بالرسم من الكعبة الواجهة الشمالية التى فى أعلاها ميزاب الرحمة الأبيض وأمامها حجر اسماعيل على شكل نصف دائرة ، والواجهة الغربية وترى على يمين الكعبة فى الرسم مصلى إمام المالكية ، ومصلى إمام الحنبلية على شكل مظلة قائمة على أربعة أعمدة وعلى يسارها مقام إبراهيم من خلفه باب بنى شيبه ، والجزء الأبيض الذى بين المقام وزمزم جزء من بناء زمزم الذى يصلى عليه إمام الشافعية ، والمظلة ذات الطبقتين التى على اليسار مصلى إمام الحنفية وترى فى الرسم أعمدة المطاف على شكل دائرة كما ترى أعمدة الأروقة بعقودها وقبابها وكذلك به بيوت الأشراف الفخمة ، والجبل

الذى على اليسار جبل الخدمة والذى على اليمين جبل أبى قيس فوقه مسجد إبراهيم القيسى . وبعد الطواف أتينا الملتزم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود فى الجهة الشرقية ووضعنا عليه صدورنا وتعلقنا بأستار الكعبة وابتهلنا الى الله أن يعافينا فى ديننا ودنيانا وقلنا ما خطر بنفوسنا من الرغبات الصالحة والأمانى المشروعة ثم ركعنا ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام عملا بقوله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ثم أتينا زمزم فى الجنوب الغربى لباب بنى شيبة بداخل المسجد وشربنا منها وتفضلنا ، ثم خرجنا من المسجد من باب الصفا فى الجنوب وقصدنا الصفا وهو مكان مرتفع نحو مترين طوله ٦ أمتار فى عرض ٣ وصعدنا الى بدرج منتظم وهناك استقبلنا البيت وهللنا وكبرنا ودعونا ثم نزلنا منه الى شارع السعى شرق المسجد فسرنا فيه نحو ٧٠ مترا واذا بالميلين الأخضرين (العلمين) أحدهما على اليمين بحائط بيت وثانيهما على الشمال بجوار باب المسجد الحرام المسمى (باب بازان) ومنهما هرولنا واضعين أيدينا على صدورنا الى الحائنين الى أن قطعنا ٧٥ مترا واذا بالميلين الآخرين أحدهما فى الميمنة فى حائط والآخر فى الميسرة بجذائه أمام باب المسجد الحرام المسمى بباب على ، ومن هذين العلمين مشينا مشينا المعتاد ٢٤٠ مترا فوصلنا الى المروة وهى أشبه بالصفا (سيأتى الكلام مفصلا على الصفا والمروة) وقد صعدنا إليها وهللنا وكبرنا فكان ذلك شوطا ثم نزلنا من المروة الى الصفا وفعلنا فى الثانية ما فعلنا فى الأولى فكان ذلك شوطا آخر وهكذا أتممنا سبعة أشواط (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو أعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) ويلاحظ أن النساء لا تهرول فى السعى ولا ترمل فى الطواف ولا ترفع الصوت بالتلبية خشية الفتنة وبعد السعى تحلل المعتمر منا بالخلق أو التقصير وحل له كل شئ . وفى يوم التروية (ثامن ذى الحجة) يحرم بالحج ، أما المحرم بالحج فقط أو به مع العمرة فإنه لا يتحلل بل يستمر فى إحرامه حتى يأتى بأعمال الحج من وقوف ورمى وحلق وطواف الخ ، ويتحلل بعدئذ التحلل كله .

ولا بأس من أن نذكر لك في هذا الموطن ما يصدر من العربان ونسائهم وقت الطواف فإن فيه تفككة: إحرام العربان عبارة عن كشف أذرعهم ورءوسهم، وباقي جسدكهم مستور وشعرهم منشور غير منظم وأكثرهم طويل الشعر مضفوره أشبه بشعور النساء عندنا، أما نساؤهم فمحججات لا يكاد يبدو منهن شيء والرجل يقول في طوافه: يارب البيت اشهد أني حيت لا تقول ما حيت اغفر لي ولوالدي وإلا تغفر لي غصبا تغفر لي تراني حيت يقول ذلك بصوت جهوري مزعج ويسرع في مشيه في الطواف والسعي ويأخذ الرجل بيد زوجته أو أخته أو أمه ويسرع بها في السير وعند ما يصل بها إلى الحجر الأسود يرفعها ويضع رأسها في تجويف الحجر واذ ذاك تمسح وجهها وشعرها ويقول لها (حجي يا مره حجي) وتقبيل الحجر عندهم فريضة لازمة لا يتركونه ولو مانوا دونه ومن كثرة زحام هؤلاء العربان على الحجر وإدخالهم الرؤوس في تجويفه حصل به خدش أصلح فيما بعد، ومات أحد الحجاج أثناء الطواف من شدة الزحام، ومما سمعته محاورة بين اثنتين من نساء العربان قالت إحداهما للكعبة: (ياست ليلة [لعل تسميتها ليلة لأنها سوداء وكسوتها سوداء] إن كان جاتنا المطر في ديارنا وجانا الخير أجيب لك عكية سمن (قربة صغيرة) تدهني بها شوستك، لأن العربان يزعمون أن الكعبة امرأة تدهن رأسها — فقالت الثانية: حقيقة تجيبي لها فقالت لها: آسكتي أنا عمال أكذب عليها اذا جاتنا المطر ما أجيب) فانظر كيف بلغ أدب العربان في خطاب الرب حدا سيئا وكيف بلغت من نفوسهم الاعتقادات الفاسدة. ما ذلك إلا من فرط جهلهم بالدين فهل لأؤلئك من مرشدين .

وفي يوم السبت ٢ ذى الحجة (٢٣ مارس) قدم من جدة إلى مكة ١٥٠٠ حاج سائرين على الأقدام بعد أن تركوا جميع أمتعتهم بجدة وانما قدموا رجالة لقلة الجمال وكثرة الحجاج فخافوا إن انتظروا أن تفوتهم الفريضة فأسرعوا بالحضور .

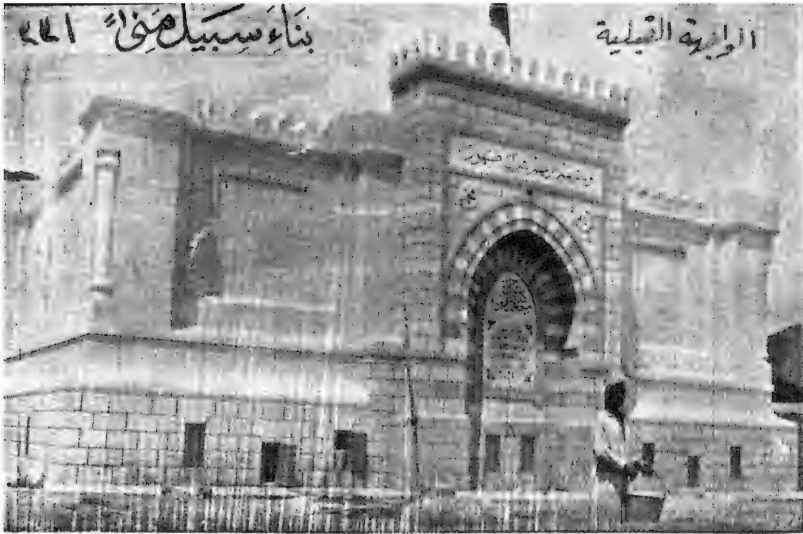
التزاور بمكة

زيارة أمير الحج وأمين الصرة لصاحبي الدولة شريف مكة وواليهما

في اليوم الذي وصلنا فيه إلى مكة (٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨) بعد أن زرنا البيت الحرام وطفنا وسعينا وتحللنا زار أمير الحج وأمين الصرة دولة الشريف بعد الاستئذان منه وساعة اللقاء ثلثا يده وسلم له الأمير مكتوبين أحدهما من المعية السنية والآخر من نظارة الداخلية وكلاهما يتضمن التحية والتماس مساعدة أمير الحج على أداء عمله والقيام براحة الحجيج وقد قدم الشريف لهما القهوة والشاي ومكثا بجلسه فترة طويلة كانا فيها موضع تجلته ثم أنصرفا شاكرين ، ولم أتمكن من التوجه معهما إذ شغلني تنظيم المعسكر وإعداد ما يلزم لرجال المحمل وشراء العلف للدواب ، وفي اليوم التالي زرته مع الضباط وقد وقف لنا ساعة دنونا منه وقبلنا يده وأذن لنا بالجلوس وبلغته سلام الجناب العالي الخديو فشكره ودعا وأظهر شوقه لرؤيته فنبأته بأن سموه تواق إلى الحج ، فقال : متى تمت السكة الحديدية توافرت سبل الراحة ، ولبثنا في حضرته زهاء ساعة ونصف تكا فيها موضع رعايته ، وقدم لنا في خلاها الشاي والقهوة ثم خرجنا شاكرين .

وفي اليوم نفسه زار الأمير والأمين وأنا ثالثهم دولة الوالى بمقر الحكومة المسمى « الحميدية » فقابلنا بالبشر والترحاب وسلم الأمير اليه كتابا من نظارة الداخلية توصية بركب المحمل فبعد تلاوته سأل عن حال العساكر والحجاج وعرفنا بأنه مستعد لعمل كل شيء يوفر على الحجاج راحتهم وطمانينتهم فدعونا لدولته وشكرنا وبعد تناول القهوة رجعنا شاكرين .

زيارات مختلفة — في الفترة التي أقفناها بمكة زرت رئيس الجند العثماني (القومندان) ولديه رتبة لواء كما زرت وكيل الوالى ويسمى « المحاسبى » وسعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية الحجازية وكذلك زرت الشريف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

331. Fountain (Sibil) of drinking water at Mena for Pilgrims
in the year 1340 H., East and South sides.

على^(١) باشا وكيل الأشغال لأمر مكة والشيخ الشيبى (من بنى شعبة) السيد محمد صالح أمين مفتاح الكعبة ، ومن زرتهم ناصر باشا ابن الشريف عبد المطلب أمير مكة سابقا وقد طلب الى أن أرفع الى الاعتبار الخديوية ما يأتى :

(أولا) يود أن تكون مرتبات الأشراف التى تصرف اليهم من المالية والأوقاف بحساب الريال المصرى لا الجهازى (أبو طافه) الذى قيمته عشرة قروش وقتئذ .

(ثانيا) انتقد ما عمله بعض نظار (التكية) المصرية من تحويل نوافذها الى أبواب لحوانيت اقتضبت من التكية ويرى أن ذلك غير مناسب للطعم .

(ثالثا) انه قد صدر الأمر الكريم بإتفاق ٨٠٠٠ جنيه مصرى لتشييد مخزن كبير فى منى يملأ بالماء لشرب الحاجين وأبناء السبيل فيرجو إنجاز هذا الأمر الجليل الذى يعد أثرا خالدا لسمو الخديوى يستحق به عظيم المثوبة من الله لأن بعد الماء رفع قيمته حتى إن القربة التى تسع قدما مكعبة من الماء يبلغ ثمنها ٣,٥ قروش بل فى هذا العام كان ثمنها ٥ قروش وإنى أعضده فى فكرته هذه فان ذلك عظيم النفع للحجاج خصوصا الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون وتضطربهم الفاقة الى جلب المياه من الأماكن النازحة سيرا على أقدامهم ، بل وفرة الماء تقطع دابر الأشرار من الأعراب الذين يتربصون من يتعد عن منى لإحضار المياه فيسلبونه ماله ولا مغيث فان المياه تبعد عنها بأكثر من ثلاثة أميال أضف الى ذلك أن كثرة المياه تساعد على نظافة البدن والملبس وذلك أحفظ للصحة وأرعى لها فإنجاز هذا المشروع يعود بالخير العميم على الناس وعلى من يقوم به .

وقد كتبت سمو الخديوى فى هذا الاقتراح فقال : لا مانع على أن يتولى الاتفاق على المشروع موظف مصرى ، ولما عرضت ذلك على الشريف عون فى حجتى الثانية وافق على المشروع ولكن اشترط أن يتولى هو الاتفاق ، فكان شرطه هذا داعيا لوقف المشروع الى أن نفذ فى السنين الأخيرة — فى عهد مايكنا فؤاد الأول .

وممن زرتهم محسن بك وعبد الله بك ولدا المرحوم الشريف محمد باشا ابن الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقا وهما شابان لا يتجاوز عمرهما الثامنة عشرة لم يتعلما إلا المبادئ الأولية لإهمال التعليم بمكة وقلة المدارس بها وذلك ما يرغب فيه الشريف عون الرفيق باشا لأنه يرى في العلم تنويرا للأفكار ومطالبة بالحقوق وضربا على أيدي الظالمين وجهادا للتخلص من المستبدين وهو عليم بنفسه خبير بسيرته، وترى في (الرسم ٣٤) الأخوين باباسهما العربي وفي (الرسم ٣٥) بلباسهما المكي خلفهما محمد بن سعيد الزمزمي وفي (الرسم ٣٦) بلباس مختلف والواقفون وراءهما إبراهيم بك مصطفى المعمر ناظر دار العلوم سابقا فأنا فأحمد بك زكي أمين الصرة في سنة ١٣٢١

وقد زرت كثيرا غير هؤلاء من الأشراف والسراة وكانوا يقابلونا أبجل مقابلة ويردون الزيارة إلينا في المعسكر، فكنت أكرمهم غاية الإكرام وكان ضباط الحرس يعطفون عليهم ويتحدثون معهم وكانوا ولعين بسماع الآلات المطربة فكنت استحضر لهم الموسيقى والمزمار البلدي فيتناوبان الألحان مما يزيد في ابتهاجهم وانشرح صدرهم، وكانت الموسيقى تعزف كل يوم من بعد صلاة العصر حتى تنتوي الشمس بالحباب وكان الناس يجتمعون على السماع ترويضاً للأفكار وتهذيباً للنفوس فكان لنا الدين والدنيا جميعا .

زيارة أمير مكة ووالهيا وقائد جندها للحمل — في الساعة الثانية العربية نهرا من يوم ٧ ذي الحجة سنة ١٣١٨ زار صاحب الدولة الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة معسكر الحمل في موكب حافل وكان راجلا عربية يجرها جوادان وكان على يساره وكيله الشريف علي باشا وكان أمام العربية ٥٠ فارسا ، و ١٥٠ هجانا و ٢٥٠ راجلا و ١٢ موسيقيا وزمارا وكلهم من أهالي مكة إلا القليل — سودانيين — وكانوا بلباس عادي يحملون أسلحة من الطرز القديم وكان خلف العربية حوالى ١٥ جوادا يقودها سواسمها وكان عليها السروج المذهبة المسبل عليها القطيفة المزركشة بالقصب — منظر يسر الناظرين — (انظر الرسم ٢٦٧) أما نحن فلدى قرب مجيئه اصطفت عساكرنا

عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي



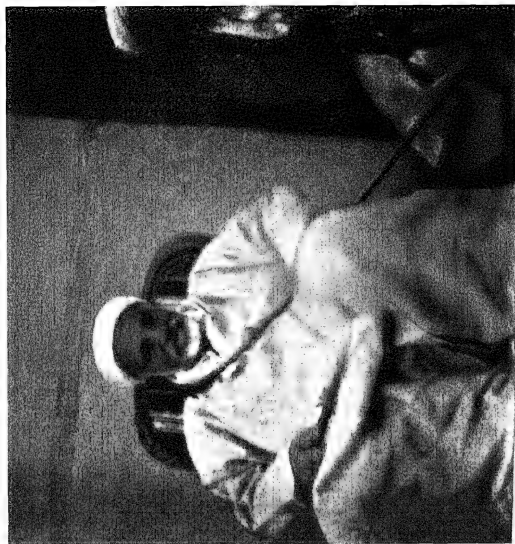
34 & 35. Photos of Abdulla Pacha and Mohsin Pacha the sons of El Sherrif Aly Pacha's brother.

34 & 35. Photos of Abdulla Pacha and Mohsin Pacha the sons of El Sherrif Aly Pacha's brother.



صورة من الميراث في مكة المكرمة

267. A view of the Horses of Amir Mecca in Sheikh Mahmoud.



صورة من الميراث في مكة المكرمة

37. A photo of El Sheriff Own El Rafik Pacha and his companions

صفيين متقابلين الموسيقيون أولا فالفرسان فالمشاة ، واتخذ رجال المدفعية مكانا مناسباً لإطلاق المدافع ووقف أمير الحج والأمين وموظفوا المحمل في ميمنة العسكر وعند وصول الشريف تقدم اليه الأمير والأمين وقبلا يده وطرف السترة (الأئك) وتبعاه راكبا عربته يسير الهوينيا بين الصفيين متأملا زى العساكر معجبا بشباهتهم وثباتهم مسلما عليهم بالإشارة ، وعند سرادق الأمير نزل من العربة وجلس على أريكة فى صدر السرادق وساعتئذ قدم له الأمير موظفى المحمل فلقموا يده ثم أمرهم بالجلوس وبعد زمن يسير قلت للعسكر «صفا» أى راحة ، وتوجهت بالضباط الى السرادق حيث قبلنا يد الأمير و «أتكه» كمن سبقنا ، وبعد تناول الشاى والقهوة هم بالعودة فرجعت بالضباط حيث كانوا أولا وساعة مروره حيى التحية العسكرية وصدحت الموسيقى بسلام جلالة السلطان وأطلق المدفعية ٢١ مدفعا كما حصل مثل ذلك عند القدوم ، وقد أعجب الأمير بكل ما رأى خصوصا زى الضباط والعسكر وكان يرتدى ملابس العادية العمامة والقباء (الففظان) الأبيض والفرجية ذات اللون الرملى ، ومما حدث به أمير الحج أنه سأل عن عمر كسوة المحمل القصية إذ رآها غير زاهية فأجابه بأنها صنعت فى عهد الخديو السابق توفيق باشا (انظر الشريف فى الرسم ٣٧) الذى أخذته فى بيت الشريف بعد المغرب وترى بجانبه جلسه الذى يعرف بالبو وللشريف كبير ثقة به وحسن اعتقاد فيه جعله يؤثره بالهدايا النفيسة التى كانت ترد اليه فابتنى منها البيوت الفاخرة المشابهة لبيوت مصر وقد بلغنى أن سبب ذلك الإكبار أنه جاء الى الشريف وقبـد جلس تحت سقيفة فأشار اليه بالانصراف وقال له «جم جم» فلم يكـد يرح السقيفة حتى سقط عرشها ، ومما أثر به من الهدايا فى سنة ١٣٢٠ سيف مذهب وسكينة مذهبة أهداهما الى الشريف سلطان زنجبار .

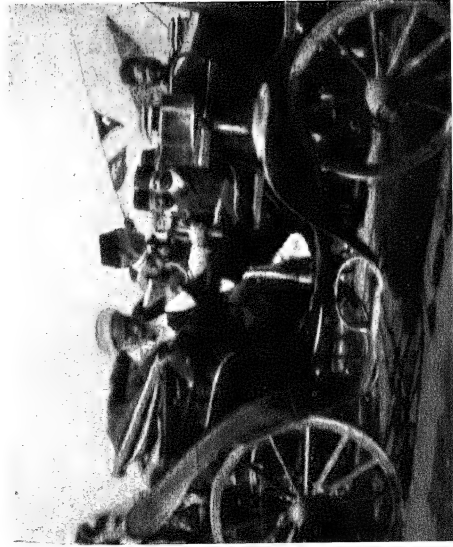
وفى الساعة الثالثة من اليوم نفسه أقبل دولة والى المشير أحمد راتب باشا لزيارة الأمير وركبه وكان يركب عربة كعربة الشريف وكان عن يساره فيها سعادة اللواء صادق باشا مدير الاشارات البرقية الحجازية ويتقدم العربة حوالى ٥٠ فارسا تركيا

من غير النظاميين وكان منهم ستة يحملون على أكتافهم العصي الفضية الطويلة ، ودولة الوالى كان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى البحرية وهى عبارة عن (بنطلون) أبيض طويل فوقه معطف طويل أسود عليه سمة مشير بحرى وبصدر المعطف خيوط غليظة مثبتة به من طرفها (كردون) وفوق ذلك جبة سوداء طويلة تمتد الى ماتحت الركب ومزركشة بالخيوط القصصية على طوقها وكميها ومن أمامها وخلفها وجانبيها وذيلها وهى خاصة بمن يشغل منصب الولاية على مكة وكان من فوق الجبة الوسام (النيشان) المجيدى من الدرجة الأولى ، وقد استقبلنا الوالى بمثل ما استقبلنا به الشريف غير أن الوالى نزل من عربته حينما وصل الى أول المعسكر ومر بين الصفيين وكلما حاذى ضابطا صاحفه وكان شديد التأمل فى الضباط والعساكر مسرورا من زيههم معجبا بجميل نظامهم وكان ذلك باديا على محياه ولا سيما عند ما أدت له التحية العسكرية بقوة وشهامة ، وقبل أن يبرح دولته سراقذ الأمير قام الشيخ محمد السنباطى (موزع الكساوى على العربات والقائم بالأدعية وقت تسليم الخديو المحمل الى أمير الحج الخ) وتلا خطبة امتدح فيها الوالى ودعا لجلالة السلطان فكافاه على ذلك بخمسة جنيهات كما كافأ الموسيقيين والزمارين بثلاثة أخرى وتلك له عادة سنوية (أنظر الرسمين ٣٨ و ٣٩) . هذا وقد كانت زيارة الشريف والوالى لمحملنا بعد عودتهما من زيارة المحمل الشامى فى اليوم التالى لوصوله .

غسل الكعبة

فى يوم الاثنين ٥ ذى الحجة دعيت مع أمير الحج وأمين الصرة وبعض الموظفين لغسل الكعبة حسب المعتاد سنويا فلبينا الدعوة وذهبنا الى المسجد الحرام وفى الساعة الأولى العربية حضر دولة الوالى وأمين الدفاتر (الدفتدار) واللواء (قومندان) الجند المكى وبعض العظماء من الحجاج ودخلنا الكعبة وصلينا فى كل من جهاتها الأربع ركعتين ودعونا الله بما أحببنا ودعوت للخديو كما دعا له الأمير والأمين ثم أخذنا جميعا فى غسل أرض الكعبة من الداخل بماء زمزم وكان ذلك بمقشات

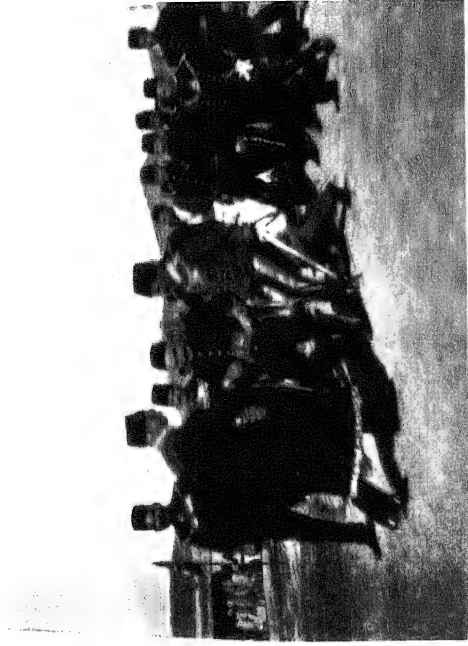
الشريف والسوالى فى العربيه بالشيوخ محمود
آية توكى والى فى الشيخ محمود



الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود

39. The Sherif and the Wali in carriage at a place called
Sheikh Mahmoud

الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود



الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود

38. A photo of the Wali of El Hejaz shaking hands with the officers
of the Mahmal on meeting officially.

صغيرة صنعت من خوص النخيل ثم وزعت علينا حرق بيضاء مبللة بماء الورد والروائح العطرية وأخذنا نمسح بها جدر الكعبة، وقد اشتد الزحام أمام بابها لأخذ مياه الغسل للتبرك بها، والمطوفون يأخذونها في دلاء ويضعونها في قوارير يهادون بها أتباعهم من الحجاج وكذلك يتخاطف الناس مقشات الغسل بل يتضاربون عليها وعلى الماء، ولدى نزولى عن الكعبة وضعت ما معى من المقشات فى مشفة كبيرة (بشكير) استحضرتها معى لغسل الكعبة بها ولأحفظها بعد تبركا، وقد زاحنى الحجاج وعصر بعضهم المشفة لعاله يجد بها قطرة ماء ومنهم من مسح بها وجهه ومنهم من مسها ومسح على عينه وجسمه .

هذا والكعبة تفتح فى موسم الحج لمن يريد الزيارة بعد أن يدفع رايالا (برم) قيمته عشرة قروش مصرية لمن يتولى فتح الباب من قبل السيد محمد صالح الشيبى أمين المفتاح وإذا كان الزائر غنيا أخذوا منه بضعة جنيهات، وبعض الناس يتنزه فرصة غسل الكعبة ويدخل مع الغاسلين . وتفتح الكعبة للزائرين فى ١٠ المحرم للرجال وفى ليلة ١١ منه للنساء، وتفتح فى ليلة ١٢ ربيع الأول للدعاء للسلطان ولا يدخلها الزوار ولكن يدخلها الرجال فى صبيحة تلك الليلة، وفى ليلة ١٣ منه للنساء، وتفتح فى يوم ٢٠ ربيع الأول لغسلها، وفى أول جمعة من رجب للرجال وفى اليوم التالى للنساء وفى ليلة ٢٧ رجب تفتح للدعاء للسلطان وفى صباحها يزور الرجال وفى المساء يزور النساء، وتفتح فى ليلة نصف شعبان للدعاء وفى صباحها للرجال وفى مساءها للنساء وتفتح يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال وفى تاليه للنساء وفى ليلة ١٧ منه للدعاء للسلطان وآخر جمعة كذلك، وتفتح فى نصف ذى القعدة للرجال وفى تاليه للنساء وفى ٢٠ منه لغسلها وتفتح على سبيل الخصوصية لبعض الأعيان . وفى يوم ٢٨ ذى القعدة تحرم الكعبة أى يوضع لها إزار أبيض أسفل الكسوة .

الى عرفات ومنى

قد ورد لنا كتاب من دولة الوالى بأن قاضى مكة أثبت هلال ذى الحجة ليلة الخميس وعليه يكون الوقوف بعرفة فى يوم الجمعة تاسع ذى الحجة وترى فى (الرسم ٤٠) مثيله فى سنة ١٣٢٥

ولما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة تحرك لتمام الساعة الحادية عشرة العربية ركب المحمل من معسكره بمكة ميمما عرفة فسار من حارة الباب الى الشبيكة فالسوق الصغير بفياد - وفيه المطعم المصرى (التكية) ودار الحكومة العثمانية المسماة بالحמידية - بجزء من شارع المسعى فالقشاشية فسوق الليل فالغزة، وقد مررنا بيت الشريف الذى شيده محمد على باشا جد الأسرة الحديوية وهناك وقف الركب وصعدت الموسيقى بالسلام الملكى وهتف الجميع « ياد چاهمز چوق يشا » « يعيش الملك طويلا » ثم سرنا الى الشمال ومررنا بالياضية على اليسار وفيها بيت بحديقة للشيخ الشيبى أمين المفتاح ثم شرقنا الى منى ووصلنا الى أول مدرج فى س ١١ وق ٤٠، والمدرج جزء من الطريق مرصوف بالحجارة يشبه درجة السلم لكن عرضه ٢٠ مترا وطوله ٥٠ وارتفاعه عشر متر ووصلنا المدرج الثانى بعد ربع ساعة وقد تابعنا السير حتى بلغنا منى فى س ١ وق ٤٥، وبها استراح المحمل ربع ساعة بالقرب من المكان المعد لنصب سرادق الشريف بعد رجوعه من عرفة ثم سرنا فوصلنا المزدلفة فى س ٢ وق ٣٥، ثم عرفة فى س ٤ وق ٣٥، فنكون قد قطعنا الطريق بين المعسكر وعرفة فى ٥ س و ٣٥ ق استرحنا فيها ١٥ ق، والطريق رملى لا تغور فيه الأقدام وتكتنفه من الجانبين الجبال الشاخحة التى تتباعد مبنى ومزدلفة، وفى منتصف البعد بين مزدلفة وعرفة وبالطريق كل ما يحتاج اليه الانسان من ماء وقهوة وشاى وماكولات من لحوم وأرز وعدس مطبوخة وغير مطبوخة وسكر وحلاوة وملبس الخ . وحينما وصلنا الى عرفة نزل الركب فى محله المعد له سنويا وكانت الخيام والأمتعة والمؤن قد سبقتنا الى هنالك فانها أرسلت ليلا بصحبة بعض

العساكر والفراسين ومعهم ضابط ، فأعدت قبل وصولنا وبعد أن عرف كل منا محله أسرعنا جميعا الى جبل الرحمة المعروف بعرفات حيث وقفنا هنالك على سبيل الاحتياط لجواز أن يكون هذا اليوم يوم عرفة مع أنه ثامن ذى الحجة — ولا محل لهذا الاحتياط بعد التثبت في معرفة أول الشهر، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الشك — يرشدنا الى ترك الوقوف في يوم توهمناه التاسع من ذى الحجة والظن بل اليقين بخلافه — وقد نزل علينا مطر خفيف أثناء الوقوف ورجعنا الى خيامنا بعد الغروب .

جبل عرفات وميدانه الفسيح — جبل عرفات على شكل قوس كبير يحيط بواد متسع يسمى «عرفة» وتبلغ مساحته نحو ميلين مربعين وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمى «جبل الرحمة» (الرسم ٤١) وفيه ترى العلم الذى فى أعلى جبل الرحمة تحت رقم ١ وتحت رقم ٢ شجرة فوق الجبل) وهو جبل صغير بالنسبة لما حوله من الجبال ارتفاعه قريب من ٣٠ مترا وطوله ٣٠٠ مترا ويصعد اليه بمدارج كبيرة على شكل سلم غير منتظم، به ٩١ درجة يختلف ارتفاع الواحدة منها من عشر المتر الى ثلاثة أعشاره، وعلى يمين الصاعد على الجبل قريبا من منتصفه مستو طوله ١٥ مترا فى عرض ١٠ أمتار وبه مصلى ذوقبله يسمى مسجد إبراهيم عليه السلام ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه، وهذا غير صحيح فان هذا المسجد والدرج الذى وصفناه بناهما الوزير محمد بن علي بن المنصور المعروف بالحواد الأصفهاني فى سنة ٥٥٩ (أنظر كتاب منائح الكرم) وفى أعلى الجبل مستو مبلط مربع ضلعه ٥٠ مترا وفى وسط المستوى مستطبة مربعة ضلعها ٧ أمتار وارتفاعها متر ونصف، وعند الركن الغربى منها عمود مربع مبنى بالحجر الأصم ومخصص ارتفاعه نحو أربعة أمتار وعرض كل جانب من جوانبه الأربعة متر، وهذا العمود علم على جبل الرحمة وتعلق به مصابيح ليلة عرفة لإرشاد الحاجين والسالكين، وحول العمود حائط به محراب يضيئ الى الناس

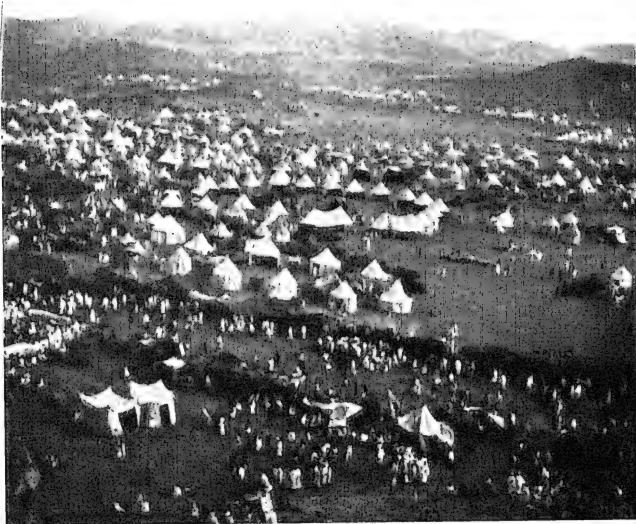


حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اسم الله والابراهيم فتيمة امير سنج المصطفى في الحجة ١٣٢٥

41. A view of Gebel Rahma, known by Gebel Arafat.

معسكر الحجاج بعرفات وسجلا الصلوات

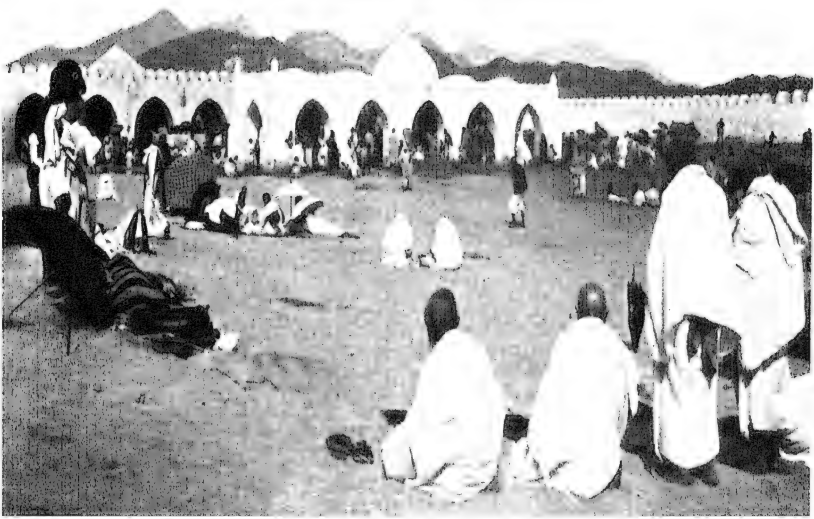
صحيحة ٤٤



معسكر الحجاج بعرفات وسجلا الصلوات

42. The camp of the pilgrims in Arafat, and El Sakharat Mosque in 1321.

مسجد نمره في مكة المكرمة حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم تبة الوديع بمكة يوم الجمعة



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل مكة منتهى المسالك
وجعل البيت الحرام مقصداً للمسلمين
و جعل في مكة منتهى المسالك
وجعل البيت الحرام مقصداً للمسلمين

43. Namerah Mosque where the Prophet performed the midday and the afternoon prayers together.

الحمد لله الذي جعل مكة منتهى المسالك
وجعل البيت الحرام مقصداً للمسلمين



الحمد لله الذي جعل مكة منتهى المسالك
وجعل البيت الحرام مقصداً للمسلمين

44. A photo of the pilgrims at Arlat on 9th of Ei Hegga in 1321

وبأسفل الجبل مسجد صغير يسمى «مسجد الصخرات» يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ولم يثبت، وسمى بذلك لأن في أرضه صخورا كبيرة بعضها الى جانب بعض (أنظر الرسم ٤٢) والمسجد واطى في جانبه الغربى، ويجوار جبل الرحمة ثمانية أحواض مبنية بناء متينا تملأ بالماء من مجرى عين زبيدة بواسطة مجار تحت الأرض وذلك في زمن الحج فقط وترمم وتنظف كل سنة قبل أوأانه، وفي جنوب الميدان على طريق الطائف جامع عتيق اسمه جامع «نَمْرَة» أو مسجد إبراهيم أو مصلى عرفة وهذا المسجد يجتمع فيه للحجاج يوم عرفة بين الظهر والعصر جمع تقديم مع الامام الذى يخطب فيه قبل الصلاة خطبة يعلم الناس فيها آداب الوقوف وأنه تمتد الى الغروب (أنظر مسجد نمرة فى الرسم ٤٣) .

ويحيط بوادى عرفة من جهته الشمالية والجنوبية والغربية مجرى عين زبيدة (وسنوافيك قريبا بالكلام عليها تفصيلا وصفا وتاريخا) . وعرفة كلها موقف الا وادى عرنة .

قد نبأناك بأن ركب المحمل نزل من عرفة مكانه المعتاد وسط الوادى وقد بتنا بها ليلة التاسع من ذى الحجة، وقبل المغرب بساعة من يوم عرفة تحرك المحملان المصرى والشامى أولهما يسار ثانيهما يتقدمهما أميراهما وأمين الصرة، والجند يحيطون بهما حتى وصلا الى سفح جبل الرحمة فى مكان صلب مرتفع قليلا عن سطح الأرض ووقف الخطيب على جمل يجبل الرحمة قريبا من سفحه يحيط به العساكر لمنع التراحم عليه، ووقف بجواره مبلغان مصرى وشامى يسد كل منديل يلوح به للحجاج كلما سكت الخطيب، وساعة يلوحان ترى الآلاف المؤلفة من الأجناس المختلفة وقد كدشت منهم الرؤوس وعريت منهم الأقدام الا القليل وارتدوا ملابس الإحرام تراهم يساغفون ومما أسلفوا يستغفرون رافعين عقيرتهم بالتلبية (ليك اللهم ليك . ليك لا شريك لك . أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

السنة مختلفة من أجناس متباينة جأرت الى الله بالدعاء فشق صوتها أجواز الفضاء، فاهت بكلمات انبعثت عن قلوب مخلصه وأفئدة طاهرة ونفوس نسيت كل شيء الا ربها إنها وأيم الله لتترك في النفس أثرا لا يحيط به الوصف ولا تحدده العبارة بل لا يعرفه الا من سمع وأبصر « ولا ينبئك مثل خبير » .

وما أظرف ما قاله أبو نواس في التلبية .

إلهنا ما أعذك * ملك كل من ملك
لييك قد لبيت لك * لبيك أن الحمد لك
والملك لا شريك لك * ما خاب عبد سأك
أنت له حيث سلك * لولاك يارب هلك
لييك أن الحمد لك * والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك * والسابحات في الفلك
على مجارى المنسلك * كل نبى وملك
وكل من أهل لك * سبح أو ابى فلك
يا مخطئا ما أغفلك * عجل وبادر أجلك
اختم بخير عملك * لبيك أن الحمد لك
والملك لا شريك لك * والحمد والنعمة لك

وإنك لترى جبل الرحمة قد ملأه الحجاج حتى لم يبق به موضع لقدم، وكأنك اذا نظرته لا تنظر الا أكداسا من الناس رافعين أيديهم الى قبلة الدعاء شاخصة أبصارهم نحو السماء (أنظر الرسم ٤٤) وفيه ترى يرق المحمل في أعلاه كأنه رجل والوجه الكبير وجه الشيخ محمد أبى النور نجل صهرنا الشيخ طوموم) وأن أغلب هؤلاء من السودانيين واليمنيين والمغاربة وأنهم ليتخذون الجبل مسكنا لهم ويؤدون به جميع أعمالهم من طهى وغيره مدة لبهم بعرفة . ويظنون أن الوقوف بجبل الرحمة فضيلة كبرى مع أن ذلك بدعة، فقد جاء في كتاب منافع الكرم ما نصه . قال الشيخ تقي الدين

ولا نعلم في فضل هذا الجبل الذى يصعد اليه الناس بعرفة خبرا ثابتا ولا غير ثابت وما يخص الناس به هذا الجبل من الحرص على الوقوف عليه دون موقفه صلى الله عليه وسلم ودون مواقف عرفه قبل وقت الوقوف ، وإيقادهم عليه النيران فسدع تستلزم محظورات من اختلاط النساء بالرجال وغير ذلك ، وإنما حدث ذلك عند انقراض العلماء الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر واستيلاء الجهل على الناس وأخذهم الأمور بالقياس اه بلفظه فليحفظ ذلك . هكذا جاء بالكتاب المذكور تحت حوادث سنة ٥٥٩

وقد استمر الخطيب يخطب والناس وقوف حتى مغرب الشمس وإذا ذاك أشعل أحد رجال المدفعية من المحملين شهما (صواريج) إيذانا بالانصراف من الموقف ، فأفاض الناس مهللين ومكبرين ورحل المحملان المصرى فى ميمة الشامى (أنظر الرسم ٤٥) والجند يسرون صفين ومن بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم الحجاج والموسيقى والمزمار يعزفان بالألحان المشجية ، وأخذت مدافع الشريف والوالى والمحملين تتناوب طلقات البشر والسرور ، وقد سرنا نحو المزدلفة من حيث أتينا فبلغناها بعد ساعتين ووقت الوصول ضرب ٢١ مدفعا إعلاما ببلوغ القصد ونزل كل مجمل فى مكانه المعتاد وجمع كل حاج ٤٩ أو ٧٠ حصاة صغيرة قدر القولة أو البندقة ونظفها بالماء استعدادا لرمى الجمرات بمنى ، وبتنا ليلتنا بالمزدلفة اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ولتقف فى الصباح عند المشعر الحرام امتثالاً لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ وقد استيقظنا حوالى الفجر وأدينا صلاته فى أول وقته وارتحل المحملان إلى موضع مسجد قديم ارتفاعه متران ويجنبه سلم وقف عليه الخطيب والتف الحجاج حوله ركبانا ومشاة وأخذ الخطيب يخطب من الساعة الحادية عشرة حتى قرب مطلع الشمس فى منتصف الساعة الثانية عشرة ، وقد كانت الناس فى خلال ذلك يدعون ويلبون كلما دعا الخطيب ولبي ، وموقفنا هذا كان بجوار « المشعر الحرام » وهو جبل بالمزدلفة يسمى بذلك لأن الجاهلية كانت تُشعر عنده.

هداياها (والإشعار ضرب الإبل في صفحة سنامها حتى يسيل منها الدم) ووصف بالحرام لحزمة الصيد فيه لأنه من جملة أراضي الحرم التي يحرم فيها الاصطياد .

وقد ارتحل المحملان الى منى قبيل طلوع الشمس في منتصف الساعة الأولى من صباح يوم العيد الأكبر من سنة ١٣١٨ واقتفاهما الحجيج ووصلنا منى بعد ساعة فوجه الناس لرمى الجمرة الأولى «جمرة العقبة» وهي بأول منى من جهة مكة على يمين القاصد لها ، وهذه الجمرة حائط مبنى بالجر عال من وسطه وقد أخذ كل حاج يرميه بحصياته السبع واحدة بعد أخرى مع التكبير في كل مرة ، قال المحب الطبري : وليس للرمى حد معلوم غير أن كل جمرة عليها علم وهو عمود معلق هناك فيرمى تحته وحوله ولا يبعد عنه احتياطا ، وحدّه بعض المتأخرين بثلاثة أذرع من سائر الجوانب إلا في جمرة العقبة فليس لها إلا وجه واحد لأنها تحت جبل . وبعد رمى الجمرة المذكورة ذهبنا الى مواطننا ، ونحر الهدى من كان معه هدى وحلق من حلق وقصر من قصر والنساء قصرن ولم يحلقن .

وبعد ذلك أفاض الحجاج من منى الى مكة ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مرتدين لباس الإحرام وطافوا طواف الإفاضة وسعى من عليه سعى وحلق أو قصر ، ثم انقلبوا الى منى فباتوا بها ليلة الحادى عشر وبعد الزوال من صباحه رموا الجمار الثلاث كل جمرة بسبع حصيات بادئين بالجمرة الصغرى التي تلى (مسجد الخيف) من ناحية منى ثم بالجمرة الوسطى ثم بجمرة العقبة ، والراى يقف عقب رمى الجمرتين الأوليين يدعو الله بما شاء ولا يقف عقب الأخيرة لضيق مكانها ، وقد بتنا بمنى ليلة الثانى عشر ورمينا بعد ظهره الجمرات كسابقه ثم منا من سافر الى مكة قبل الغروب ومنا من بات ليلة الثالث عشر ليرمى الجمرات الثلاث فيه ﴿مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ وبذلك تمت أعمال الحج وحل للحرم كل شيء كان محرما عليه بالإحرام (أنظر الجمرات والحجاج يرمونها في الرسوم ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧) .

(١) الهدى ما يهدى الى الحرم من الابل والبقر والغنم .

ومن فكاهات المحجاج عند رمى الجمرات أن بعضهم كان يرمى الحصيات السبع دفعة واحدة ويخاطب إبليس بلفظة «يلعن دينك» وبعضهم كان يرمى حصاة حصاة ويقول العبارة السابقة عقب كل واحدة أو يقول « فى عين دينك » وبعض المحجاج لا يكتفى بالحصيات الصغيرة بل يأتى بأحجار كبيرة ويرمى بها الجمرة (العمود القائم) بل لا يرتاح له بال إلا اذا هدم جزءا من البناء، ومنهم من يقف على البناء ويرمى ومنهم من يلصق به جسده ويرمى؛ وقد كان من الضباط الذين معنا «اليوزباشى» عبد الوهاب حبيب افندى فلما جاء وقت رمى جمرة العقبة أخذ عساكر الحرس ورجعوا إبليس (الجمرة) دفعة واحدة بهيئة هجوم على عدو وانتقام منه .

الاحتفال بتلاوة فرمان السلطانى

فى يوم ١١ ذى الحجة ونحن بمبنى احتفل بتلاوة فرمان السلطانى ودعا الشريف لذلك أميرى المحملىين المصرى والشامى وأمين الصرة والضباط وكبار رجال الدولة والمحجاج، وكان الاحتفال بسرادق الشريف الذى اصطفى أمامه حرس كل من الشريف والوالى بموسيقاهم وموسيقى مجملنا شاركهم، وانتشرت الجموع الكثيرة من المحجاج المختلنى الأجناس حول السرادق وكان يتقدم الحرس على جواد حامل فرمان السلطانى وآخرون يحملون خلعاً معتاداً حضورها من الإستانة سنوياً (الرسم ٤٦) وكان للشريف فى وسط السرادق مكان خاص وعلى يمينه : (١) فرمان فرما ابن عم شاه العجم وصهره ؛ (٢) الشريف على باشا ؛ (٣) الشريف محمد ناصر غالب باشا ؛ (٤) بقية الأشراف ؛ (٥) قاضى مكة والعلماء والأعيان ؛ (٦) ضباط المحمل المصرى وعلى يسار الشريف : (١) المشير أحمد باشا راتب والى الحجاز وكان بحالة خضوع وخنوع لا تليق برتبة مشير ؛ (٢) سلطان المكة والشَّحَر عوض بن عمر القعيطى ؛ (٣) نجله عمر بن عوض القعيطى ؛ (٤) حفيده محمد بن غالب ؛ (٥) أمير وأمين وموظفو المحمل الشامى ؛ (٦) أمير وأمين وموظفو المحمل المصرى ؛ (٧) موظفو مكة وكبار الضباط . وبعد جلوس هؤلاء بالترتيب السابق نرح عليهم الشريف فى زينته

من مكان خاص به وحوله بعض خواصه من الأشراف فقام الجميع وقبلوا يده وقبل دولته رأس صهر شاه العجم وسلطان المسكلة والشحر حينما انحنوا لتقبيل يده ثم تقدم الى الأمام وتسلم المكتوب السلطاني (الفرمان) من يد حامله وقبله وكان داخل كيس من الأطلس الجميل (الرسم ٤٧) موضوع في وقاية (بقجة) من الحرير الأطلس الأخضر موشاة بالقصب المنسوج (المخيش) ذي الرسوم البديعة (الرسم ٤٨) ثم رجع إلى محله بجلس على أريكة وسط السرداق ووضع الفرمان عن يمينه ثم لم يلبث أن وقف هو والحضور وأمر بتلاوة الفرمان فتلاه كاتبه الخاص محمد علي أفندي تلا أولا صورته التركية ثم تلا ثانيا صورته العربية، ولكنه أسرع في تلاوته بالعربية إذ قال له الشريف: «جوام جوام» وبعد التلاوة صدحت الموسيقى السلطانية بالسلام الملكي وكذلك هتف العساكر والجويع بالدعاء للخليفة الأعظم، ثم تقدم أمين الصرة الشامي بخلعة للشريف وألبسه إياها فوق الخلعة التي يلبسها من قبل وهي التي أهديت له في العام الماضي — وهذه عادة سنوية — ثم قدم له خلعة أخرى من قبل جلالة السلطان فلبسها أيضا وكانت صغيرة خفيفة من الجوخ الأسود ومطوقة بالقصب، وكان دولة الشريف يقبل كل خلعة قبل لبسها وكان على رأسه عمامة عليها أشرطة من القصب الجميل ثم وزعت خلع أخرى على بعض الموظفين وقارئ الفرمان وغيرهم، ولتقل الخلع الثلاث كان يرفع الخلعتين الحديدتين شخصان تخفيهما عن الشريف ثم أدير كؤوس المشروبات الحلوة على الحاضرين والموسيقى المصرية والشاهانية يتناوبان الألحان وكذلك أخذ جماعة من أهل مكة يسمون «أهل النوبة» يضربون على النقارات ومعهم آلات أشبه بالرباب يغنون عليها بالأنشيد العربية الجميلة، فكانت الوجوه فرحة مستبشرة ثم قبل الجميع يد الشريف ومنهم من قبل مع ذلك ذيل الفرجية (الأثك) وانصرفوا، وإذ ذاك نزع الشريف الخلعتين عن جسمه ووضعتهما في الوقايات الحريرية التي أرسلت فيها من الإستانة، وهكذا في كل عام تجدد الخلعتان والفرمانان العربي والتركي، ولا بأس من أن نصف لك الخلعة الأولى التي قدمت للشريف أولا وصفا مقربا: الخلعة عبارة عن فرجية — كفرجية العلماء — من الجوخ الأسود القيم مطرزة

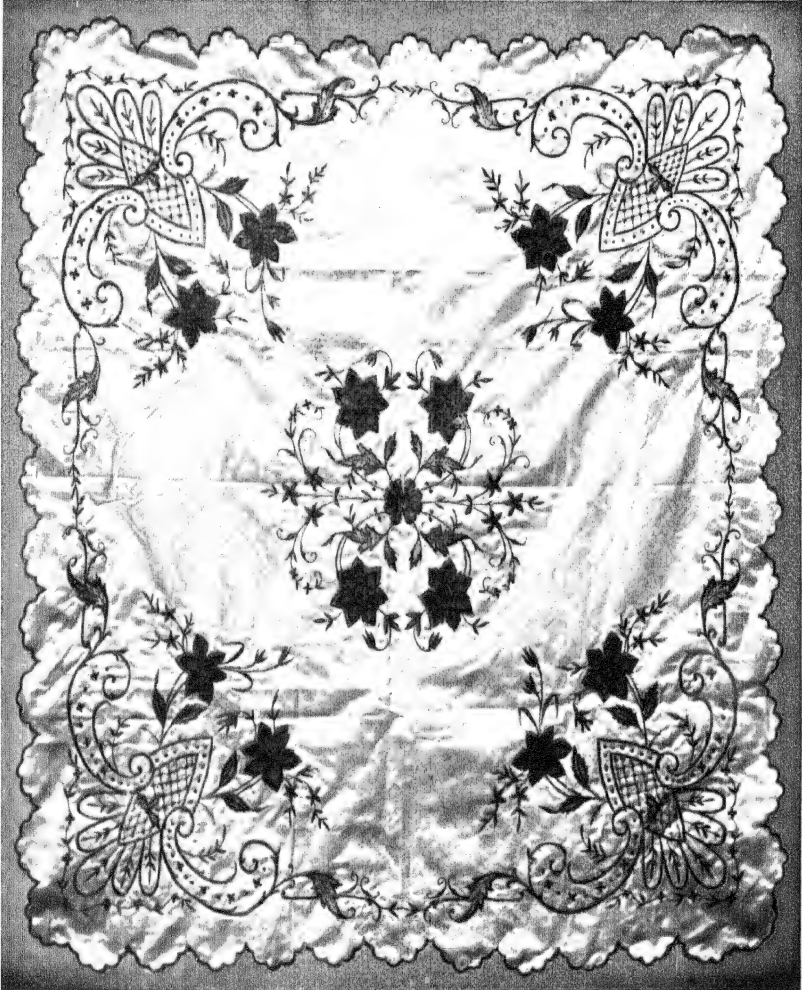
کتابخانه ملی ایران



کتابخانه ملی ایران

47. A view of a bag used for keeping the Faraman.

بُخْرُ الْفَرْمَانِ السَّامَانِي



بُخْرُ الْفَرْمَانِ السَّامَانِي

48. A view of a cloth bag used for keeping the Faraman.

ترجمة الفرمان الشاهاني بالعربية



١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

عنوان فارسی

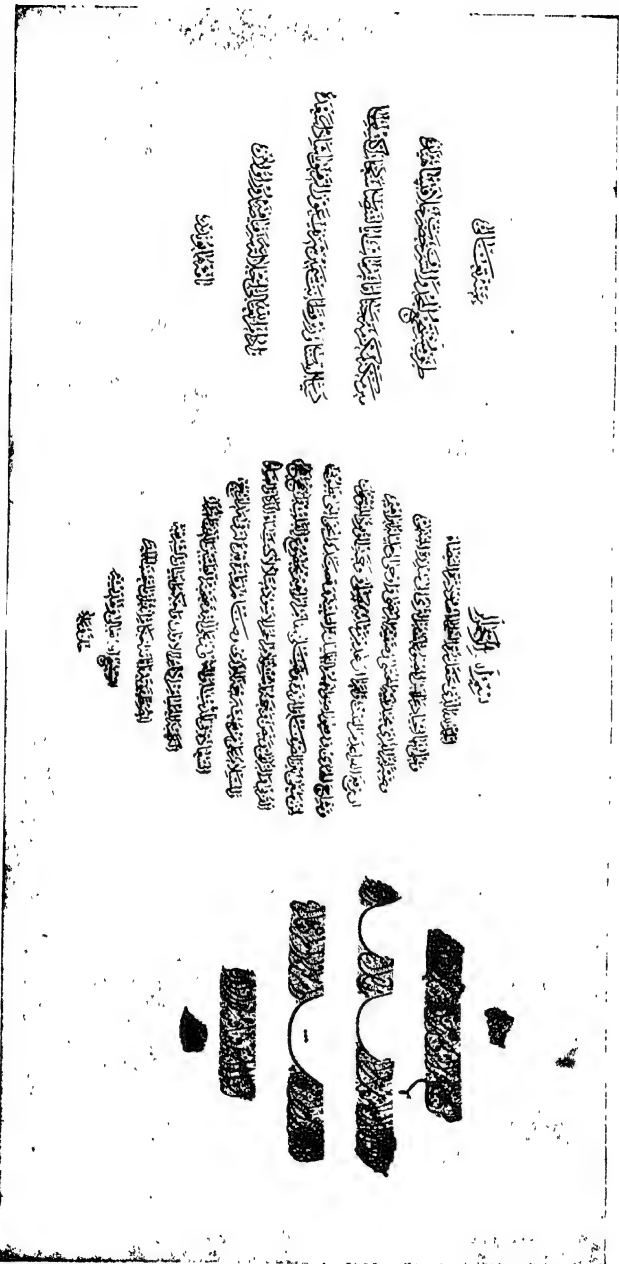
عنوان عربی

عنوان ترکی

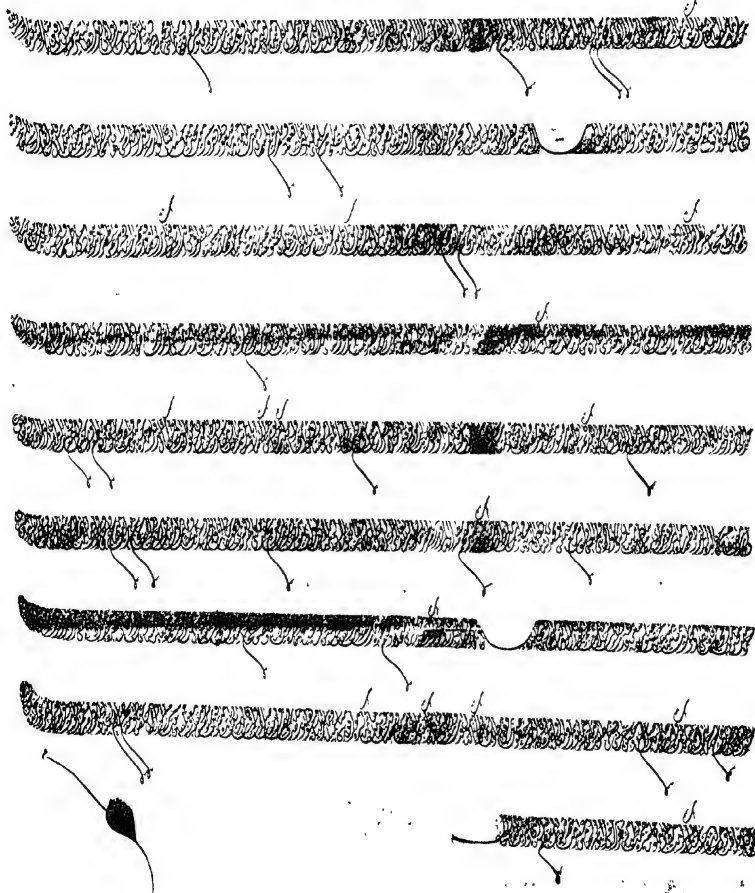
50. The title of the Faraman in Arabic language.

50. A copy of the introduction of the Faraman in Arabic language.

50. The title of the Faraman in Turkish language.



الأمير الحاج السيد محمد باقر



بسم الله الرحمن الرحيم

51. A copy of the Turkish Faraman to the Amir of Mecca.

بالقصب المنسوج (المخيش) ذى الأشكال البديعة والتقاسيم الهندسية العجيبة وقد كاد القصب يشغل كل سطحها فلا ترى به إلا اليسير من الجوخ وهى مرصعة باللؤلؤ الحتر ولها مشابك من الألماس البرلنتى الذى يكاد سنا ضوئه يخطف بالأبصار وبالخلعة جميع وسامات (نياشين) الدولة إلا «خاندان آل عثمان» الذى لا يعطى إلا لأفراد الأسرة المالكة وعدد الوسامات ٢١ وساما منها المرصع وغير المرصع . أما المكتوب السلطانى (الفرمان) فيشمل قرطاسين كبيرين من الورق أحدهما مكتوب باللغة العربية والآخر باللغة التركية وطول العربى متر و ٤١ سنتيا وعرضه ٧٩,٥ سنتيا وفيه طرة عثمانية باسم جلالة السلطان محلاة بماء الذهب تحتها ٢١ سطرا وفوقها ١٤ سطرا وطول السطر ٧٠ سنتيا وعرضه ١,٤ سنتى وبين السطر والآخر سنتيان أنظر المكتوب العربى فى الرسم ٤٩ وعنوانه ومقدمته فى الرسم ٥٠، أما المكتوب التركى (الفرمان) فطولها ١,٤٢٥ متر وعرضه ٧٨,٥ سنتيا وبه ثمانية أسطر وثلث طول السطر ٦٩ سنتيا وعرضه ٢٦ مليمترا وبين السطرين فضاء ٥,٥ سنتيات وتراه فى (الرسم ٥١). وعنوانه فى (الرسم ٥٠) وقد بلغنى أن من يخط الفرمان يتناول مرتبا شهريا قدره ٤٠٠ جنيه عثمانى وإن من يتأمل الخط ووضعه وحسن تنسيقه يرى أن كاتبه يستحق مكافأة جزيلة ولكن لا ينبغي أن تكون لهذا القدر ٨٠٠ جنيه فى السنة بل يكفى مرتب مناسب على أنه لو عمل له طابع (إكلشيه) لوفر هذا المقدار وصرف فى وجوه الإصلاح الأخرى، وما على الكاتب إذا تغير أمير مكة إلا أن يكتب اسم الأمير الجديد بخطه فقط إذ عبارة المكتوب السلطانى لا تغير، وهذان المكتوبان سطرا بأجل خط عربى ويتضمنان الثناء على الشريف والخليفة ونصح الأول بمساعدة الحجاج وكف أذى العربان عنهم وصرف المرتبات لأربابها وفيهما كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تأخذ بجامع القلوب ولكنها مواضع لم تصادف الأذن الصاغية والقلوب الواعية فانك تسمع عقب تلاوته دوى الرصاص يرمى به الأعراب حجاج البيت الحرام وترى دولة الشريف يقول «سيبوه» فما أرق الموعظة وما أقسى القلوب .

التهنئة بالعيد في منى

شغل الناس عن التهنئة بالعيد في يومه لأنهم ذهبوا الى مكة لأداء طواف الإفاضة بعد رميهم بحمرة العقبة في صباح العيد، وفي اليوم الثاني أخذوا يتزاورون مهنتا بعضهم بعضا بالعيد الأكبر . بعد أن انتهت الحلقة بتلاوة فرمان زرت مع الأمير والأمين والوالى والأشراف ورئيس العسكر السلطانى ورئيس المالية « المحاسبجى » وأمير المحمل الشامى وأمينه وهنأناهم بالعيد وقدمت لنا المشروبات الحلوة وأطلق أمير الحج الشامى ١١ مدفعا تحية لأمر الحج المصرى ثم رجعنا الى أما كننا انتظارا للرائين كما هى العادة فى الأعياد .

وفى الساعة ١١ العربية تفضل دولة المشير أحمد باشا راتب بزيارتنا فزار الأمير والأمين ورئيس الحرس كلا فى مكانه وكان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى ، وكان بصحبته صاحب السعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية المجازية وقد احتفينا بهما الاحتفاء المناسب لمقامهما وأطلقنا لقدميهما ٢١ مدفعا وسرهما حسن النظام العسكرى ، وكانت الجنود قد اصطففت صفين سارا بينهما وقد قدمت لدولة والى ضباط الحرس فوقف وصاحفهم وأثنى عليهم ، وبعد تناول القهوة والأشربة الحلوة أنصرف مودعا بمثل ما قبل به فصدحت الموسيقى بالسلام العظيم ولا أنسى الثناء على حضرات الضباط فى هذا الموطن فانهم أحضروا جميع ما لديهم من السجاجيد والكراسى ووضعوها فى سرادق مما جعل منظره حسنا بهيجا وإن ذلك منهم لآية على حسن طويتهم وحبهم لما يعلى رئيسهم ، وكذلك زار كلا منا فى سرافقه أمير المحمل الشامى وأمينه فأحتفينا بهما وأطلقنا لقدميهما ١١ مدفعا وقد كانا بملابسهما الرسمية وعلى كل وسام (نيشان) عثمانى من الدرجة الأولى ، وبعد تناول القهوة والشاى عادا بسلام شاكرين حسن اللقاء ودماثة الأخلاق ، وممن زارنا الشريف على باشا ومحمد ناصر غالب باشا وقد لبنا عندنا زهاء ساعة مسرورين من قيامنا لهم بالواجب ، وزارنا أيضا الشيخ الشبى ووكيل الشيخ السنوسى وأبن الشيخ الفاسى

وكثير من الضباط العثمانيين والحجاج وخدام المسجد الحرم (الأغوات) وقد استمرت تلك الزيارات حتى الساعة السادسة ليلا ، وكان الضباط يحتفلون بالزائرين ويعنون براحتهم .

الزينات بِمَنَى — هذا وقد أقيمت في مساء ١١ ذى الحجة الزينات بِمَنَى عند خيم الشريف والوالى وأميرى المحملين وأطلقت « الصواريخ » بعد العشاء ، وقد هرع الناس الى زينة المحمل المصرى لجملها وحسن تنسيقها وليسمعوا الموسيقى والمزمار البلدى ، وكان الزحام شديدا خصوصا فى سرادق إذ رأوا فينا أكتافا موطأة وصدورا رحبة ووجوها باشة .

ذبائح منى وسوقها — كان الحجاج فى هذا العام يقاربون مائة وخمسين ألفا وكان أكثرهم ينخر الهدايا بِمَنَى فى ساعة واحدة من يوم النحر، وكان الناس فى الأعوام السالفة ينحرون بالقرب من منازل الحجاج وفى ذلك تلويث الأماكن بالدماء وإثارة الروائح الكريهة التى تجعل الهواء موبوءا والأجسام معتلة ولكن فى هذا العام عملت حفرة كثيرة بعيدة عن منازل الحجاج بألف متر أريقَت فيها الدماء فلم يلوِّث الهواء بِمَنَى ولم نشم الروائح البشعة وكان الجو معتدلا — ولكنه بالليل بارد — من أجل هذا كانت صحة الحجاج حسنة ولم يمرض أحد منا . وكان ثمن الشاة من ريالين ونصف الى ثلاثة ونصف وكان يؤخذ للشريف على كل رأس من الغنم تباع للحجاج خمسة قروش من البائع .

وبِمَنَى سوق تجدها ما يلزم من سلاح وملابس وسجاجيد وطنافس (أكلمة) ومرجان وخرز، والمبيعات معظمها بالطريق وقليل بالحوانيت ، والعربى يشتري من هذه السوق ما يلزمه طول السنة .

الرجوع من منى الى مكة

فى الساعة الثامنة العربية من يوم ١٢ ذى الحجة سنة ١٣١٨ رحل ركب المحمل ورمى الجمار الثلاث فى زحام شديد لم نرله مثيلا إذ قطع المحمل المسافة بين الجمره

الصغرى وجمرة العقبة فى ساعة بنماهى لا تزيد على ٣٠٠ متر ثم تابعنا السير فوصلنا مكة فى منتصف س ١١ وأدخلنا المحمل الى فناء المسجد الحرام من باب النبى صلى الله عليه وسلم حسب المعتاد وتركنا لحراسته بعض الجنود وبقي بالمسجد حتى يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة حيث أحتفل بسفره من مكة الى المدينة بعد أن ورد لنا كتاب تركى من دولة الوالى بتعيين موعد الاحتفال وترى الكتاب بنصه فى (الرسم ٥٢) وهو وإن كان فى سنة ١٣٢٥ فإن نصه لا يتغير .

الاحتفال بفتح «المسافر خانة» السلطانية

فى يوم الخميس ١٥ ذى الحجة أحتفل بفتح المضيفة (المسافر خانة) التى شيدها لفقراء الحجاج جلالة السلطان عبد الحميد من ماله الخاص وقد أقيم بناؤها فى فضاء واسع جنوبى مكة الغربى وقد حضرت مع ضباط المحمل وحرسه هذا الاحتفال بدعوة من الوالى ، وفى الساعة الأولى العربية اصطفت عساكرنا بالفضاء الواسع أمامها فى الجهة الغربية والعساكر العثمانية فى الجهتين الشرقية والبحرية ومع كل قسم موسيقاه وقد ازدحم باب المضيفة بأكابر مكة وأشرافها ومعهم أميرا المحملين وأميناهما ، وفى منتصف الساعة الثانية حضر دولة الوالى فخيته الجنود بهتافهم وموسيقاهم وصاغ الحاضرين ثم صعد الى الطبقة العليا منها فرأى حجراتها وطرقاتها فأعجب بنظامها ثم نزل الى الطبقة الأولى ولم تمض عشرون دقيقة حتى شرف أمير مكة وحاكمها الحقيقى فخيته الجنود والموسيقى بالسلام السلطانى وقبل يده جميع الحاضرين ثم أمر بقراءة خطبة كلها دعاء وثناء وتعيد لماثر السلطان ، وبعد قراءتها صدحت الموسيقى بالسلام الملكى معقبا بالهتاف لجلالة السلطان ، وقد بدأ القسم المصرى بالسلام أولا فالقسم العثمانى الشرقى فالقسم البحرى ثم دخل الشريف المضيفة وجلس فى حجرة من طبقتها الأولى ومعه الوالى والمدعوون — ويقال : أنه أمر بالوسام (النيشان) المجيدى الثانى لأمير الحج المصرى والمجيدى الثالث لأمين الصرة ولكنه شئ سمعناه ولم نره — والظاهر أنه قصد بتلك الاشاعة أن يتساهلا

مع الشريف في تقدير أجراء الجمال ولا يتشددوا ولكن هيات أن تجوز عليهما الحيلة ثم صعد الى الطبة الثانية ووقف بطنف (تراسينة) فيها يشاهد العساكر حين انصرافها الى ثكناتها وقد سرّ كثيرا من نظام القسم المصرى وجميل شكله ، وبعد فراغنا من التحيات العسكرية دخلت المضيفة وتفقدتها فاذا هى بناء نفخ محكم البناء جميل النظام يحتوى على طبقتين مسقوفتين بالحديد الذى يتخلله عقود بالأجر الأحمر الافرنكى والبياض متقن جدا فى نعومة وهو من المواد العادية ومسحوق الرخام ، والأرض مرصوفة بالبلاط ، والجهتان البحرية والشرقية تم بناؤهما وبياضهما ورصف أرضهما أما الجهتان الأخرى فلم يتم تجهيزهما وتبليطهما ، وللمضيفة فناء واسع كانت به حفر كثيرة خلفها الأتربة التى أخذت للبناء ، وطول الضلع البحرية من هذه السراى ١٥٠ مترا فى منتصفها الباب العام تعلوه « الأرملة » العثمانية المذهبة وضلعها الشرقية ٩٠ مترا بالتقريب والقبلى مثل البحرى والغربى كالشرق وجميع أبوابها ومنافذها مصنوعة من الخشب المتين الذى طلى بإطلاء جوزى ، ومفاصل الأبواب والنوافذ ومقابضها وزواياها مصنوعة من النحاس صنعا متقنا ، وبيوت الخلاء بعيدة عن مباني الحجرات حتى لا تؤثر فى الجدران بالترشيح ولا تشم روائحها الكريهة ، ولم تكن الأنايب والصنابير (الحفريات) قد وضعت بها وإن يعجبك هذا النظام فاعجب لهذه السراى التى بها ناظر وخدم وطباخون يأخذون مرتبهم من ثلاث سنين خلت فى حين أنه لا توجد حجرة من حجراتها مفروشة ولا يوجد بها فقير واحد . وقد بلغنى أن جلالة السلطان أنفق على إقامتها ٩٠٠٠٠ جنيه مجيدى (الجنيه المجدى ٨٧,٧٥ قرشا مصرى) وقد أخذت رسم المضيفة فى سنة ١٣٢٥ وهو كما تراه فى (الشكل ٥٣) .

زيارة غار حراء (جبل النور)

روى البخارى فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :
أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم

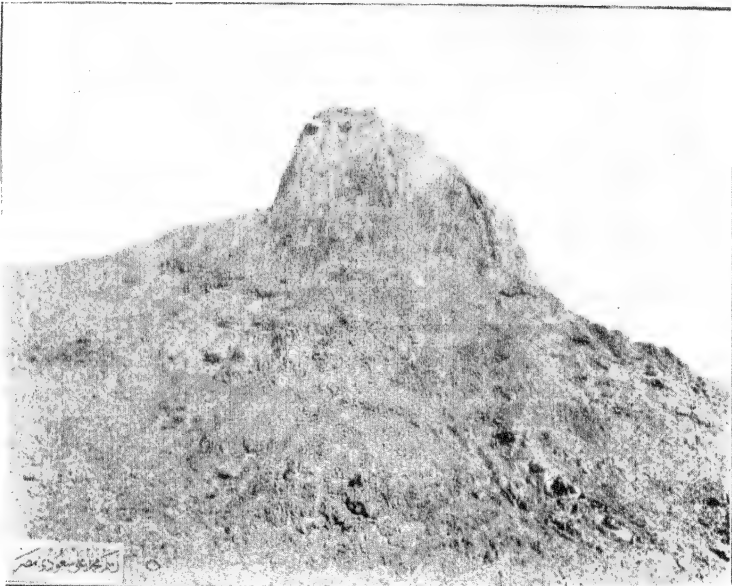
منظر من مكة المكرمة



مَنْظَرُ الْمَسْكَنِ وَالْمَسْكُونَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُكَرَّمَةِ

53. The Rest House at Mecca.

جبل غار حراء



مَنْظَرُ الْجَبَلِ الْكَبِيرِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُكَرَّمَةِ

54. The Mount of the Cave of Hera at Mecca.

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح^(١) ثم حجب إليه الخلاء فكان يخلو «بغار حراء» فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق^(٢) وهو في «غار حراء» بجاءه الملك فقال : اقرأ قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد^(٣) ثم أرسلني فقال اقرأ : قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد^(٤) ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ونحمل الكل^(٥) وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق^(٦) — الحديث .

فترى من هذا مكانة «غار حراء» وأنه كان متعبدا للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأن به نزلت أول سورة من القرآن الذي هو نور وهدى للناس وفيه شفاء لما في الصدور فلا تعجب إذا رأيتنا ولعين بزيارة هذا الأثر، ففي يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣١٨ قصدت جبل حراء في جملة من الضباط والعساكر وبعض الحجاج فوصلنا إليه بعد خمسين دقيقة بسير الخيل المعتاد، وهذا الجبل يقع في شمالي مكة على يسار الذهاب إلى عرفات بعيدا عن جادة الطريق بنحو ميل ، ويقول ياقوت

(١) بياض . (٢) الوحى . (٣) الغط : العصر الشديد ، ومنه الغط في الماء : الغوص

قيس : إنما غطه ليخبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئا . (٤) الطاقة . (٥) دم غليظ .

(٦) يضطرب قلبه . (٧) لقوفى في الثياب . (٨) الخوف . (٩) القرابة . (١٠) الضعيف .

(١١) تكومه .

في معجمه : إنه على ثلاثة أميال من مكة وأنه جبل شامخ أعلى من ثبير وفي أعلاه قلة شامخة زلوج — أنظر الجبل في (الرسم ٥٤) — وفي ميسرة القيمة نفس غار حراء، وقد صعدنا هذا الجبل في ٣٥ ق مع أن ارتفاعه حوالى ٢٠٠ متر ولكنه يكاد يكون عموديا فلذا كان صعب المرتقى واضطربنا إلى الاستراحة مرتين أثناء الصعود وأغمى على بعض الضباط ولولا ما معنا من الماء الذى رششنا به وجهه لحصل ما لا نتحده عقباه ، ولذا يجمل بمن رام صعوده أن يستصحب بعض المياه خصوصا في آونة الحر ، وقبل أن نصل الى قنة الجبل بثلاث دقائق وجدنا خزاناً تحت بالجبل لحفظ مياه المطر يبلغ طوله ٨ أمتار في عرض ٦ وعمق ٤ وله درج للوصول إلى قاعه وكان خاويا من الماء، ووجدنا بجانبه امرأة عربية تصنع القهوة والشاي للزائرين في موسم الحج وتبيعهما بالثمن وقد تناولنا من شايبها وقهوتها وفرشت لنا بساطا من الصوف، ومكثنا في حضرتها نصف ساعة ونقدناها الثمن مضاعفا مكافأة على ما قدمت ثم تسمننا ذروة الجبل وإذا فيها بناء متين تعلوه قبة طوله ٦ أمتار في مثلها عرضا في ٨ ارتفاعا وفي أرض هذا البناء حجر أملس أسود به شق في وسطه أشبه بالفتحة التي نراها بمصر في صناديق الخطابات بها انحدار إلى أسفل ويقال : إنه المكان الذى شق فيه صدر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولكن أخرج «البخارى» في صحيحه عن مالك بن صعصعة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم . ”بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان — وذكر بين الرجلين^(١) — فأتيبت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا فشق من النحر الى مَرَأَقِ البطن ثم غَسِلَ البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانا“ — الحديث . وجاء في كتاب الشفاء: روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ”فرج سقف يتي فزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست“ الخ

(١) في بعض الروايات : وذكر يعنى رجلا بين الرجلين والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ناما بين رجلين حينما أتى بالطست فالضمير في ذكر يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والرجلان حمزة وجعفر يوضح ذلك رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة بلفظ إذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين .

(ص ١٤٤) وأكثر الأحاديث على أن شق البطن كان في صغره صلى الله عليه وسلم وهو عند حليلة السعدية وقد قالت في ذكر قصة الشق لأمه آمنة بنت وهب: بينما هو وإخوته في بهم^(١) لنا خلف بيوتنا الخ، فأين البيت الحرام أو سقف بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما وراء بيوت حليلة من قنة جبل حراء التي زعم الناس أن بها مكان شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم؟ اللهم إن هذا بهتان مبین ظنه الناس صدقا وتوارثوا هذا الظن حتى بلغ من نفس السلطان عبد العزيز أن حركة لبناء قبة على هذا المكان المزعوم في سنة ١٢٧٩، وقد وجدت هذا مكتوبا على حجر في جدارها الجنوبي محلي بماء الذهب، وفي الجهة الجنوبية من القبة غار حراء الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على ما أسلفنا لك، والإنسان ينحدر إليه من قنة الجبل على درج حجري غير منتظم أشبه بالسلم، والبعد بينه وبين القبة نحو ٥٠ مترا وهذا الغار عبارة عن فجوة بابها نحو الشمال تسع نحو خمسة أشخاص جلوسا وارتفاعه قامة متوسطة وقد صلينا فيه ودعونا ووجدنا هناك بعض الحجاج من الأتراك يزورون هذه الآثار. والواقف على قنة هذا الجبل يرى مكة وأبنتها العظيمة وقلاعها الحصينة كما يرى جبل ثور، ولون الجبل ذهبي حتى لو حدثت النظر في قطعة منه تخالها ذهبا إبريزا ولذلك إذا سطعت عليه الشمس ترى له منظرا من أجمل المناظر وأبهجها، وقد أخذت قطعا صغيرة منه ولكن للأسف عملته إحدى الخدم كأنونا بمدينة الوجه فتركت القطع هنا لك، ومما ينبغي لرائي هذا الجبل أن يحملوا معهم الماء الكافي وأن يكونوا جماعات يحملون السلاح حتى يدفعوا عن أنفسهم شر اللصوص من العربان الذين يتربصون الفرص لسلب الحجاج أمتعتهم ونقودهم خصوصا في مكان متقطع كهذا لا يقصده إلا بعض الحجاج، وقد بلغني أن أعرايا قتل حاجا فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل له: تقتله من أجل ريال؟ فقال وهو فرح "الريال أحسن منه" فانظر كيف بلغت القسوة من هذه القلوب وكيف أعمأها حبها لدرهم معدودة عن المحافظة على أرواح بريئة تقوم بشعيرة من أكبر الشعائر الدينية في مكان جعله الله حرما

(١) بهم جمع بهمة وهي ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى .

أَمَّا لِلنَّاسِ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ هذا وفى سنة ١٣٢١ رقبنا الجبل وكان معنا صاحب الدولة وزير حربية مرا كش السيد المهدي المنبهي ولما أن نزلنا ضربنا فى سفح الجبل فسطاطا تغذينا فيه مع الوزير الذى واسى الفقراء بماله وطعامه .

زيارة غار ثور

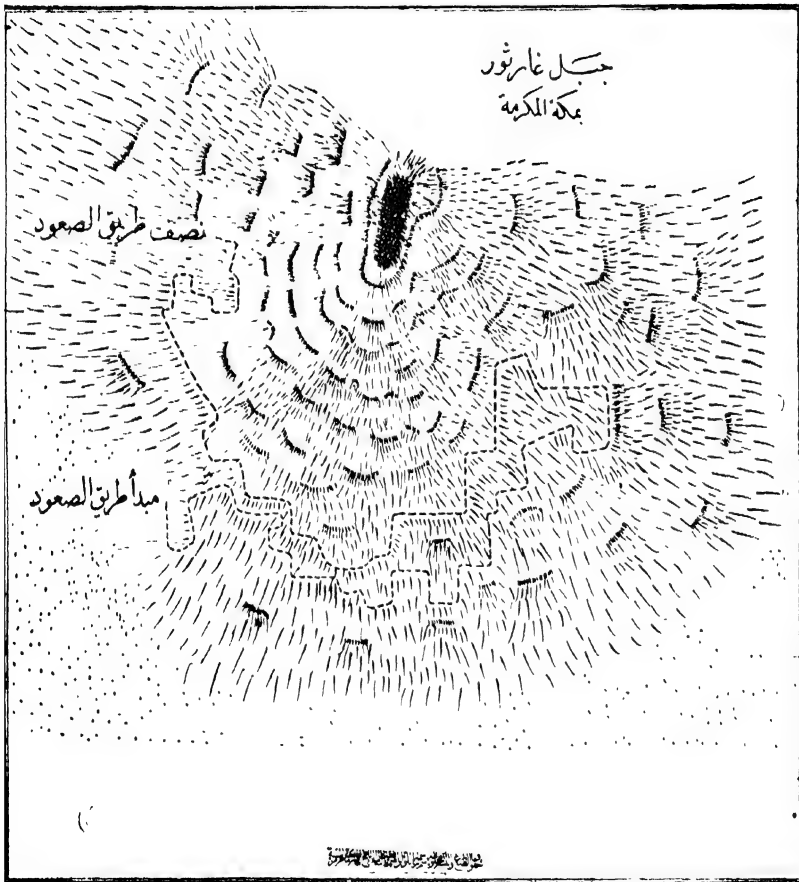
قال تعالى فى سورة التوبة ﴿إِلَّا تَتُوبُوا فَلَنَسْفِئَهُنَّ إِنَّهُنَّ مُنْكَرَاتُ الرَّسُولِ أُولَٰئِكَ يَخْرُجُونَ﴾ (١) كَفَرُوا ثَانِي أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَأُخْرِجَ الْبَخَارَى فِي صَحِيحِهِ فِي بَاب «ثَانِي أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ» مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ — عَنْ أَنَسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَى أَنَا قَالَ : ” مَا ظَنُّكَ بِأَثْنَيْنِ اللَّهِ تَالِهُمَا “ اه ، وَذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ عُمَرَ : قَالَ نَجَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَعَلَّ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فِطَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْكَرَ الطَّلَبِ فَأَمْشَى خَلْفَكَ ثُمَّ أَذْكَرَ الرَّصَدِ (مَنْ يَرِصُدُهُمْ وَيَنْتَظِرُهُمْ) فَأَمْشَى بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَبَا بَكْرٍ لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي ، قَالَ : نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى اسْتَبْرَأَ لَكَ الْغَارَ فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَأَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرَأِ الْحَجْرَةَ ، فَقَالَ : مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى اسْتَبْرَأِ الْحَجْرَةَ فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَ الْحَجْرَةَ ثُمَّ قَالَ أَنْزَلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَتَزَلَّ فَمَكَثَ فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى نَحَدَّتْ عَنْهُمَا نَارُ الطَّلَبِ بِجَاءَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقُطٍ بِالرَّاحِلَتَيْنِ فَارْتَحَلَا . اه .

فقرى من هذا أن غار ثور هو الغار الذى اختفى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من دعاة الباطل وأعداء الحق الذين مكروا به مكراً ثكَّاراً — (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) — وأن الرسول اختفى به مع أبى بكر ثلاثاً حتى انقطعت عنهما نار الطلب ثم خرجوا منه الى المدينة حيث كانت عزة الاسلام وأهله . لهذا كله وددنا ان نرى هذا الأثر رأى العين ، نخرجنا من مكة قبل فجر يوم ١٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (٨ أبريل سنة ١٩٠١) قاصدين زيارة هذا الغار وكان بصحبتنا صاحباً الفضيلة الشيخ محمد طوموم والشيخ محمد أحمد السيوطى صهرانا وجملة من الحجاج وثلة من الجنود نتقى بهم شرار الأعراب فى سبيل لا يمر به إلا القليل وقد اتحننا ناحية الجنوب فى سيرنا وصلينا فرض الصبح قبل الوصول الى الجبل ، وقد قطعنا المسافة بينه وبين معسكرنا بالشيخ محمود فى ساعة و ٢٠ ق بسير الخيل المعتاد وهى قريبة من خمسة أميال ونصف ، والطريق من مكة الى الجبل تحفه الجبال من الجانبين وبه عقبة صغيرة يرتفع اليها الانسان وينحدر منها ولم يستغرق قطعها إلا ٣ ق وبالطريق سبعة أعلام مبنية بالحجر ومحصصة فوق نشوز من الأرض يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار وقاعدته متر مربع وتنتهى بشكل هرمى ، وهذه الأعلام على يسار القاصد للجبل ، وبين كل اثنين منها بعد يتراوح بين ٢٠٠ مترو ١٠٠٠ متروكل واحد منها وضع عند تعريجة حتى لا يضل السالك عن الجبل ، وساعة بلغنا الجبل قسمنا قوتنا قسمين قسم صعد معنا الى الجبل والآخروقف بسفحه يردنا عادية العربان إن هموا بالأذى . وقد تسلقنا الجبل فى ساعة ونصفها بما فى ذلك استراحة دقيقة أو اثنتين كل خمس دقائق بل فى بعض الأحيان كنا نستريح خمس دقائق لأن الطريق وعمر حلزوني ، وقد عددت ٥٤ تعريجة الى نصف الجبل وكنا آونة نصعد وأخرى ننحدر حتى وصلنا الغار بسلام ، ولولا الاصلاح الذى أحدثه المشير عثمان باشا نورى الذى ولى الحجاز سنة ١٢٩٩ هـ . والمشير السيد اسماعيل حتى باشا الذى كان واليا على الحجاز وشيخاً للحرم سنة ١٣٠٧ هـ لأزدادت الصعوبة وضل السائر عن الطريق ولم يهتد الى الغار لعظم

الجليل وآتساعه وتشعب مسالكه (الرسم ٥٥) وكان من أثر إصلاحهما جعل الطريق بهيئة سلام تارة تتصعد وأخرى تتحدر على أنه مع ذلك لا يزال العروج صعبا فقد رأيت بعض الصاعدين أمتقع لونه وخارت قواه فوقع على الأرض مغشيا عليه ولولا أننا تداركناه بجريئة من الماء شربها وصباية منه سكبناها على رأسه حتى أفاق لباغته المنية ، ولهذا ننصح للزائرين بأن يترودوا من الماء ليقوا أنفسهم شر العطب .

ولما بلغنا الغار وجدناه صخرة مجوفة في قنة الجبل أشبه بسفينة صغيرة ظهرها الى أعلى ولها فتحتان في مقدمها واحدة وفي مؤخرها أخرى وقد دخلت من الغربية زاحفا على بطني ماذا ذراعى الى الأمام وخرجت من الشرقية التي نتسع عن الأولى قليلا بعد أن دعوت في الغار وصليت ، والفتحة الصغيرة عرضها ثلاثة أشبار في شبرين تقريبا وهى الفتحة الأصلية التي دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم وهى في ناحية الغرب أما الفتحة الأخرى فهى فى الشرق ويقال : أنها محدثة ليسهل على الناس الدخول الى الغار والخروج منه ، والغار من الجبل فى الناحية الموالية لمكة وقد وجدنا بجانبه رجلا عربيا يتناول الصدقات من الزائرين فى مواسم الحج ويرشدهم الى الغار إذ توجد هناك صخور تشبه صخرته ولكنها لا تماثلها تماما ، وقد مكثنا فوق ظهر الجبل ساعتين أكلنا فيهما وشربنا وتناولنا الشاى وتفقدنا كثيرا من نواحي الجبل ، وقد نزل فى خلالها القسم الذى زار وجاء القسم الذى تركناه بسفح الجبل ليزور ، وقد قدم علينا ونحن على ظهر الجبل نحو عشرين من حجاج الداغستان ففرحوا بنا ورافقونا الى أن رجعنا الى مكة . ولا يقصد زيارة هذا الغار وغار حراء إلا قليل من الأتراك والمغاربة والداغستانيين ولم يسبقنا الى هذه الزيارة أحد من المصريين بل ولا من المكين إلا ما ندر ، وقد بلغنى من أناس يقيمون بمكة منذ أربعين سنة أنهم لم يصعدوا الى هذين الجبلين ولا رأوا من المصريين أو مرافق الحمل من قصدهما فله المنة علينا . أنظر الغار فى الرسم ٥٦ الذى أهدها إلينا فى سنة ١٣٤٢ حضرة أحمد أفندى صابر ناظر التكية المصرية بمكة فله منا الشكر الجزيل على هذه الهدية القيمة .

جبل ثور وطريق الصعود عليه



جبل ثور وطريق الصعود عليه

55. Thor's Mountain and road of ascending same.

(غار ثور) رسم احمد صابر ناظر تسكية مكة



هذا مظهر الغار الذي نزل فيه قوله تعالى (الا
 ينظرون فقد نصر الله اذ افرجه الذين كفروا
 كما اني اتيته اذ هما في الغار اذ يقول لربنا هبنا
 فخرنا به انه الله ههنا الخ في سورة التوبة
 فخرنا في الغار بهم القرية في يوم الاثنين ٩ جمادى
 الاولى ١٣٤٢ و ١٧ ربيع الثاني ١٣٤٢
 احمد صابر ناظر

بسم الله الرحمن الرحيم

وارتفاع جبل ثور يزيد على ٥٠٠ متر والواقف في أعلاه يشرف على كل ماحواله من الجبال ويرى مكة وما حولها واضحة ظاهرة وكذلك يرى حدة (بالحاء المهملة) بنخلها وبأعلى ثور علم يسترشد به الناس لمعرفة هذا الجبل وهو مبنى بالجمر ومبيض بالحص ويشبه الأعلام التي وصفناها قبلا في طريقه أنظر (الرسم ٥٥) والجبل ذو ألوان مختلفة من ذهبي فضي وخمى وما يشبه الأسمت وما يماثل المرمر، وربما كانت له ألوان أخرى في جهات لم أرها وقد أخذت من كل معدن قطعة ولكن فعلت بها الخادمة ما فعلت بالقطع التي أخذتها من جبل حراء — سامعها الله — غير أنها تركت قليلا عرضته بعد حضوري الى مصر على بعض الصاغة فأخبرني بأن معدنه من الذهب ولكنه غير مستو؛ هذا وقد زار غار ثور سيدى عبد الله بن محمد ابن أبى بكر العياشى وذلك في يوم الأربعاء ٨ شوال سنة ١٠٥٩ كما جاء برحلته المطبوعة سنة ١٣١٦ وقد ذكر فيها أنه مشى إلى الجبل من طريق بين الخدمة وأبى قبيس لقربه وإن كان وعرا ومسافته ثلاثة أميال أما زيارتنا فكانت من طريق المسفلة وهو أطول وأسهل وقد وصف الغار وصفا دقيقا وذكر ما قاساه من المشاق في الصعود الى هذا الجبل على نحو ما وصفنا (أنظر ص ١٠٢ جزء ثانى من رحلته).

عادات المكيين بعد موسم الحج

بعد انقضاء الموسم يقيمون الأفراح ويزوجون الأولاد ويتروضون جهة الطائف والزاهر والأماكن التي بها بساتين ويستصحبون معهم المغنين وآلات الطرب لأنهم ولعون بالآغاني، وفي شهر رجب يقصدون المدينة للزيارة وفي ذلك ينفقون ما جمعوا في الموسم الا قليل منهم يستبقى بعض كسبه لينفقه في السفر الى البلاد التي يفد منها الحجاج ليتعرف بمريدى الحج في العام القابل ولينفق معهم على أن يكونوا من مطوفيه وأكثرهم يقترض النقود بفائدة كبيرة لينفق منها في تلك الرحلات على أمل أن يسددها في الموسم وقلما يسددها فيطوق بالديون، وقد كذب ظنهم في هذا العام دولة الشريف فقد قسم مصر وجاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساما تسابق المطوفون.

إلى شرائها بأثمان ظنوها متناسبة مع أهمية المركز وثروة حجاجه ، ولكن كثيرا منهم خسر في ذلك خسارة فادحة إذ دفعوا في الأقسام أثمانا باهظة بلغت الخمسين جنيها وزادت ، ولما حان الموسم لم يحصلوا مقدار ما دفعوا ولكن قليلا منهم سعد جده فربح أرباحا عظيمة . وقد نشأت خسارة من خسر من علو ثمن الأقسام ومن أنه كان سافر إلى بعض الجهات وأنفق في ذلك وفي الهدايا التي كان يأخذها لمريدي الحج النفقات الطائلة ثم ظهر بعد ذلك أن كثيرا منهم لم يأت في القسم الذي اشتراه ، ولما رأى بعض المطوفين أن حجاج قسمه فقراء وما يدفعونه بخس اشتد عليهم وأغلظ لهم القول وحصل من جراء ذلك تشاحن وتساب بين الفريقين . وكانت العادة المتبعة قبل هذا التقسيم أنه يجبي من كل مطوف ريال للشريف عن كل حاج ينزل عنده وبالضرورة يأخذ المطوف من الحاج أمثال هذه الضريبة ولو كان في فقر مدقع ، وإن كانت لديه شفقة تجاوز عنه وحصل أضعافه من الموسرين ، والشريف لا يقبل أي مطوف من الضريبة مهما قدم من الأعذار فإما أن يدفع وأما أن ينج به في غيابة السجن ﴿ وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

دولة الشريف عون الرفيق وسلطته بمكة

يلقب الشريف مكة بسيد الجميع تمييزا له عن بقية الأشراف وهو الحاكم الذي لا ينازع في أمر ولا يرد له قول ينفي من شاء ويحبس من شاء ويعاقب من شاء بيده عقد الأمور وحلها وكل الأحكام بمكة طوع إشارته من كبيرهم أحمد راتب باشا المشير إلى صغيرهم ، فإن عارضه واحد منهم عزل في الحال لأن الشريف له يد قوية في الدولة فأى الأمور طاب أجيب إليه بل غالب الشكايات منه ترد إليه ليفصل فيها بما شاء من شرع أو هوى ولا معقب لحكمه فالويل كل الويل لمن شك ، نعم هذه اليد المستبدة تناسب حال الأعراب الأشرار الذين لا ترغهم إلا القوة ولا يقومهم إلا البطش بهم ، ولكن لو ضمت إلى القوة العدالة لكبح الأشرار عن سيئاتهم

والتف الناس حوله بأجسامهم وقلوبهم لأن للعدل من السلطان على النفوس ما ليس للقوة الغاشمة .

أما الشريف على باشا فله سلطة على الأعراب وله في نفوسهم مكانة واحترام ولذلك لا يردون له فولا وهو الذي يقابلهم اذا حضروا ويفاوضهم اذا عملوا . لا يرضاه الشريف وود إقلاعهم عنه .

أجر الجمال والمكوس

كان يؤخذ في جدة على كل شقدف يباع ستة قروش مصرية ونصف — روبية — وهي وان كانت تؤخذ من البائع لكنها في الحقيقة يدفعها المشتري اذ يلاحظها البائع في تقدير الثمن ويؤخذ من أجرة الجمل الذي يقل الحاج من جدة الى مكة ربالان للشريف وخمسة قروش عثمانية (٤ قروش مصرية) للحكومة وريال آخر لوكيل المطوف بجدة ولتعهده الجمال (المقوم) — ضرائب ما أنزل الله بها من سلطان — وقد كانت أجرة الجمل من جدة الى مكة ٦ ريالات «برم» (وهو عشرة قروش مصرية تقريرا) في بدء الموسم هذا العام فاذا نقصنا تلك الضرائب من هذه الأجرة كان الباقي للجمل أجرة له ولجمله دون ٣ ريالات أى أقل من نصف الأجرة وإن ذلك لظلم بين يحمل الجمل على أن يسلب من الحاج ما استطاع ، والأجرة وإن كانت في أول الموسم ٦ ريالات «برم» لكن عند وصول الحمل الى جدة بلغت ١٢ ريالا ثم أخذت تزداد حتى بلغت ٣٠ ريالا ثم تناقصت الى ٦ ريالات كما كانت أولا وكان آخر نقص لها يوم ٧ ذى الحجة ، والسبب في ارتفاع الأجرة الى ٣٠ ريالا أن الحاج كثر ورودهم من جهات جدة والمدينة والجهات الشرقية بحال لم يسبق لها منيل حتى كانت الطريق لا تخلو لحظة واحدة ليلا ونهارا من مرور الحاج بها ، وقد قدمنا لك أنه في يوم السبت ٢ ذى الحجة قدم من جدة الى مكة ١٥٠٠ حاج مشاة على أفدامهم اقله الجمال . وكان يؤخذ بمكة على كل رأس يباع من الغنم خمسة قروش مصريه . على كل جمل نحسون قرشا ، وقد كانت الأجرة من مكة إلى عرفات ذهابا واما للجمل ذى الشقدف

٧ ريات « برم » وذى الرحل الذى يركبه شخص واحد ٦ ريات منها ريال للشرىف وآخر للطوف والمقوم فيبقى للجمال ٤ ريات أو خمسة . وأجرة الجمل من مكة الى المدينة الى ينبع كانت لذى الشقذف ٣٣ ريالا مجيديا ويتبع ذلك نصف جمل لحمل المناع ، وكانت لذى الرحل ٣٢ ريالا منها ١٢ ريالا للشرىف - جنيهان انكليزيان - وريال ونصف للخروج وريالان للطوف وريال للمتعهد (المقوم) وريال للحكومة وربع ريال للرهينة (كل قبيلة تقدم واحدا عنها تحبسه الحكومة حتى يصل الركب بسلام الى الجهة التى يقصدها وتأخذ الحكومة ربع الريال فى نظير ذلك) فيكون الباقي للجمال من ذلك ١٥ ريالا أو ١٤ وأدهى من ذلك وأمر أنه يؤخذ من الجاويين أربعة جنيهات من كل حاج لافى مقابلة عمل ولكنهم لغناهم وتساهلهم يطمع فى نقودهم ، وللمتعهدين طريقة فى التخلص من الضرائب التى تدفع عن كل جمل مؤجروذلك أنهم يتفقون مع كل حاج على عدد معين ولكن عند الخروج من مكة يحملون بعض العدد فقط أحمالا فوق الطاقة والباقي يخرج غير حامل شيئا فلا تؤخذ عايه الضريبة اذ يزعم المتعهد أنه غير مؤجرو بعد الخروج من مكة توزع الأمتعة على العدد المتفق عليه وكثيرا ما يتفقون مع الحاج على عدد معين يقدمونه فى أول الأمر له ويتفقون على أجرته حتى اذا ما رحلوا أخذوا منه بعض ما اتفقوا عايه وأجروه لآخرين فيؤجرون الجمل مرتين ويتقاضون الآخرين - وانه و ربك لظلم بين وطمع مرد - ثم هل سمعت بمثل هذه الضرائب القاسية التى يأبأها الاسلام وينكرها أشد الإنكار ، إن غاية ما قرره الاسلام فى نظام الضرائب ٢٠ ٪ لافى مال يكدي الإنسان فى تحصيله ويعرق فيه جبينه ، ولكن فى أموال تقع فى يد المرء بلاكد ولا تعب كالامعادن وكنوز الجاهلية ، ولكن لا تعجب من أعمال هؤلاء فالدين اعو على ألسنتهم لم يتمكن بعد من نفوسهم فتراهم (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَآلَهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) ولو علمت دولنا فرنسا والروسيا هذه المظالم التى يتكبدها الحاج لما منعوا رعاياهم المسلمين عن الحج اذ لو حضروا ورأوا هذه المظالم بأعينهم لرغبوا عن الحج ولم يحدنوا

به أنفسهم تارة أخرى بل لبثوا في نفوس إخوانهم كراهيته ، وإذ ذاك يمتنعون من تلقاء أنفسهم عن الحج دون أن يتكلف حكمهم مشقة المنع ونتائجها ولكن « البعيد أعمى » .

وكل ما قدما لك في أجرة الجمال إنما هو للحجاج الذين لا يتبعون المحمل أما ركبهم فلهم طريقة أخرى في تقدير الأجرة للجمال التي يحتاجون إليها .

أجرة الجمال التي تقل ركب المحمل — هذه الأجرة تقدر بمعرفة صاحب الدولة شريف مكة الذي لا يرد له قول ولا يخالف له أمر مهما كانت الأجرة المقدرة، فمعارضة أمير الحج وأمين الصرة لا تجدى شيئا بل لاتجد الأذن السامعة وعلى ذلك أخذت الأجرة تزداد شيئا فشيئا خصوصا في الخمس السنين الأخيرة حيث زادت زيادة فاحشة وهالك البيان .

في سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) كانت أجرة الجمال من مكة الى المدينة ١٨ ريالاً (برما) لذى الشقدف و ١٧ لذى الرحل، وكانت من مكة الى المدينة فينبع البحر ٢٣ ريالاً للأول و ٢٢ للثاني ومن مكة الى المدينة ثم الى جدة ٢٨ للأول و ٢٧ للثاني ومن مكة الى المدينة فالوجه ٣٥ ريالاً للأول و ٣٤ للثاني، ومن جدة الى مكة ٢ ٣ وهذا لكثرة الحجاج وغلو الأثمان كما هو مذكور في رحلة المرحوم صادق باشا، واستمرت الزيادة بعد ذلك الى أن كانت في سنة ١٣١٤ وما بعدها كما يأتي :

ملاحظات	السنة	الأجرة من مكة للدية فالوجه	الأجرة من مكة لعرفة ذهابا وإيابا	الأجرة من حدة الى مكة	مجموع أجرة الجمال الواحد
	١٣١٤	٦٧٠	٩٠	٩٠	٨٥٠
في هذه السنة لم يعين مع المحمل قسم عسكري	١٣١٥	١١٨٤,٥	٨٧,٧٥	٨٧,٧٥	١٣٦٠
» » » » »	١٣١٦	١٢٢٨,٥	١١٠	١٣١,٥	١٤٧٠
	١٣١٧	١٢٦٧,٥	١٩٥	١٩٥	١٦٥٧,٥
	١٣١٨	١٤٦٢,٥	٢٩٢,٥	٣٤١,٥	٢٠٩٦,٢٥

ومن هذه المقارنة 'تبين لك الزيادة المطردة من سنة ١٣١٥ التي لم يتعين فيها قسم عسكرى يصحب الحمل وكذا في السنة التالية لها والسبب في هذه الزيادة أن الحمل رافقه قوة عسكرية شاهانية في السنين التي خلت من القوة المصرية ولم تدفع حكومتنا نفقات القوة الشاهانية فزادت أجرة الجمال حتى تعوض تلك النفقات والسبب في الزيادة العظيمة هذا العام أن الحكومة لم تحاطب الشريف في شأن الزيادات في السنين السالفة فتعودها وزاد عليها تلك الزيادة الفاحشة التي آسكتها الناس — وحق لهم ذلك — وقد قلت لدولة الشريف : إن هذه الزيادة المطردة ستنبه الحكومة لوضع حد لها وربما أحدثت تغييرا في النظام المالى للحمل بسبب ذلك .

الجمالة — بمناسبة الكلام على أجرة الجمال والمكوس تقدم لك كلمتين الأولى في معاملة العربان الجمالة للركب الذى يصحبونه والأخرى في تاريخ المكوس حتى تربط لك الحاضر بالماضى لتستخلص منهما ما ينبغى في المستقبل ، هؤلاء العربان يحافظون على الحجاج وعلى أمتعتهم متى غمروهم بالخيرات من ما كولات ولحوم ومشروب الشاى ، وتزداد عنايتهم بالحجاج إذا وعدوا بكسوة يعطونها في المحطة الختامية وكسوتهم يسيرة الكلفة فهى ثوب قطنى من «البفتة» السمراء وعقال و «كوفية» لا تتجاوز قيمتها عشرة قروش مصرية أما من بخل عليهم بماله فيروونه العذاب ألوانا فتارة يقطعون حزام الجمل فيقع راكبه ويتأخر عن القافلة حتى يصلح الحزام وربما آتتهزوا فرصة الانفراد به وقتلوه إذا لم يبرز لهم الريالات ويتعهد بالغذاء وتارة يؤخرون الجمل عن القافلة بحجة أن الرحل في حاجة إلى إصلاح وما يريدون بذلك إلا فرصة للفتك به . والعربان مغرمون بشرب الدخان فلو أن الحاج أخذ معه قسطا منه وأعطاه لجماله راعاه أحسن مراعاة ومشى بجانبه يحافظ عليه ويهيئ له أسباب الراحة ، ومن عادة العربان أنهم إذا تناولوا الطعام مع الحاج لا يخونونه أبدا وإذا رأوا عربانا من قبيلة أخرى يريدون الفتك به أخبروهم أنه في كفنفهم فلا يصلون اليه بسوء وكأنما هو واحد منهم .

تاريخ المكوس — يطلق المكس على الجباية كما يطلق على ما يأخذه العشار ويقال له الماكس : وفي الحديث «لا يدخل صاحب مكس الجنة» والمكوس أخذها قديم، فقد كان مضاض بن عمرو الجرهمي يعشر من يدخل مكة من أعلاها، والسميدع يعشر من يدخل من أسفلها، وكانوا يعشرون أموال العمالة الذين كانوا ولاية مكة قبل جرهم فأتهموا حرمة الحرم فأخرجتهم جرهم وقطور، وكانوا يأخذون عشر الميرة التي يأتون بها (أنظر منائح الكرم للسجاري) وقد أبطل الإسلام المكوس بأنواعها وفرض الزكاة على الناس في أموالهم، وقد كانت المكوس تؤخذ من الحجاج الذين يمرون من طريق عيذاب (قرية على ساحل البحر الأحمر في ديارنا المصرية) ومن فتر منهم جببت منه في جدّة وكانت سبعة دنانير (٣٥٠ قرشا) تجبي لأمر مكة، وفي سنة ٥٧٢ أبطلها السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكان سبب ذلك أنه حج في هذه السنة الشيخ علوان الأسدي الحلبي فلما وصل جدّة طولب بذلك وأبى وهم بالرجوع وترك الحج فإلطفه من هنالك وبعثوا إلى والي مكة الشريف مكثّر بن عيسى فأمر بإطلاقه وإعفائه، فلما وصل مكة اجتمع به واعتذر إليه بأن دخل مكة لا يفي بمصالح أهلها وإنما لذلك نضطر إلى أخذ المكوس. فكتب الشيخ علوان إلى صلاح الدين بذلك فأرسل إليه ٨٠٠٠ أردب من الحبوب وقيل ٢٠٠٠ أردب وألف دينار ورغب إليه في ترك تلك المظلمة فتركها ولكنها عادت، وأبطلها في سنة ٦٣٩ المنصور عمر بن رسول صاحب اليمن وكتب بذلك مربعة جيعات حيال الحجر الأسود وفي جدار زمزم إلى أن قلعتها آبن المسيب ثم ما لبثت أن عادت المكوس، وأبطلت في سنة ٧٦٠ في سلطنة الملك الناصر بأمر الشريف مكة سسند آبن رُمَيْثَة ولكن ما عتمت أن رجعت فرفعت في سنة ٧٦٦ بهمة الأمير كتبغا مدير السلطنة بمصر وعوض عنها صاحب مكة ٢٦٠ ألف درهم وألف أردب من القمح وقرر ذلك في ديوان السلطان شعبان صاحب مصر وكتب ذلك بالحفر في دعائم المسجد الحرام، وقد شاهدت ذلك في جهة باب الصفا وفي سنة ٨٢٦ أمر السلطان أحمد بن المؤيد صاحب مصر أن يعطى للشريف حسن ألف دينار (٥٠٠ جنيه

مصرى) تحمل اليه من مصر نظير تركه المكوس على الحضرات بمكة وأمر أن يكتب ذلك فى بعض أساطين الحرم المكى فكتب وهو باق الى الآن بقرب باب السلام .

وفى سنة ١٠٨٣ أمر الشيخ محمد المغربى القرمسى أن تدهن السوارى التى بها الكتابات المحفورة بإبطال المكوس فدهنت بالدهانات الملونة وظهرت الكتابة فيها واضحة وعوض صاحب مكة الحسن بن عجلان قسطا من بيت المال، وهكذا كان يبطلها أو يعمل على إبطالها الحكام العادلون ثم تعود على يد الظالمين مدفوعين بشهوة الطمع أو بداعى الحاجة حتى رأيناها بأعيننا فى زمننا .

ضياقات بمكة — قد استضافنا نجل الشيخ الفاسى — شيخ طريقة مشهور — فى الزاوية المعروفة باسمه وكانت الدعوة عامة لجميع موظفى المحمل من ملكيين وعسكريين وأقام لنا وليمة فاهرة أعجبتنا بنظامها وإتقان طعامها ونظافة أوعيته وشربنا الشاى بعدها ثلاث كوبات كما هو المتبع عندهم، وقد احتفى بنا الشيخ وقومه حفاوة عظيمة ملثوا بها قلوبنا سرورا . ودعانا بعد ذلك لتناول الطعام الشيخ باخطمه — حضرمى — التاجر المقرب من الأمير والذى يقوم بقضاء مصالح دولة الشريف والوالى وحكام مكة ويستحضر ما يلزم للعساكر الشاذانية ويشترى من الضباط مرتباتهم بنصف قيمتها اذ يسأمون من تأخر صرفها فيبيعون غائبا بحاضر، والشيخ باخطمه يصرفها من الخزينة كاملة نظير نقود يدفعها لذوى الشأن فى الصرف فيسرعون بصرف المرتبات اليه .

وقد أكثر من إكرامنا وضيافتنا «مقوم» المحمل ولكن لم يقصد بضيافته وجه الله ولا وجوهنا ولكن وجه الجنيه اذ كان غرضه الوحيد من ذلك الحصول على شهادة مما بزيادة عدد الجبال عن المقرّر لركب المحمل، وهذه الشهادة يقدمها للسلالة المصرية أو الحربية — ان كانت من القسم العسكرى — ليصرف قيمة ما فيها، وقد طلب منى فعلا هذه الشهادة فأبيت عليه وقلت له : إن كان لدينا زيادة عن العدد المقرّر فأنا مستعد لدفع أجرته من مالى الخاص على شريطة أن تكون الأجرة مماثلة

لأجرة جمال الأهالى فما كان جوابه إلا أن قال « نحن لا نريد خسارتك وإنما الذى ينفعنا ينفعك » فنصحته بأن يلتزم خطة الحق وبأن ما أتى من الحرام يذهب من حيث أتى وعرفته بأننا جئنا لتتم شعائر الدين ونطلب الغفران من رب رحيم لا أن نتحمل مآثم وأوزارا ونخون الأمة فى مالها الذى أعدته لمصالحها فما كان منه إلا أن سكت مرغما لما أن رأى قناتنا لا تلين .

إعانة السكة الحديدية الحجازية

أمر دولة شريف مكة بجمع إعانة للسكة الحديدية وقدر على كل حاج غير معسر ريالاً، وأخذ المطوفون يجمعونها ويوردونها للشريف كل يوم، وكان بعض الحجاج يمنع عن الدفع وبعضهم دفع عن نفسه وعن يرافقه فى القافلة ودفع أحمد بك الجبل من أعيان المنصورة مائة جنيه، ودفع أحمد بك الضى عشرة جنيهات، ودفع سلطان المسكة والشحر (نجران على خليج عدن) عوض بن عمر القعيطى ٢٠٠٠٠ روبية أى ١٣٣٣ جنيه انجليزى وكثير غيرهم من الأغنياء، لكن لم تقف على مقدار ما دفعوا. وقد أمر دولة الشريف بعدم خروج أحد من الحجاج من مكة حتى تجبى الضريبة كلها، وعلى ذلك حبس الحجاج بمكة بعد تأدية الفريضة سبعة أيام كانوا فيها على أحرّ من الجمر، شوقهم لزيارة الرسول يهيب بهم أن اسرعوا والشريف يقول : مكانكم حتى تدفعوا. وقد ناغى أن بعضا من حجاج المغرب شكوا لدولة الوالى حبسهم بمكة فأرسل بهم مع مندوب من قبله الى دولة الشريف ليمسح لهم بالخروج، فلما وصلوا اليه نزل عليهم ضربا بالعصى واذك انقض عليهم زبائنه أيضا (الباوردية) فتشتوا مذعورين ورجعوا بخفى حنين، شكوى عادلة جوابها إهانة قاسية فى بلد جعله الله حرماً آمناً ﴿سَوَاءٌ أَلْعَاكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ . وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمْ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ ولئن دام هذا الظلم لينصرف الناس عن الحج وتلك الطامة الكبرى ببلاد العرب وأهلها الذين يجدون فى الحجاج العيش الكفاف بل الرزق الواسع بل ذلك جناية على الإسلام ومعتقيه فان هذا البلد واسطة

التعارف بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فاذا انقطعت بينهم الأسباب وانفصمت عروة التواد كانوا كالغنم القاصية تلتهمها الدول المستعمرة فاستغيث فلا مغيث فليقلع الظالم عن ظلمه حتى لا يعمنا الله بعذاب من عنده ويغفر لنا ما أسلفنا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْسِنٍ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

مضارّ حبس الحجاج بمكة — لم يسمح دولة الشريف بخروج الحجاج من مكة إلا بعد أن دفعوا جميعا ريال الإعانة للسكة الحديدية ، فلما أن صدر الإذن بالخروج أخذ جميع الحجاج في الرحيل وهم ألوف مؤلفة يسلكون طريقا ضيقا ولما بلغوا مكانا مخصوصا بالطريق أوقفوا حتى يدفعوا ريال الحكومة — عوائد — عن كل جمل خال أو محمل فأخذوا يدفعون ولكن بلغ الزحام أشده لأن المحصل شخص واحد قام بجانبه اثنان من الزبانية لا يسمحان لأحد بالمرور حتى يدفع الريال واستعملا كل غلظة وقساوة لا تصدر من الوحوش فضلا عن الأناس بل فضلا عن مسلم يدين بالإسلام ، وقد أصبحت الطريق التي كانت معدة لسير رحامين بشقادفهما متحاذيين فيها أربعة صفوف فدخلت الشقادف بعضها في بعض وكاد الناس يكونون طبقات بعضهم فوق بعض وهناك تحطم كثير من الشقادف وسقط بعض الركاب من عليها فتهشمت منهم العظام وبلغت فيهم الجراح وفقدوا من الأمتعة وتلف كثير منها ، وكنت لا تسمع إذ ذاك إلا واولولة النساء وعويل الصبيان واستغاثة الضعفاء ومنازعات الرجال ولا شرطة هناك تحول دون ذلك ، وكل هذا مغبة حبس الشريف للحجاج وسوء نظام الجباية ، وماذا على الحكومة لو عينت عددا من المحصلين وعينت لكل قافلة يوما تخرج فيه ، ومعرفة القوافل من الأمور الهينة لأن المطوفين والمتعهدين يعرفونها وأولئك معروفون لدى الحكومة وبذلك يسهل التحصيل وتسير القافلة بهدوء وسكينة ويأمن الناس على نفوسهم وأمتعتهم .

مرتبات الأشراف والعربان والأهالى وطريقة صرفها

جرت العادة من قديم أن تصرف الحكومة المصرية مرتبات للأشراف والعربان والأهالى بمكة والمدينة، وكان المقرّر فى ميزانية المحمل هذا العام للأشراف ١٢٦٥ جنيها مصريا وللعربان ٢٥١١ جنيها ولأهالى ٢٨٧٩ جنيها وكان يصرف لكل شخص مرتبه المقرّر بمقتضى إذن يمضيه أمين الصرة وأمير الحج وكذلك الكاتب الأول للصرة دلالة على أن الصرف قانونى. والكاتب الأول هو الذى يقوم بإعداد إذن الصرف ليكون مطابقا لما دقّن بالسجل الذى به أسماء أصحاب المرتبات (الذين لا وجود لأكثرهم الآن) وساعة البساء فى الصرف حضر أمام الكاتب عدد عظيم من العربان وكلفوه بتلاوة الأسماء فسألهم هل أنتم أصحاب المرتبات؟ فقالوا: لا ولكننا نكون فى تسلمها سنويا فقال لهم: أحضروا التوكيلات التى تؤيد دعواكم، فقالوا ومن تكون التوكيلات؟ فقال لهم: من أصحاب المرتبات الذين وكلوكم أو وارثيهم، فقالوا: إن أصحابها توفوا من زمن مديد ولا أثر لمعظم وارثيهم وكل سنة ناسلم المرتبات بدون معارضة ونحن متفقون فيما بيننا على صرفها إلينا فأضطرّ الكاتب لإجابة طلبهم وأخذ يتسلو الأسماء عليهم، فأخذ كل منهم يخطف من الأذن ما أستطاع حتى كان الواحد يتحصل على الخمسين والستين ثم يتسلم قيمتها.

والأشراف المقيدة بأسمائهم المرتبات منهم الحى ومنهم المتوفى وتصرف مرتباتهم إلى من يعينه شريف مكة وكلا عنهم بعد أن يستعلم منه أمير الحج.

وللشيخ حذيفة كبير قبيلة الأحامدة مرتب سنوى ينيف على ٦٠٠ ريال. تصرف إليه نظير محافظته على ركب المحمل أثناء مروره بالطريق السلطانى الذى يقيم به الشيخ حذيفة، وهذا المرتب يصرف إليه سنويا مرت المحمل به أو لم يمر، وفى هذا العام قدم من قبله وكيل عنه يدعى محمد بن عامر ومعه وثيقة التوكيل موهورة بختم الشيخ حذيفة وصريحة فى أنه وكيل عنه فى قبض مرتبه ولكن أبى الشريف إلا أن يصرف المرتب إلى أكبر أولاد الشيخ حذيفة المسمى خليلا مع أن بين الشيخ وأبنة عداً شديداً

ومخاضات كبيرة وحروباً طاحنة أهرقت فيها الدماء آنتصر فيها الولد على أبيه بقوة أعوانه وأنصاره وسبب ذلك تحريض الأبن للعربان على شق عصا الطاعة لأبيه . فكان ينبغي من أجل هذا التفار المستحكم أن يصرف المرتب للوكيل الشرعى للأبن العاق ولكن من يستطيع أن يخالف أمر الشريف الذى نفذ ما أراد وصرف المرتب للولد الباغى .

وقد صرفت بمكة مكافأة لواحد من الأشراف آسمه الشيخ مساعد يقوم في جمع من عسكر «البيشة» بحراسة المحامين المصرى والشامى بعد وصولهم الى المدينة و يبلغ عددهم نحو الخمسين يقاسمونه المكافأة وليس لهؤلاء العسكر نظام ولا يطيعون من الأوامر إلا ما آتفق مع رغبتهم مع أن عملهم مساعدة الحمل عند الحاجة ، ويشكون كثيرا من أنهم لا يحسدون ما يأكلون وما يعلفون به الدواب مع أن العلف صرف اليهم — وما كنا ملزمين بذلك — وقد أخذوا مكافآت ينفقون منها ولكن أنفقوا ما صرف اليهم في بيوتهم وآتكلوا على الأمير والأمين يمدونهم بما يأكلون ، ويعين مع الشيخ مساعد رئيس «البيشة» فارس عثمانى برتبة ملازم يرافق الحمل ولكن البيشة لا يسمعون منه قولاً ولا ينفذون له أمراً بل يأترون بأمر واحد من بنى جلدتهم ومع أن هؤلاء العسكر يقظون في الحراسة وبصرهم حاذٍ ينبغي أن يضم اليهم قسم من العساكر يشركونهم في الحراسة كما ينبغي تحذيرهم من السلب والنهب لأنهم ولعون بذلك خصوصاً عند مجئ العربان لبيع ما عندهم للحجاج ، فإنه بلغنى أنهم أخذوا في سنة خلت من بعض العربان قدرا من السمن ولم يدفعوا ثمنه وضربوا أصحابه وتسبب عن ذلك تجمع العربان وتراهم مع رجال الحمل النيران حتى قتل بعض الحجاج وجرح بعض آخر «ومعظم النار من مستصغر الشرر» أما في هذا العام فلم يحصل ما يكدر فالحمد لله على ما من .



والى هنا فرغنا من ذكر الأعمال التى قننا بها في مكة وأصبحنا على أهبة السفر الى الحرم الثانى وبقي علينا أن نصف لك مكة وما آستمت عليه من المباني الفخمة

والآثار الجمة وكذلك منى وعرفة والمزدلفة والطائف ونلم بتاريخها إلما حتى تكون على بينة من أمرها وخيرا بما قام به سلفنا الصالح في الحرم الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ونقدم لك بين يدى ذلك القسم الدينى من رحلتنا فى الحج ومناسكه ووصف لبلاد العرب وموجز فى تاريخها وفى سير الفتوحات الإسلامية وانتشار الدين فى ربوع المعمورة .

القسم الدينى

قد رأينا أن نسوق اليك أيها القارئ حجهته صلى الله عليه وسلم ثم نردفها بالأحكام الفقهية فى شرائع الحج حسب ما سطر فى كتب المذاهب المختلفة ، وإلما قدمنا حجهته صلى الله عليه وسلم لأنها السراج الوهاج الذى آقتبس منه الفقهاء ولأنها الحكم عند اختلاف الآراء ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وقد أعتمدنا فى ذلك على ما كتبه الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ فى كتابه « زاد المعاد فى هدى خير العباد » فإنه خير ما كتب فى هذا الموضوع على ما علمنا .

حجة الوداع — لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة وهى حجة الوداع ولا خلاف أنها كانت سنة عشر . وأختلف هل حج قبل الهجرة ، فروى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة ، قال الترمذى : هذا حديث غريب — تفرد به راو واحد — من حديث سفيان قال : وسألت محمدا يعنى البخارى عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى ، وفى رواية لا يعد هذا الحديث محفوظا . ولما نزل فرض الحج بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج من غير تأخير فان فرض الحج تأخر الى سنة تسع أو عشر وأما قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإنها وإن نزلت سنة ست عام الحديدية فليس فيها فريضة الحج وإلما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة بعد الشروع فيهما وذلك لا يقتضى وجوب الابتداء .

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أعلم الناس أنه حاج فتجهزوا لخروج معه وسمع بذلك من حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون فكانوا من بين يده ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر، وخرج من المدينة نهارا بعد الظهر لست بقين من ذى القعدة بعد أن صلى الظهر بها أربعاً وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه، قال ابن حزم: وكان خروجه يوم الخميس، قال ابن القيم: والظاهر أنه كان يوم السبت (انظر أدلة كل منهما بزيادة المعاد) وبعد أن صلى وخطب ترجل (مشط رأسه) وأدهن ولبس إزاره^(١) ورداءه وخرج بين الظهر والعصر فقتل بذي الحليفة^(٢) (الخرية ٥٧) فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر فصلى بها خمس صلوات وكان نساؤه كلهن معه وطاف عليهن تلك الليلة، فلما أراد الإحرام أغتسل غسلا ثانيا لإحرامه غير غسل الجماع الأول ثم طيبته عائشة بيدها بذرية^(٣) وطيب فيه مسك في بدنه ورأسه حتى كان وبيص المسك يرى في مفارقة^(٤) ولحيته ثم استدامه ولم يغسله ثم لبس إزاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين^(٥) ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه ولم يتقل عنه أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر وقلد قبل الإحرام بدنه نعلين وأشعرها في جانبها الأيمن فشق صفحة سنامها وسلت الدم عنها^(٦) — وقد ساق ابن القيم بضعة وعشرين دليلا كلها صحيحة صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم حج فارنا، وذكر أنه أخطأ في عمرة النبي صلى الله عليه وسلم خمس طوائف وهم في حجه خمس طوائف وغلط في إحرامه خمس طوائف وبين آراء كل طائفة وساق

(١) الإزار ما يلف على أسفل الجسم، والرداء ما يلف على أعلاه.

(٢) ذو الحليفة أو آثار على عرقي المدينة بينها وبين مسجدها نحو ٢٠ كيلو مترا ومنها مسجد يسمى مسجد

الشجرة وبئر يسميها الجهال بئر علي لضئهم أن عليا قاتل الجن بها وهو كذب (رسائل ابن تيمية ص ٣٥٦

جزء ثان). (٣) الدريرة نوع من الطيب يجمع من أخلاط شتى. (٤) بريقه ولعانه.

(٥) جمع مفرق وهو وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر. (٦) الإهلال رفع الصوت باللبية بهما.

(٧) تقاليد البدنة أن يعلق في عقها شيء يعلم أنها هدى. (٨) أى أماطه وأزاله.

أدلتها ثم كر عليها بالنقض، ودّأبته في هذا الموضوع أمتع ما كتب فراجعها في كتابه زاد المعاد من ص ١٨٣ الى ص ٢٠٢ من الجزء الأول طبع الحلبي بمصر — ولبد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بالغسل — بوزن كفّل — وهو ما يغسل به الرأس من خَطْمِي^(١) ونحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتشر، وأهل في مصلاه ثم ركب على ناقته وأهل أيضا ثم أهل لما استقلت به على البيداء^(٢). قال ابن عباس رضى الله عنهما: وإيم الله لقد أوجب في مصلاه وأهل حين استقلت^(٣) به ناقته وأهل حين علا على شرف البيداء^(٤) وكان يهل بالحج والعمرة تارة وبالحج تارة لأن العمرة جزء منه ؛ فمن ثمة قيل : قرن^(٥)، وقيل : تمتع، وقيل : أفرد ثم لبي فقال : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك . والملك لا شريك لك . ورفع صوته بهذه التلبية حتى سمعها أصحابه وأمرهم بأمر الله له أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية وكان حجه على رحل لا في محمل ولا هودج ولا عمارية^(٦) وزاملته تحتها^(٧) — وأختلف في جواز ركوب المحرم في المحمل والهودج والعمارية ونحوها على قولين هما روايتان عن أحمد رحمه الله أحدهما الجواز وهو مذهب الشافعي وأبى حنيفة رحمه الله والثاني المنع وهو مذهب مالك — ثم انه صلى الله عليه وسلم خيرهم عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة (الحج أو العمرة أوهما معا) ثم نذبههم عند دنوهم من مكة الى فسخ

- (١) كلها راجعت قاموسا على أجد فيه وصف هذا النبات لا أجد إلا قول ما يغسل به الرأس أو هو نبات محلل منضج ملين نافع لعسر البول الخ أو نبات معروف أو غسل معروف وهو كسر الخاء وقد تفتح .
- (٢) الصحراء . (٣) أوجب الشخص عمل عملا يستوجب له الجنة . (٤) حملته وقامت به .
- (٥) مرتفع . (٦) القران الإهلال بالحج والعمرة معا ، والتبع : الإهلال بالعمرة وحدها .
- (٧) بعد التحلل منها يحرم بالحج ، والأفراد : الإحرام بالحج وحده . (٧) أى إجابة لك بعد إجابة .
- (٨) الرجل لاليل كالسرج الفرس ، والمحمل كجلس : شقان على البير يحمل فيهما العدليان ، والهودج : مركب للنساء مقبب ، وأما العمارة فهي الهودج يجلس فيه (أقرب الموارد ، ج ٢ ص ٨٢٩) .
- (٩) الزاملة : البير الذى يحمل عليه الطعام والمناع من الزبل وهو الحل ، والزميل : العدلي الذى حمله مع حمله على البير .

الحج والقران الى العمرة لمن لم يكن معه هدى ثم حتم ذلك عند المروة . وولدت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضى الله عنهما بذى الحليفة محمد بن أبي بكر فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتستسفر وتستتر بشوب وتحرم وتهل ، وكان في قصتها ثلاث سنن إحداها غسل المحرم ، والثانية أن الحائض تغتسل لإحرامها ، والثالثة أن الإحرام يصح من الحائض . ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي بتليته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون وهو يقرهم ولا ينكر عليهم ولم تلبته . فلما كانوا بالروحاء^(١) رأى حمار وحش عقيراً^(٢) فقال : دعوه فإنه يوشك أن يأتى صاحبه ، فجاء صاحبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الرفاق ، وفى هذا دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال إذ لم يصد له لأجله ، وأما كون صاحبه لم يحرم فعله لم يمت بذى الحليفة فهو كأبى قتادة في قصته ، وتدل هذه القصة على أن الهبة لا تفتقر الى لفظ وهبت لك بل تصح بلفظ يدل عليها ، وتدل على قسمته اللحم مع عظامه بالتحرى ، وتدل على أن الصيد يملك بالإثبات وإزالة امتناعه وأنه لمن أثبتته لا لمن أخذه ، وعلى حل أكل لحم الحمار الوحشى وعلى التوكيل فى القسمة وعلى كون القاسم واحداً - ثم مضى حتى اذا كان بالإثنية بين الرويثة والعرج^(٣) إذا ظبي حاقف^(٤) فى ظل شجرة فيه سهم فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريه أحد من الناس حتى يجاوزوا ، والفرق بين قصة الظبي وقصة الحمار أن الذى صاد الحمار كان حلالاً فلم يمنع من أكله وهذا لم يعلم أنه حلال وهم محرمون فلم يأذن لهم فى أكله ، ووكل

(١) الروحاء موضع بين مكة والمدينة على ثلاثين أو ستة وثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة .

(٢) معقورا مصروبا . (٣) الإثنية موضع بين الحرمين فيه مسجد نبوى أو يردون العرج عليها

مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم (القاموس المحيط) وهى بالياء مائة الهزمة وقال فى معجم ياقوت : هى موضع فى طريق الحجة بينه وبين المدينة خمسة عشر فرسخا (٤٥ ميلا) والعرج : قرية جامعة من أعمال الفرع على أيام من المدينة (نهاية) قال ياقوت : بينها وبين المدينة عمانية وسبعون ميلا ، والرويثة بالتصغير : موضع على ليلة من المدينة ، وقال ابن السكيت : الرويثة معننى بين العرج والروحاء .

(٤) رابض فى حِقْف من الرمل وهو الموحج منه .

من يقف عنده لئلا يأخذه أحد حتى يجاوزوا، وفيه دليل على أن قتل المحرم للصيد يحمله بمنزلة الميتة في عدم الحل إذ لو كان حلالا لم تضع ماليته بل كان للحلال أن ينتفع به ، ثم سار حتى إذا نزل بالعرج^(١) وكانت زاملته وزاملة أبي بكر واحدة وكانت مع غلام لأبي بكر ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى جانبه وعائشة إلى جانبه الآخر وأسماء أختها إلى جانب أبيها ، وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة إذ طلع الغلام ليس معه البعير فقال أين بعيرك؟ فقال : أضلته البارحة ، فقال أبو بكر : بعير واحد تضله قال : فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع ، وما يزيد رسول الله على أن يقول ذلك ويتسم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشي فردده عليه فقال : إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم . فلما مرّ بوادي عسفان^(٢) قال يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال : وادي عسفان قال : لقد مرّ به هود وصالح على بكرين أحمرين خُطْمُهُم^(٤) اللَّيْفُ وَأَزْرَهُمُ الْعَبَاءُ^(٥) وأرديتهم^(٦) الثمار يلبون يحجون البيت العتيق — ذكره الامام أحمد في المسند . فلما كان بسرف^(٧) حاضت عائشة رضي الله عنها وقد كانت أهلت بعمرة ، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي قال ما يبكيك؟ لعلك نفسيت : قالت : نعم قال : هذا شيء قد كتبه الله على بنات آدم أفعل ما يفعل

(١) تنبأ الكلام عليه مع الاثنية . (٢) الأبواء قرية بينها وبين الجحفة مائلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا وراعي بينهما ، فالأبواء : جهة المدينة ، والجحفة : جهة مكة وقيل : جبل شامخ هنالك ، وفي هذا الموضع توفيت والدة الرسول صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، والأبواء قبل رابع بقابل من جهة المدينة . (٣) عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهي على مرحلتين من مكة أوسنة وثلاثين ميلا والجحفة على ثلاث مراحل ومن عسفان إلى ملل يقال له : الساحل ، وملل على ليله من المدينة . (٤) الخُطَام : كل ما يوضع في أنف البعير ليقناده بالجمع خُطْم .

(٥) العباء : صرب من الأكسية واحدة عباء وعباية .

(٦) الثمار جمع تَمْرَة وهي كل شملة محططة كأنها أخذت من لون الثمر لما فيها من السواد والياص .

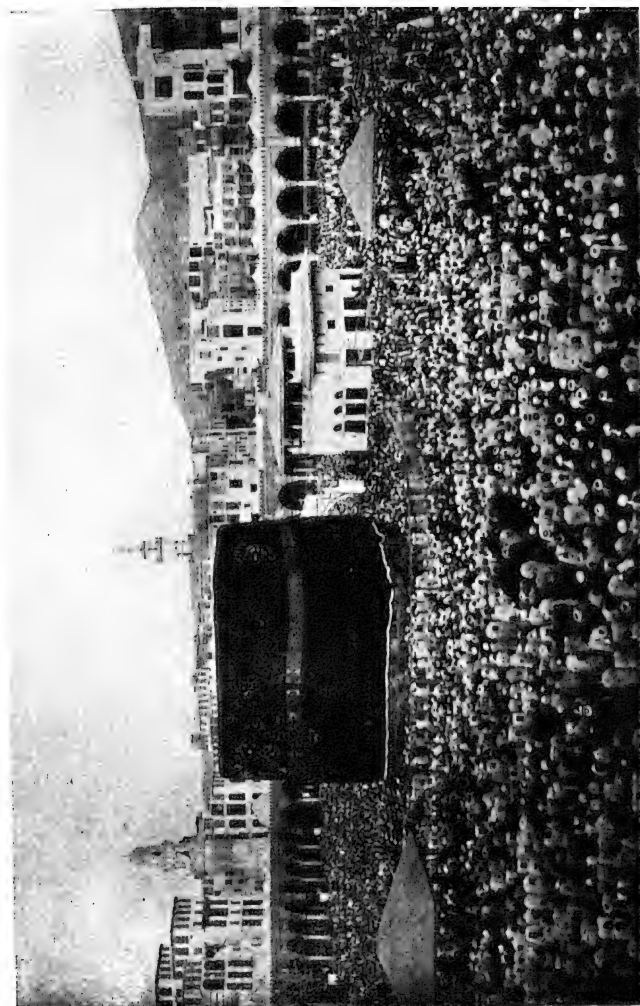
(٧) موضع على عشرة أميال من مكة وقيل : أقل وقيل : أكثر وفيه ترّوح النبي صلى الله عليه وسلم

الحاج غير أن لا تطوف بالبيت . وقد جاء في صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : أهلت عائشة بعمره حتى اذا كانت بسرف عركت (حاضت) ^(١) ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة فوجدها تبكى فقال ما شأنك ؟ قالت : شأنى أنى قد حضت وقد أحل الناس ولم أحل ولم أطف بالبيت والناس يذهبون الى الحج الآن ، فقال : إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم فأغتسلى ثم أهلى بالحج ففعلت ووقفت المواقف كلها حتى إذا طهرت طافت بالكعبة وبالصف والمروة ثم قال قد حلت من حجك وعمرتك قالت يا رسول الله ! إني أجد في نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت قال : فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التمتع . وقد تنازع العلماء في قصة عائشة هل كانت متمتعاً أو مفردة والصواب أنها كانت متمتعاً محرمة بالعمرة فقط وإذا كانت متمتعاً فهل رفضت عمرتها وانتقلت الى الإفراد بالحج أو أدخلت عليها الحج وصارت قارنة بإدخاله عليها والصواب الثانى ، وهل العمرة التى أتت بها من التمتع كانت واجبة أو لا ؟ والصحيح أنها كانت نافلة تطيبها لقلبها وجبراً لها وإلا فطوافها وسعيها وقع عن حجها وعمرتها وكانت متمتعاً ثم أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنة ، واختلفوا هل كان طهرها يوم عرفة أو يوم النحر . وحديث عائشة السابق يؤخذ منه أصول عظيمة من أصول المناسك : (١) اكتفاء القارن بطواف واحد وسعى واحد ؛ (٢) سقوط طواف القدوم عن الحائض ، كما أن حديث ^(٢) صفية أصل فى سقوط طواف الوداع عنها ؛ (٣) أن إدخال الحج على العمرة جائز كما يجوز للطاهر وأولى المعذورة لأنها محتاجة الى ذلك ؛ (٤) أن الحائض تفعل أفعال الحج كلها إلا أنها لا تطوف بالبيت ؛ (٥) أن التمتع من الحل ؛ (٦) جواز عمرتين فى سنة واحدة بل فى شهر واحد ؛ (٧) أن المشروع فى حق المتمتع إذا خاف القوات أن يدخل الحج على العمرة وحديث عائشة أصل فيه ؛ (٨) أنه أصل فى العمرة المكية وليس مع من يستحبها غيره ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر هو ولا أحد من حج معه من مكة خارجاً منها إلا عائشة وحدها ، فجعل أصحاب العمرة المكية قصة عائشة أصلاً

(١) وذلك الدخول بعد أن وصل صلى الله عليه وسلم الى مكة . (٢) أنظر ص ٩٤

تسوق الطبع والنشر محفوظ باسم اسعد الله ابراهيم فوفنا اميرج الكسح في الحجة ١٣٢٥

58. Pilgrims round El-Kaaba performing the Friday Prays.



صلاة الجمعة بالحرم المكي في الحجة ١٣٢٥...

لقولهم ولا دلالة لهم فيها فإن عمرتها إما أن تكون قضاء للعمرة المفروضة عند من يقول : إنها رفضتها فهي واجبة قضاء لها أو تكون زيادة محضة وتطيبها لقلبها عند من يقول : إنها كانت قارئة وإن طوافها وسعيها أجزأها عن حجها وعمرتها . ولنعد الى سياق حجه صلى الله عليه وسلم .

فلما كان بِسَرَفٍ قال لأصحابه : من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدى فلا ، وهذه رتبة أخرى فوق رتبة التأخير عند الميقات ، فلما كان بمكة أمر أمرا حتما من لا هدى معه أن يجعلها عمرة ويحل من إحرامه ومن معه هدى أن يقيم على إحرامه ولم ينسخ ذلك شيء البتة ، بل سألته سراقه بن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالفسخ إليها هل هي لعامهم ذلك أو للأبد ؟ قال : بل للأبد ، وإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر صحابيا وأحاديثهم كلها صحاح (انظر الأحاديث وأعدار المخالفين والرد عليها في زاد المعاد من ص ٢٠٩ إلى ٢٢٥ ج ١) . ثم نهض صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل بذي طوى ^(١) وهي المعروفة الآن بآبار الزاهر فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة فدخلها من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على المحجون ^(٢) ، وكان في العمرة يدخل من أسفلها ، وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها ثم سار حتى دخل المسجد وذلك صحنى ، وذكر الطبراني أنه دخله من باب بنى عبد مناف الذى يسميه الناس اليوم باب بنى شيبه ^(٣) أو باب السلام ثم استقبل البيت ودعا ، وذكر الطبراني : أنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وروى عنه أنه كان عند رؤيته يرفع يديه ويكبر ويقول : اللهم أنت السلام

(١) ذو طوى : موضع غربي مكة على مقربة منها . (٢) الثنية في الجبل : كل عقبة مسلوكة

أو هي الطريق العالي فيه . (٣) المحجون : جبل بأعلى مكة مشرف على مقبرتها وتسمى المقبرة : المحجون .

(٤) انظر صورته شرق الكعبة في (الرمس ٥٨) .

ومنك السلام حينار بنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا وهو مرسل^(١)، ولكن سمع هذا سعيد ابن المسيب من عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوله . فلما دخل المسجد عمدا الى البيت (انظر رسمه في الشكل ٥٨) ولم يركع تحية المسجد فان تحية المسجد الحرام الطواف . فلما حاذى الحجر الأسود^(٢) (تري في الرسم ٥٩ الحجاج وقد تراحوا على تقبيله) استلمه ولم يزاحم عليه ولم يتقدم عنه الى جهة الركن اليماني ولم يرفع يديه ولم يقل : نويت بطوافي هذا الأسبوع كذا وكذا ولا أفتحه بالكبير كما يكبر للصلاة كما يفعله من لا علم عنده بل هو من البدع المنكرات ولا حاذى الحجر الأسود بجميع بدنه ثم أفتل عنه وجعله على شقه بل أستقبله وأستلمه ثم أخذ عن يمينه وجعل البيت عن يساره ولم يعرف عنه عند الباب^(٤) ولا تحت الميزاب^(٥) ولا عند ظهر الكعبة وأركانها ولا وقت الطواف ذكر معين لا يفعله ولا بتعليمه بل حفظ عنه بين الركنين ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ . ورمل في طوافه هذا ثلاثة الأشواط الأول وكان يسرع مشيه ويقارب بين خطاه وأضطجع بردائه فجعله على أحد كتفيه وأبدى كتفه الآخر ومنكبه ، وكلما حاذى الحجر الأسود أشار اليه وأستلمه مَحْجَنَهُ وقبل المحجن ، والمحجن : عصا محنية الرأس ، وثبت عنه أنه أستلم الركن اليماني ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند أستلامه ولكن ثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود وثبت عنه أنه أستلمه بيده فوضع يده عليه ثم قبلها وثبت عنه أنه أستلمه بمحجن فهذه ثلاث صفات ، وروى عنه أيضا : أنه وضع شفتيه عليه طويلا بيكي . وذكر الطبراني عنه بإسناد جيد أنه كان إذا أستلم الركن اليماني قال : بسم الله .

(١) الحديث المرسل ما سقط من سنده — رواه — الصحابي .

(٢) في زاوية الكعبة الجنوبية الشرقية وسيأتي مزيد شرحه .

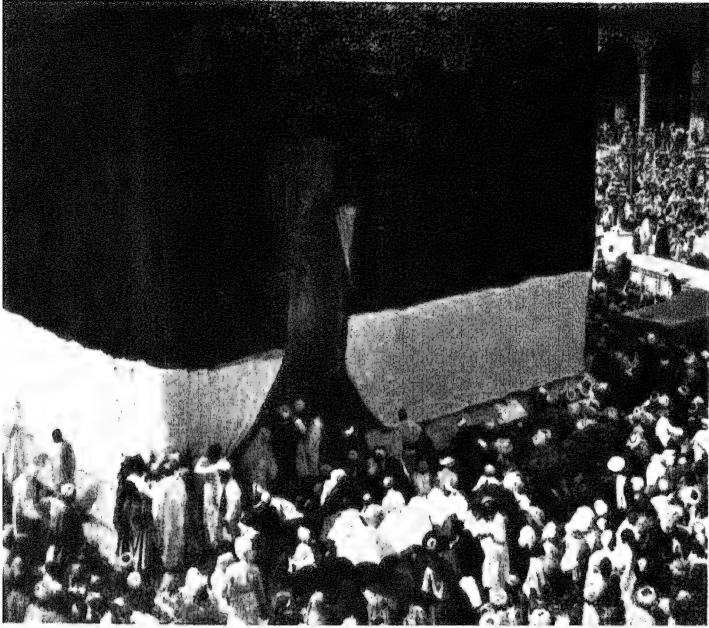
(٣) هو الركن الذي في الجهة الجنوبية الغربية .

(٤) الباب في الجهة الشرقية (انظره عليه السيرة في الرسم ٥٩) .

(٥) الميزاب : ما يسيل منه الماء الذي يجمع على سطح الكعبة وسيأتي شرحه .

(٦) الرمل : الاسراع في المشي مع تقارب الخطا .

الحجّاج حول الكعبه المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود



59. Pilgrims round the Kaaba kissing the Black Stone.



61. The Water-gauge and the Kaaba Mountain at Garwal, Mecca.

وكانوا يمشون حول الكعبه المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود

وكانوا يمشون حول الكعبه المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود

وكانوا يمشون حول الكعبه المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود

والله أكبر، وكان كلما أتى على الحجر الأسود قال: الله أكبر، وروى عن عمر أنه قبل الحجر وسجد عليه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك. وروى عن ابن عباس أنه قبل الركن اليماني ثم سجد عليه ثم قبله ثم سجد عليه ثلاث مرات. ولم يستلم صلى الله عليه وسلم ولم يمس من الأركان إلا اليمينين فقط . فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام^(١) فقرا: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فصلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتى الإخلاص، فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم خرج إلى الصفا^(٢) من الباب الذي يقابله، فلما قرب منه قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، وفي رواية أبدءوا على الأمر ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات، وقام ابن مسعود على الصّدد وهو الشق الذي في الصفا فقبل له: ها هنا يا أبا عبد الرحمن قال: هذا والذي لا إله غيره مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة — ذكره البيهقي — ثم نزل إلى المروة يمشى فلما آنصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا جاوز الوادي وأصعد مشى — هذا الذي صح عنه في ذلك اليوم — قبل المليون الأخضرين في أول السعي وآخره، والظاهر أن الوادي لم يتغير عن وضعه . هكذا قال جابر عنه في صحيح مسلم، وظاهر هذا أنه كان ماشيا، وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة ليراها الناس وليشرف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا^(٣)، قال ابن حزم:

(١) الحجر الذي قام عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة وسبأتي الكلام عليه .

(٢) الصفا: مكان عال في أصل جبل أبي قيس جنوبي المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى

باب الصفا وهو أشبه بالمصلى طوله ٦ أمتار وعرضه ثلاثة وسبأتي وصفه .

(٣) فلم يسعوا بعد طواف الأفاضة .

لا تعارض بينهما لأن الراكب إذا أنصب به بعيره فقد أنصب كله وأنصبت قدماه أيضا مع سائر جسده، قال ابن القيم: وعندى وجه آخر للجمع بينهما أحسن من هذا وهو أنه سعى ماشيا أولا ثم أتم سعيه راكبا، وقد جاء ذلك مصرحا به، ففي صحيح مسلم عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة قال: صدقوا وكذبوا قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون: هذا مجد حتى خرج عليه العواتق من البيوت قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشى أفضل. وأما طوافه بالبيت عند قدميه فاختلف فيه هل كان على قدميه أو كان راكبا؟ والصحيح أنه طافه على قدميه لأنه ثبت عنه الرَّمْلُ فيه وهو إنما يكون من الماشي، وأن الركوب كان في طواف الإفاضة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى المروة رقى عليهما واستقبل البيت وكبر الله وحده وفعل كما فعل على الصفا، فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لاهدى معه أن يحل حتما ولا بد قارنا كان أو مفردا، وأمرهم أن يحلوا الحل كله من وطء النساء والطيب ولبس الخيط وأن يبقوا كذلك إلى يوم التروية، ولم يحل هو من أجل هديه وهناك قال: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولعلتها عمرة، وهناك دعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثا وللقصرين مرة، وهناك سأله سُراقَةُ بن مالك بن جُعْشُم عقيب أمره لهم بالفسخ والإحلال هل ذلك لعامهم خاصة أو للأبد؟ فقال: بل للأبد ولم يحل أبو بكر ولا عمر ولا علي ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدى، وأما نسائه صلى الله عليه وسلم فأحلان وكن قارنات إلا عائشة فانها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بحيضها، وفاطمة حلت لأنه لم يكن معها هدى، وعلى رضى الله عنه لم يحل من أجل هديه، وأمر من أهل بإهلال كاهلاله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على إحرامه إن كان معه هدى وأن يحل إن لم يكن معه هدى، وكان يصلى مدة مقامه بمكة إلى يوم التروية بمنزله الذى هو

(١) المروة: مكان مرتفع في أصل جبل قبة عان في الشمال الشرقى للمسجد الحرام على بعد منه وتحيط به الآن ثلاثة جدر في الشمال والشرق والغرب. (٢) ثامن ذى الحجة وكانوا يعدون فيه المساء للسفر إلى عرفة.

نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة ، فأقام بظاهر مكة أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الأحد والآخرين والثلاثاء والأربعاء ، فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين الى منى فأحرم بالحج من كان أحل منهم من رجالهم ولم يدخلوا الى المسجد فأحرموا منه بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم ، فلما وصل الى منى نزل بها وصلى بها الظهر والعصر وبات بها وكان ليلة الجمعة فلما طلعت الشمس سار منها الى عرفة وأخذ على طريق ضب^(١) على يمين طريق الناس اليوم وكان من أصحابه الملبى ومنهم المكبر وهو يسمع ذلك ولا ينكر على هؤلاء ولا على هؤلاء ، فوجد القبة قد ضربت له بحجرة بأمره وهي قرية شرقي عرفات وهي خراب اليوم فتزل بها حتى إذا زالت الشمس أمر بنائقة القصوى فرحلت^(٢) ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عرنة^(٣) فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قتر فيها قواعد الإسلام وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقتر فيها تحريم المحرمات التي آتفتت الملل على تحريمها وهي الدماء والأموال والأعراض ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله وأوصاهم بالنساء خيرا وذكر الحق الذى لهن وعليهن وإن الواجب لهن الرزق والكسوة بالمعروف ولم يقدر ذلك بتقدير وأباح للأزواج ضربهن إذا أدخلن الى بيوتهن من يكرهه أزواجهن ، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله وأخبر أنهم لن يضلوا ماداموا معتصمين به ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه وأستنطقهم بماذا يقولون وبماذا يشهدون فقالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فرفع

(١) منى : هو موضع في شرق مكة على مسيرة ساعتين وخمس وأربعين دقيقة منها وفيها الجراب وسياق وصفتها ورسمها في حريّة مشاعر الحج .

(٢) ضب : أسم الجبل الذى في أصله مسجد الخيف وطريق ضب يتدفق من أول المازيين على يمين الميعم عرفة وهو أخضر من طريق المازيين . (٣) لم تزل الوارث التي بأيدينا أنها قرية .

(٤) لقب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والقصواء في الأصل الناقة التي قطع طرف أذنائها لكن لم تكن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .

(٥) وضع عليها الرجل — تقدّم تفسيره .

(٦) عربة : واديين المزدلفة وعرفة وطوله نحو ١٥٠٠ متر .

أصبغه الى السماء وأستشهد الله عليهم ثلاث مرات وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم ، وسيأتى نص الخطبة في الكلام على حج الجاهلية ، فلما أتمها أمر بلالا فأذن ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسرّ فيهما بالقراءة وكان يوم الجمعة فدل على أن المسافر لا يصلى جمعة ، ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضا ومعه أهل مكة وصلوا بصلاته قصرا وجما بلا ريب ، ولم يأمرهم بالإتمام ولا بترك الجمع ومن قال : إنه قال لهم : أتموا صلاتكم فإنما قوم سفر فقد غلط فيه غلطا بينا ووجههما قبيحا وإنما قال لهم ذلك في غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا في ديارهم مقيمين ولهذا كان أصح أقوال العلماء : أن أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يتحدد بمسافة معلومة ولا بأيام معلومة ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة البتة ، وإنما التأثير لما جعله الله سببا وهو السفر هذا مقتضى السنة ولا وجه لما ذهب اليه المحددون . فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف في ذيل الجبل عند الصخرات^(١) واستقبل القبلة وجعل جبل المشاة بين يديه وكان على بعيره فأخذ في الدعاء والتصرّع والانهال الى غروب الشمس ، وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال : وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف وأرسل الى الناس أن يكونوا على مشاعرهم^(٢) ويقفوا بها فإنها من إرث أبيهم إبراهيم . وكذلك هناك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال : الحج يوم عرفة من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج .

أيام منى ثلاثة أيام التشرىق ﴿مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ وكان في دعائه رافعا يده الى صدره كاستطعام المسكين وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة وذكر من دعائه صلى الله عليه وسلم في الموقف : اللهم : لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول اللهم : لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك ما بى

(١) الطار : رسم جبل عرفات .

(٢) جمع مشعر وهو موضع الشعيرة وهى كل ما جعل علها لطاعة الله تعالى .

ولك ربّي ترائي اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر
 اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح -- ذكره الترمذی -- ومما ذكر من
 دعائه هناك : اللهم إني أسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرّي وعلايتي ولا يخفى
 عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير والوجل المشفق المقر
 المعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وأبتلّ اليك آبتال المذنب الذليل وأدعوك
 دعاء الخائف الصرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذللّ جسده
 ورغم أنفه لك ، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رءوفاً رحيماً يا خير
 المسؤولين ويا خير المعطين -- ذكره الطبراني -- وذكر الامام أحمد من حديث
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
 يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على
 كل شيء قدير ، وذكر البيهقي من حديث علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
 قال أكثر دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي بعرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له
 له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي صدري نوراً
 وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأعوذ بك
 من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج
 في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما نهب به الرياح وشر بوائق الدهر -- وأسأنيذ
 هذه الأدعية فيها لين -- وهناك أنزلت عليه : **الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ**
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته
 وهو محرم فمات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفن في ثوبيه ولا يمس
 بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ولا وجهه وأخبر أن الله تعالى يبعثه يوم
 القيامة يلي . فلما غربت الشمس واستحكم غروبها بحيث ذهب الصفرة أفاض
 من عرفة وأردف أسامة بن زيد حلقه وأفاض بالسكينة وضم إليه زمام ناقته حتى أن

(١) السك : العبادة . والمآب : المرجع . والتراث : المال الموروث .

(٢) مهلكاته .

رأسه ليصيب طرف رحله وهو يقول: أيها الناس عليكم السكينة فان البرليس بالإيضاع أى ليس بالإسراع، وأفاض من طريق المأزمين ودخل عرفة من طريق ضب^(١) وهكذا كانت عادته صلوات الله وسلامه عليه في الأعياد أن يخالف الطريق ثم جعل يسير العنق وهو ضرب من السير ليس بالسريع ولا البطيء فاذا وجد بخوة وهو المتسع نص سيره أى رفعه فوق ذلك وكلما أتى ربوة من تلك الربا أرخى للناقة زمامها قليلا حتى تصعد وكان يلبي في مسيره ذلك لا يقطع التلية، فلما كان في أثناء الطريق نزل صلوات الله وسلامه عليه فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له أسامة: الصلاة يارسول الله فقال: المصلى أمامك، ثم سار حتى أتى المزدلفة فتوضأ وضوء الصلاة ثم أمر المؤذن بالأذان فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال، فلما حطوا رحلهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة بلا أذان ولم يصل بينهما شيئا، وقد روى أنه صلاهما بأذنين وإقامتين، وروى بإقامتين بلا أذان، والصحيح أنه صلاهما بأذان وإقامتين، كما فعل بعرفة ثم نام حتى أصبح ولم ينح تلك الليلة ولا صبح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء، وأذن في تلك الليلة لضعفة أهله أن يتقدموا الى منى قبل طلوع الفجر وكان ذلك عند غيوبة القمر وأمرهم أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت لا قبله قطعا بأذان وإقامة يوم النحر وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر وهو يوم الأذان براءة من الله ورسوله من كل مشرك، ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام^(٤) فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والتضرع والتكبير والتلهيل والذكر حتى أسفر جدا وذلك قبل طلوع الشمس وهنالك سأله عروة بن مضر الطائي فقال يا رسول الله:

(١) هو الطريق الذى يسلكه الناس اليوم وهو أطول من طريق ضب الذى فى جنوبه على يمين السالك نحو عرفة . (٢) مكانا عاليا .

(٣) المزدلفة: هو الوادى الواسع الذى بين المأزمين من جهة عرفة وبين وادى محسر الضيق من جهة مكة ويمتد على طول ٣٨١٢ متر .

(٤) المشعر الحرام فى المزدلفة على بعد ٢٥٤٨ متر من أطولها من جهة المحسر عند الجبل المعروف بقنح .

إني جئت من جبل طي^(١) أكلت راحتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفته — قال الترمذي : حديث حسن صحيح^(٢) . وبهذا آحتج من ذهب الى أن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة . وقد وقف صلى الله عليه وسلم في موقفه وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف ، ثم سار من مزدلفة مردفا للفضل بن عباس وهو يلي في مسيره وأطلق أسامة بن زيد على رجله في سباق قريش ، وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده ولا التقطها بالليل ، فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف^(٣) فجعل ينفذهن في كفه ويقول : أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين . وفي طريقه تلك عرضت له امرأة من خثعم جميلة فسأته عن الحج عن أبيها وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فأمرها أن تحج عنه وجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فوضع يده على وجهه وصرفه الى الشق الآخر — وكان الفضل وسما — فقيل : صرف وجهه عن نظرها اليه وقيل : صرفه عن نظره إليها ، والصواب أنه فعله للأمرين فإنه في القصة جعل ينظر إليها وتنظر إليه وسأله آخر هنالك عن أمه فقال : إنها عجوز كبيرة وإن حملتها لم تستمسك وإن ربطتها خشيت أن أقتلها فقال : أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه ؟ قال : نعم قال : فحج عن أمك . فلما أتى بطن محسر حرك ناقته وأسرع السير وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه ، فإن هنالك أصاب أصحاب

(١) أتعبتها . (٢) الحديث الذي رواه عدل تام الضبط بسند متصل غير معول ولا شاذ يقال له :

الصحيح وإن لم يكن الضبط تاما يقال له : الحسن ومعنى كون الحديث حسنا صحيحا أن أحد سنده تطبيق عليه أوصاف الصحة والآخر تطبيق عليه أوصاف الحسن فإن كان له سند واحد فوصفه بالأمرين للاختلاف في حال رجاله أهم رجال الصحيح أم رجال الحسن ؟

(٣) تساقطهم . (٤) الخذف بالحصى رميه بالأصابع .

(٥) الوادى الضيق بين منى ومزدلفة يقال له محسر .

الفيل ما قص الله علينا؛ ولذلك سمي ذلك الوادى وادى محسر لأن الفيل حَسِر فيه أى أعْيى وأَنْقَطَعَ عن الذهاب وكذلك فعل في سلوكه الحجر وديار ثمود فإنه تقنع بثوبه وأسرع السير. و«محسر» برزخ بين منى وبين مزدلفة لا من هذه ولا من هذه و«عُرنة» برزخ بين عرفة والمشعر الحرام فين كل مشعرين برزخ ليس منهما، ففى من الحرم وهى مشعر، ومَحْسَر من الحرم وليس بمشعر، ومزدلفة: حرم ومشعر، وعُرنة ليست مشعرا ولا حرما، وعرفة: حل ومشعر. وسلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى بين الطريقين وهى التى تخرج على الجمره الكبرى حتى أتى منى فأتى جمره^(١) العقبة فوقف فى أسفل الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمره وهو على راحلته فرماها راجعا بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة، وحينئذ قطع التلبية، وكان فى مسيره ذلك يلي حتى شرع فى الرمي، ورمى وابلل وأسامة معه أحدهما أخذ بخطام ناقسه والآخر يظله بثوب من الحر، وفى هذا دليل على جواز استظل المحرم بالحمل ونحوه إن كانت قصة هذا الإطلال فى يوم النحر ثابتة وإن كانت بعده فى أيام منى فلا حجة فيها وليس فى الحديث بيان أى زمن كانت والله أعلم. ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بجمره يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله وحرمة مكة على جميع البلاد وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال: لعل لا أجد بعد عامى هذا وعلمهم مناسكهم وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وأمر بالتبليغ عنه، وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع وقال فى خطبته: لا يحنى جان إلا على نفسه وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة والأنصار عن يسارها والناس حولهم وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعها أهل منى فى منازلهم وقال فى خطبته تلك: اعبدوا ربكم وصلوا نحسكم وصوموا شهركم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم، وودع حينئذ الناس

(١) جمره العقبة أقرب الجمار إلى مكة وهى الآن حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فى عرض

فقالوا : حجة الوداع ، وهناك سئل عمن حلق قبل أن يرمى . فقال : لا حرج قال عبد الله بن عمر : ما رأيته سئل صلى الله عليه وسلم يومئذ عن شيء إلا قال : افعلوا ولا حرج ، قال ابن عباس إنه قيل له صلى الله عليه وسلم في الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير قال : لا حرج ، وقال أسامة بن شريك : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حاجا وكان الناس يأتونه فمن قائل يا رسول الله ! سعيت قبل أن أطوف أو أخرت شيئا وقد تمت فكان يقول : لا حرج لا حرج إلا على رجل اعترض عِرض رجل مسلم وهو ظالم فذلك الذى حرج وهلك وقوله : سعيت قبل أن أطوف فى هذا الحديث ليس بمحفوظ ، والمحفوظ : تقديم الرمي والنحر والحلق بعضها على بعض ثم انصرف إلى المنحصر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى ، وكان عدد هذا الذى نحره عدد سنى عمره ثم أمسك ، وأمر عليا أن ينحر ما بقى من المائة ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يتصدق بجلالها^(١) ولحومها وجلودها فى المساكين وأمره أن لا يعطى الخزار فى جزارته شيئا منها وقال : نحن نعطيه من عندنا وقال : من شاء اقتطع . وقد نحر صلى الله عليه وسلم بمنحصر بمنى وأعلمهم أن منى كلها منحصر وأن بجحاج مكة طريق ومنحصر ، وفى هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من بجحاج مكة أجزاء كما أنه لما وقف بعرفة قال وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف ، ولما وقف بمزدلفة قال : وقفت ها هنا ومزدلفة كلها موقف . وسئل صلى الله عليه وسلم أن يبنى له بناء يظله من الحر؟ فقال : لا ، منى مناخ لمن سبق إليه ، وفى هذا دليل على اشتراك المسلمين فيها وأن من سبق إلى مكان فهو أحق به حتى يتحل عنه ولا يملكه بذلك .

فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحره استدعى بالخلق فحلق رأسه فقال للحلاق وهو معمر بن عبد الله وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر فى وجهه وقال يا معمر ! أمكك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة أذنه وفى يدك الموسى فقال معمر : أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله علىّ ومنه قال : أجل وقال صلى الله عليه

(١) الجلال جمع جُل وهو كساء يوضع على ظهور الابل . (٢) مع .

وسلم للحلاق : خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ، فلما فرغ منه قسم شعره بين من يليه ثم أشار إلى الحلاق فحلق جانبه الأيسر ثم قال : ها هنا أبو طلحة فدفعه إليه ، هكذا وقع في صحيح مسلم . وقد دعا صلى الله عليه وسلم للحلقين بالمغفرة ثلاثاً وللقصرين مرة ، وحلق كثير من الصحابة بل أكثرهم وقصر بعضهم وهذا مع قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ ومع قول عائشة رضي الله عنها طابت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم وإحلاله قبل أن يحل دليل على أن الحلق نسك وليس بإطلاق من محظورات الإحرام .

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم إلى مكة قبل الظهر راكباً فطاف طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة وهو طواف الصّدر ولم يطف غيره ولم يسع معه هذا هو الصواب ، وقد خالف في ذلك ثلاث طوائف — طائفة زعمت أنه طاف طوافين طوافاً للقدوم سوى طواف الإفاضة ثم طاف للإفاضة ، وطائفة زعمت أنه سعى مع هذا الطواف لكونه قارناً ، وطائفة زعمت أنه لم يطف في ذلك اليوم وإنما أحرطواف الزيارة إلى الليل (وقد بين ابن القيم منشأ هذه الأقوال وخطأها في كتابه زاد المعاد من ص ٢٣٩ إلى ٢٤٢) ولم يرمل صلى الله عليه وسلم في هذا الطواف ولا في طواف الوداع وإنما رمل في طواف القدوم ، ثم أتى زمزم بعد أن قضى طوافه وهم يسقون فقال : لولا أن يغلبكم الناس لزلت فسقيت معكم ثم ناولوه الدلو فشرب وهو قائم قليل : هذا نسخ لنيه عن الشرب قائماً وقيل : بل بيان منه لأنّ النهي على وجه الاختيار وترك الأولى وقيل : بل للحاجة وهذا أظهر . وهل كان في طوافه هذا راكباً أو ماشياً؟ . واختلف أين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ؟ ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أفاض يوم التجرثم رجع فصلى الظهر بمبني ، وفي صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة وكذلك قالت عائشة : وقد رجع جماعة قول عائشة وجابرورجح آخرون قول ابن عمر (انظر وجوه الترجيح زاد المعاد أول ص ٢٤٣) وقد طافت عائشة في ذلك اليوم طوافاً واحداً وسعت سعيها واحداً أجزأها عن حجها وعمرتها ، وطافت صفية ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع ولم

تودّع فاستقرت سنته صلى الله عليه وسلم في المرأة الطاهرة إذا حاضت قبل الطواف أن تقرر وتكتفى بطواف واحد وسعى واحد، وإن حاضت بعد طواف الإفاضة أجزأت به عن طواف الوداع . ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح أنتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب فبدأ بالجمرة الأولى التي تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة الله أكبر ثم يقدم على الجمرة أمامها حتى أسهل^(٢) فقام مستقبل القبلة ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة ثم أتى الى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ثم أتحد ذات اليسار مما يلي الوادى فوق مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول ثم أتى الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة فاستبطن الوادى وأستعرض الجمرة بفعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال ولا جعلها عن يمينه ، وأستقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء ، فلما أكمل الرمي رجع من فوره ولم يقف عندها فقليل : اضيق المكان بالجبل وقيل وهو أصح : إن دعاءه كان في نفس العبادة قبل الفراغ منها فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمي ، والدعاء في صلب العبادة قبل الفراغ منها أفضل منه بعد الفراغ منها . ويغلب على الظن أنه كان يرمى قبل الصلاة ثم يرجع فيصلى . ومما تقدم تعلم أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم تضمنت ست وقفات للدعاء ، الموقف الأول على الصفا ، والثاني على المروة ، والثالث بعرفة ، والرابع بمزدلفة ، والخامس عند الجمرة الأولى ، والسادس عند الجمرة الثانية .

وخطب صلى الله عليه وسلم الناس بمنى خطبتين خطبة يوم النحر وقد تقدمت والخطبة الثانية في أوسط أيام التشريق فقليل : هو ثاني يوم النحر وهو أوسطها أى خيارها وأحتج لذلك بحديث سري بنت نهان قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون أى يوم هذا؟ قالت : وهو اليوم الذى تدعون يوم الرؤوس

(١) أنظر الجمرات وصفا ورسمها بعد .

(٢) صار في الأرض السهلة .

قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا وسط أيام التشريق ، هل تدرون أى بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا المشعر الحرام . ثم قال : إني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد هذا : ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت ، فلما قدمنا المدينة لم يلبث إلا قليلا حتى مات صلى الله عليه وسلم — رواه أبو داود .

ويوم الروع هو ثاني يوم النحر بالاتفاق . واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة ليالى منى من أجل سقايته فأذنه ، واستأذنه رعاء الإبل في البيتوة خارج منى عند الإبل فأرخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمى يومين بعد يوم النحر يرمونه في أحدهما قال مالك : ظننت أنه قال في أول يوم منهما ثم يرمون يوم النفر . وقال ابن عيينة في هذا الحديث رخص للراء أن يرموا يوما ويدعوا يوما فيجوز للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى ، وأما الرمي فانهم لا يتركونه بل لهم أن يؤخروه الى الليل فيرمون فيه ، ولهم أن يجمعوا رمى يومين في يوم ، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رخص لأهل السقاية والراء في البيتوة فمن له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخلفه عنه أو كان مريضا لا تمكنه البيتوة سقطت عنه بتنبيه النص على هؤلاء . ولم يتعجل صلى الله عليه وسلم في يومين بل تأخر حتى أكل رمى أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر الى المحصب وهو الأبطح وهو خيف بنى كنانة فوجد أبا رافع قد ضرب فيه قبه هنالك وكان على ثقله توفيقا من الله عز وجل دون أن يأمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم هض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ولم يرمل في هذا الطواف وأخبرته صفية أنها حائض فقال أحابستنا هي ؟ فقالوا له : إنها قد أفاضت قال : فلتنفر اذا ، ورغبت اليه عائشة تلك الليلة أن يعمرها عمرة مفردة فأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفاء والمروة قد أجزأها عن حجها وعمرتها فأبت

(١) المحصب هو الوادى الذى بين الملاءة من جهة مكة وبين المكان المعروف بسبيل الست من جهة منى .

(٢) القل مناع المسافر وحشمه .

إلا أن تعتد عمره مفردة فأمر أخاها أن يعمرها من التنعيم ، ففرغت من عمرتها ليلا ثم وافت المحصب مع أخيها فأتيا في جوف الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغتما؟ قالت : نعم ، فنأدى بالرحيل في أصحابه فأرتحل الناس ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح ، وقد اختلف في التحصيب أسنة هو أو منزل اتفاق على قولين - وهاهنا ثلاث مسائل هل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت في حجته أم لا ؟ وهل وقف بالملتزم أولا ؟ وهل صلى الصبح ليلة الوداع بمكة أو خارجا عنها ؟ والذي تدل عليه سنته أنه لم يدخل البيت في حجته ولا في عمرته وإنما دخله عام الفتح وأنه لم يقف بالملتزم إلا عام الفتح وأنه صلى صلاة الصبح بمكة عند البيت ، وسمعته أم سلمة يقرأ فيها بالطور .

ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ، فلما كان بالروحاء لقي رجا فسلم عليهم وقال من القوم ؟ فقالوا : المسلمون فمن القوم ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفعت امرأة صبيا لها من حجة^(١) فقالت يا رسول الله ! ألهذا حج ؟ قال : نعم ولك أجر ، فلما أتى ذا الحليفة بات بها ، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آتوني آتوني عابدون ساجدون لرَبنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخلها نهارا من طريق المعرس^(٢) وخرج من طريق الشجرة^(٣) .

هديه صلى الله عليه وسلم في الهدايا : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم وأهدى الإبل وأهدى عن نسائه البقر وأهدى في مقامه وفي عمرته وفي حجته

- (١) الحجة : مركب من مراكب النساء كالهودج ألا انها لا تقب كما تقب الهودج .
- (٢) التعريس نزول المسافر آخر الليل رلة للاستراحة والنوم ، والمعرس موضع التعريس وبه سمي معرس ذي الحليفة الذي عرس به النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٣) المراد بالشجرة الشجرة التي ولدت عندها أسماء بدي الحليفة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربها من المدينة ويحرم منها وهي على ستة أميال من المدينة .

وكانت سنته تقليد الغنم دون إشعارها ، وكان إذا بعث بهديه وهو مقيم لم يحرم عليه شيء كان منه حلالا ، وكان إذا أهدى الإبل قلدها وأشعرها فيشقى صفحة سنامها اليمنى يسيرا حتى يسيل منها الدم ، قال الشافعي رضى الله عنه : والإشعار في الصفحة اليمنى ، كذلك أشعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا بعث بهديه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشرف على عطب شيء منه أن ينحره ثم يصبغ نعله في دمه ثم يجعله على صفحته ولا يأكل منه هو ولا أحد من رفقته ثم يقسم لحمه ، ومنعه من هذا الأكل سدا للذريعة فإنه لعله ربما قصر في حفظه ليشارف العطب فينحره ويأكل منه فإذا علم أنه لا يأكل منه شيئا اجتهد في حفظه ، وشرك بين أصحابه في الهدى فالبدنة عن سبع والبقرة كذلك ، وأباح لسائق الهدى ركوبه بالمعروف إذا احتاج إليه حتى يحدد ظهرا غيره . وقال على رضى الله عنه : يشرب من لبنها ما فضل عن ولدها . وكان هديه صلى الله عليه وسلم نحر الإبل قياما مقيدة معقولة اليسرى على ثلاث وكان يسمى الله عند نحره ويكبر وكان يذبح نسكه بيده وربما وكل في بعضه كما أمر عليا رضى الله عنه أن يذبح ما بقى من المائة ، وكان إذا نحر الغنم وضع قدمه على صفائحها ثم سعى وكبر ونحر ، وقد تقدم أنه نحر بمنى وقال : إن بفاج مكة كلها منجر ، وقال ابن عباس : مناحر البدن بمكة ولكنها تزهدت عن الدماء ومنى من مكة ، وكان ابن عباس ينحر بمكة . وأباح صلى الله عليه وسلم أن يأكلوا من هداياهم وضحاياهم ويتروّدوا منها ونهاهم مرة أن يذبحوا منها بعد ثلاث لداقة^(٢) دفت عليهم ذلك العام من الناس فأحب أن يوسعوا عليهم . وروى مسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع لثوبان : أصلح هذا اللحم قال : فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة ، وكان ربما قسم لحوم الهدى وربما قال : من شاء أقطع فعل هذا وفعل هذا ، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم ذبح هدى العمرة عند المروة وهدى القران بمنى وكذلك كان ابن عمر يفعل . ولم ينحر هديه صلى الله عليه وسلم قط إلا بعد أن

(١) وضع فلادة في عقهما ليعلم أنها هدى والإشعار : الضرب في صفحة السنام حتى يسيل منها الدم وقد

تقدما . (٢) الداقة : القوم يسرون جماعة سيرا ليس بالشديد يقال : هم يدفون دفا .

حل ولم ينحره قبل يوم النحر ولا أحد من الصحابة البتة، ولم ينحره أيضاً إلا بعد طلوع الشمس وبعد الرمي، فهى أربعة أمور مرتبة يوم النحر: أولها الرمي ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وهكذا رتبها صلى الله عليه وسلم ولم يرخص فى النحر قبل طلوع الشمس البتة ولا ريب أن ذلك مخالف لمهديه فحكمه حكم الأصحية إذا ذبحت قبل طلوع الشمس فإنها لا تجزئ .

فقه المذاهب فى الحج

قد رأينا أن نعتمد فى نقل فقه المذاهب على ما كتبه الامام آبن رشد (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ) فى كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وإن دعت الحاجة الى الرجوع لكتب المذاهب المختلفة رجعنا اليها، وسنذكر الأحكام مجردة عن الأدلة فان ما قدمنا لك من حجة الرسول فيه الأدلة الكافية لمن أرادها وإن أبيت إلا الزيادة فدونك هذا الكتاب وكتاب نيسل الاوطار للعلامة الشوكانى ايمنى فانه البحر الخضم لمن رغب التوسع فى الأدلة والله يوفقنا لما فيه الخير لديننا وأمتنا .

النظر فى كتاب الحج فى ثلاثة أجناس : «الجنس الأول» يشتمل على الأشياء التى تجرى من هذه العبادة مجرى المقدمات التى تجب معرفتها لعمل هذه العبادة ؛ «الجنس الثانى» فى الأشياء التى تجرى منها مجرى الأركان وهى الأمور المعمولة نفسها والأشياء المتروكة ؛ «الجنس الثالث» فى الأشياء التى تجرى منها مجرى الأمور اللاحقة وهى أحكام الأفعال وذلك أن كل عبادة فإنها توجد مشتملة على هذه الثلاثة الأجناس .

الجنس الأول

هذا الجنس يشتمل على شيئين : (١) معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى من يجب ؛ (٢) معرفة متى يجب .

(١) وجوب الحج وشروطه — لا خلاف فى وجوب الحج لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

والشروط قسمان : شروط وجوب ، وشروط صحة ؛ فأما شروط الصحة فلا خلاف بين الأئمة أن منها الإسلام فلا يصح حج من غير مسلم . واختلفوا في صحة وقوعه من الصبي فذهب مالك والشافعي إلى جواز ذلك ومنع منه أبو حنيفة ، وكذلك اختلف أصحاب مالك في صحة وقوعه من الطفل الرضيع وبنى أن لا يختلف في صحة وقوعه ممن يصح وقوع الصلاة منه وهو كما قال صلى الله عليه وسلم من السبع الى العشر .

وأما شروط الوجوب فالإسلام على القول بأن الكفار مخاطبون بفروع شريعتنا ولا خلاف في اشتراط الاستطاعة وإن كان في تفصيل ذلك اختلاف وهى بالجملة تتصور على نوعين : مباشرة ونيابة ؛ فأما «المباشرة» فلا خلاف عندهم أن من شرطها الاستطاعة بالبدن وبالمال مع الأمن واختلفوا في تفصيل الاستطاعة بالبدن وبالمال فقال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وهو قول ابن عباس وعمر بن الخطاب : إن من شرط ذلك الزاد والراحلة ، وقال مالك : من أستطاع المشى فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب في حقه بل يجب عليه الحج وكذلك ليس الزاد عنده من شرط الاستطاعة إذا كان ممن يمكنه الاكتساب في طريقه ولو بالسؤال . فأما وجوبه باستطاعة «النيابة» مع العجز عن المباشرة فعند مالك وأبي حنيفة أنه لا تلزم النيابة إذا أستطيعت مع العجز عن المباشرة ، وعند الشافعي أنها تلزم فيلزم على مذهبه أن من لا يقدر على الحج ببدنه وعنده مال يكفى لإقامة غيره عنه في الحج تجب عليه تلك الإقامة من ماله الخاص ، وإن وجد من يحج عنه بماله وبدنه من أخ أو قريب سقط ذلك عنه ، وكذلك عنده الذى يأتيه الموت ولم يحج يلزم ورثته عنه أن يخرجوا من ماله ما يحج به عنه ولا خلاف بين المسلمين أنه يقع عن الغير تطوعا وإنما الخلاف في وقوعه فرضا ، واختلفوا من هذا الباب في الذى يحج عن غيره سواء أكان حيا أم ميتا هل من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه أولا ؟ فذهب بعضهم الى أن ذلك ليس من شرطه وإن كان قد أدى الفرض عن نفسه فذلك أفضل وبه قال مالك فيمن يحج عن الميت لأن الحج عنده عن الحى لا يقع ، وذهب آخرون الى أن من شرطه أن يكون قد قضى فريضة نفسه وبه قال الشافعي وغيره

إنه إن حج عن غيره من لم يقض فرض نفسه آتتاب إلى فرض نفسه ، وأختلفوا في هذا الباب أيضا فيمن يؤاجر نفسه في الحج فكره ذلك مالك والشافعي وقالا : إن وقع ذلك جاز ولم ييجز ذلك أبو حنيفة ، وبذلك عرفت من تجب عليه هذه الفريضة وممن تقع .

وأختلفوا من هذا الباب هل من شرط وجوب الحج على المرأة أن يكون معها زوج أو ذو محرم منها يطاوعها على الخروج معها الى السفر للحج فقال مالك والشافعي : ليس ذلك من شرط الوجوب ، وقال أبو حنيفة وأحمد وجماعة : وجود ذى المحرم ومطاوعته لها شرط في الوجوب .

(٢) متى يجب الحج — أختلفوا هل هو على الفور أو على التراخي ، والقولان منسوبان إلى مالك وأصحابه والظاهر عند المتأخرين من أصحابه أنها على التراخي وبالقول أنها على الفور قال البغداديون من أصحابه واختلف في ذلك قول أبي حنيفة وأصحابه ، والمختار عندهم أنه على الفور وقال الشافعي : هو على التوسعة .

حكم العمرة — قيل : إنها واجبة ، وقيل : إنها سنة ، وقيل : هي تطوع وبالأول قال الشافعي وأحمد وأبو عبيد والثوري والأوزاعي وهو قول ابن عباس وابن عمر من الصحابة وجماعة من التابعين وبالسنية قال مالك وجماعة ، وبالتطوع قال أبو حنيفة وأبو ثور ودادود .

الجنس الثاني

في أفعال هذه العبادة نوعا والتروك المشتربة فيها

هذه العبادة صنفان : حج ، وعمرة ؛ والحج ثلاثة أنواع : إفراد وتمتع وقران وكلها تشتمل على أفعال محدودة في أمكنة محدودة وأوقات محدودة وعلى تروك تشترط في تلك الأفعال ، ولكل هذه أحكام محدودة إما عند الإخلال بها وإما عند الطوارئ المانعة منها فإذا الجنس الثاني ينقسم الى الأفعال والى التروك ؛ فلنبدا بالأفعال وهذه منها ما تشترك فيها هذه الأربعة الأنواع من النسك أعنى أنواع الحج الثلاثة والعمرة

ومنها ما يختص ببعضها فليبدأ من القول فيها بالمشترك ثم نعقب ذلك بالخاص فنقول : إن الحج والعمرة أول أفعالها الفعل الذي يسمى بالإحرام .

(١) الإحرام - (١) ميقاته

الإحرام : يشترط فيه المكان والزمان أما المكان فهو ما يسمى بمواقيت الحج وقد أجمع العلماء على أن المواقيت التي منها يكون الإحرام، ذو الحليفة لأهل المدينة والحجفة لأهل الشام، وقرن لأهل نجد، ويلملم لأهل اليمن، واختلفوا في ميقات أهل العراق فقال جمهور فقهاء الأمصار: ميقاتهم من ذات عرق، وقال الشافعي والثوري : إن أهلوا من العقيق كان أحب^(١) ، وجمهور العلماء على أن من يخطئ هذه وقصده الإحرام فلم يحرم إلا بعدها فعليه دم وهؤلاء منهم من قال : إن رجع الى الميقات فأحرم منه سقط عنه الدم ومنهم الشافعي ، ومنهم من قال : لا يسقط عنه الدم وإن رجع وبه قال مالك ، وقال قوم : ليس عليه دم ، وقال آخرون : إن لم يرجع الى الميقات فسد حجه ويرجع الى الميقات فيهل منه بعمرة ، وجمهور العلماء على أن من كان منزله دونهن فميقات إحرامه من منزله ، واختلفوا هل الأفضل إحرام الحاج منهن أو من منزله إذا كان منزله خارجا عنهن ؟ فقال قوم : الأفضل له من منزله والإحرام منها رخصة وبه قال الشافعي وأبو حنيفة والثوري وجماعة ، وقال مالك وإسحاق وأحمد إحرامه من المواقيت أفضل . واختلفوا فيمن ترك الإحرام من ميقاته وأحرم من ميقات آخر غير ميقاته مثل أن يترك أهل المدينة الإحرام من ذي الحليفة ويحرموا من الحجفة فقال قوم عليه دم ومن قال به مالك وبعض أصحابه وقال أبو حنيفة ليس عليه شيء .

ولا خلاف أنه يلزم الإحرام من مرة بهذه المواقيت ممن أراد الحج أو العمرة وأما من لم يردّها ومرة بهما فقال قوم : كل من مرة بهما يلزمه الإحرام إلا من يكثر ترداده مثل الخطابين وشبههم وبه قال مالك ، وقال قوم : لا يلزم الإحرام إلا للمريد الحج

أو العمرة ، هذا كله لمن ليس من أهل مكة وأما أهل مكة فإنهم يخرجون الى الحل ويحرمون منه بالحج أو العمرة. وأما متى يحرم بالحج أهل مكة فقيل : إذا رأوا الهلال وقيل : إذا خرج الناس إلى منى فهذا هو ميقات المكان المشترط لأنواع هذه العبادة. وميقات الزمان محدود أيضا في أنواع الحج الثلاثة وهو سؤال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة باتفاق ، وقال مالك : ثلاثة الأشهر كلها محل للحج ، وقال الشافعي : الشهران وتسع من ذى الحجة ، وقال أبو حنيفة : وعشر من ذى الحجة ، وفائدة الخلاف تأخر طواف الإفاضة الى آخر الشهر ، فإن أحرم بالحج قبل أشهره كرهه مالك وصح إحرامه عنده ، وقال غيره : لا يصح إحرامه ، وقال الشافعي : ينعقد إحرامه إحرام عمرة . وأما العمرة فاتفقوا على جوازها في كل أوقات السنة ، وقال أبو حنيفة : تجوز في كل السنة إلا يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق فإنها تكره . وَاختلفوا في تكريرها في السنة الواحدة فكان مالك يستحب عمرة في كل سنة ويكره تكرارها في السنة الواحدة وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا كراهة في ذلك .

فهذا هو القول في شروط الإحرام الزمانية والمكانية .

(ب) محظورات الإحرام

آتق العلماء على أن المحرم لا يلبس قيصا ولا سُرْوالا (لباسا) ولا بُرْئسا (قلنسوة طويلة) ولا خفا ولا ثوبا مسه الزعفران أو الورس (نبت أصفر يمتلئ) ولا ما كان في معنى ذلك من مخيط الثياب وأن هذا مخصوص بالرجال فلا بأس بأن تلبس المرأة القميص والسراويل والخفاف والخمر . وَاختلفوا فيمن لم يجد غير السراويل هل له لباسها؟ فقال مالك وأبو حنيفة : لا يجوز له ذلك وإن لبسها آتدى ، وقال الشافعي والثوري وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا وجهور العلماء على إجازة لبس الخفين مقطوعين لمن لم يجد النعلين وقال أحمد : يجوز لمن لم يجد النعلين أن يلبس الخفين غير مقطوعين ، قال عطاء : في قطعهما فساد والله لا يحب الفساد ، وَاختلفوا فيمن لبسهما مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه الفدية وبه

قال أبو ثور ، وقال أبو حنيفة : فدية عليه ، والقولان عن الشافعي . واختلفوا في المعصفر فقال مالك : لا بأس به فإنه ليس بطيب ، وقال أبو حنيفة والثوري : هو طيب وفيه الفدية وأجمعوا على أن إحرام المرأة في وجهها وأن لها أن تغطي رأسها وتسز شعرها وأن لها أن تسدل ثوبها على وجهها من فوق رأسها سدا خفيفا تستر به من نظر الرجال إليها . واختلفوا في تخيير المحرم وجهه بعد إجماعهم على أنه لا يخر رأسه ، فروى مالك عن ابن عمر أن ما فوق الذقن من الرأس لا يخر المحرم وإليه ذهب مالك ، وروى عنه أنه إن فعل ذلك ولم يزرعه مكانه آفدى ، وقال الشافعي والثوري وأحمد وداود وأبو ثور : يخر المحرم وجهه إلى الحاجبين . واختلفوا في لبس القفازين للمرأة فقال مالك : إن لبستهما آفدت ، ورخص فيه الثوري وهو مروى عن عائشة .

وأجمع العلماء على أن الطيب كله يحرم على المحرم بالحج أو العمرة في حال إحرامه ، واختلفوا في جوازه للمحرم عند الإحرام قبل أن يحرم لما يبق من أثره عليه بعد الإحرام فكرهه قوم وأجازه آخرون ، ومن كرهه مالك ورواه عن عمر بن الخطاب وهو قول عثمان وابن عمر وجماعة من التابعين ، ومن أجازه أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد وداود .

وأجمع المسلمون على أن وطء النساء على الحاج حرام من حين يحرم لقوله تعالى ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ .

واتفقوا على أن المحرم لا يلق تفثه ولا يزيل شعره ولا يقتل القمل ، وأجمعوا على أنه يجوز له غسل رأسه من الجبابة ، واختلفوا في كراهية غسله من غير الجبابة فقال الجمهور : لا بأس بغسله رأسه ، وقال مالك : بكراهية ذلك واتفقوا على منع غسل رأسه بالخطمي ، وقال مالك وأبو حنيفة : إن فعل ذلك آفدى وقال أبو ثور وغيره : لا شيء عليه . واختلفوا في دخوله الحمام فكان مالك يكره ذلك ويرى أن على من دخله الفدية وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وداود : لا بأس بذلك .

ومن محظورات الإحرام الاصطياد وذلك مجمع عليه لقوله تعالى ﴿ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ وقوله تعالى ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ وقد أجمعوا على أنه لا يجوز له صيده ولا أكل ما صاده هو منه ، واختلفوا إذا صاده حلال هل يجوز للمحرم أكله ؟ على ثلاثة أقوال : قول أنه يجوز له أكله على الإطلاق وبه قال أبو حنيفة وهو قول عمر بن الخطاب والزبير ، وقال قوم : هو محرم عليه على كل حال وهو قول ابن عباس وعليّ وبه قال الثوري ، وقال مالك : ما لم يصد من أجل المحرم أو من أجل قوم محرمين فهو حلال ، وما صيد من أجل محرم فهو حرام على المحرم . واختلفوا في المضطر هل يأكل الميتة أو يصيد في الحرم ؟ فقال مالك وأبو حنيفة والثوري وزُفر وجماعة : إذا اضطرأ كل الميتة ولحم الخنزير دون الصيد ، وقال أبو يوسف : يصيد ويأكل وعليه الجزاء ؛ فهذه الخمسة اتفق المسلمون على أنها من محظورات الإحرام . واختلفوا في نكاح المحرم فقال مالك والشافعي والليث والأوزاعي : لا ينكح المحرم ولا يُنكح فإن نكح فالنكاح باطل وهو قول عمر وعليّ بن أبي طالب وابن عمر وزيد بن ثابت ، وقال أبو حنيفة والثوري : لا بأس بأن ينكح المحرم ويُنكح .

(ج) أنواع الإحرام

المحرم إما محرم بعمره مفردة أو محرم بحج مفرد أو جامع بين الحج والعمرة وهذا ضربان إما متمتع وإما قارن . ولما كان الأفراد هو التعرى عن صفات التمتع والقران وجب أن نبدأ أولاً بصفة التمتع ثم نردف ذلك بصفة القران ، اتفق العلماء على أن هذا النوع من النسك المعنى بقوله سبحانه ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ هو أن يهل الرجل بالعمرة في أشهر الحج من الميقات إن كان مسكنه خارجاً عن الحرم ثم يأتي حتى يصل البيت فيطوف لعمرته ويسعى ويحلق في تلك الأشهر بعينها ثم يحل بمكة ثم ينشئ الحج في ذلك العام نفسه وفي تلك الأشهر نفسها من غير أن ينصرف إلى بلده إلا ما روى عن الحسن أنه كان يقول : هو متمتع وإن عاد إلى بلده ولم يحج فعليه الهدى وكان يقول : عمرة في أشهر الحج متعة وقال طاوس : من أعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى يحج

وحج من عامه إنه تمتع ، وقد اتفق العلماء على أن من لم يكن من حاضري المسجد الحرام فهو متمتع وأختلفوا في المكي هل يقع منه التمتع أو لا ؟ والقائلون بوقوعه منه اتفقوا على أنه ليس عليه دم لقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ . وأختلفوا فيمن هو حاضر بالمسجد الحرام ممن ليس هو كذلك فقال مالك : حاضرو المسجد الحرام هم أهل مكة وذو طوى وما كان مثل ذلك من مكة ، وقال أبو حنيفة : هم أهل المواقيت فمن دونهم إلى مكة وقال الشافعي بمصر : من كان بينه وبين مكة ليلتان وهو أقرب المواقيت ، وقال أهل الظاهر : من كان ساكن الحرم ، وقال الثوري : هم أهل مكة فقط ، وأبو حنيفة يقول إن حاضري المسجد الحرام لا يقع منهم التمتع .

وهنا بوعان من التمتع أختلف العلماء فيهما ، أحدهما فسخ الحج في عمرة وهو تحويل النية من الإحرام بالحج إلى العمرة ، بجمهور العلماء . يكرهون ذلك من الصدر الأول وفقهاء الأمصار ، وذهب ابن عباس إلى جواز ذلك وبه قال أحمد ودود . وأما النوع الثاني من التمتع فهو ما كان يذهب إليه ابن الزبير أن التمتع الذي ذكره الله هو تمتع المحصر بمرض أو عدو وذلك إذا خرج الرجل حاجا فحبسه عدو أو أمر تعذر به عليه الحج حتى تذهب أيام الحج فيأتي البيت فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة ، ويحل ثم يمتع محله إلى العام المقبل ثم يحج ويهدي ، وعلى هذا القول لا يكون التمتع المشهور إجماعا ، وشذ طائفة أيضا فقال : إن المكي إذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدى . واختلف العلماء فيمن أنشأ عمرة في غير أشهر الحج ثم عملها في أشهر الحج ثم حج عامه ذلك فقال مالك : عمرته في الشهر الذي حل فيه فإن كان حل في أشهر الحج فهو متمتع وإن كان حل في غير أشهر الحج فليس بمتمتع ، وتقريب منه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري إلا أن الثوري اشترط أن يقع طوافه كله في شوال وبه قال الشافعي ، وقال أبو حنيفة : إن طاف ثلاثة أشواط في رمضان وأربعة في شوال كان متمتعا وإن لا فلا ، وقال أبو ثور : إذا دخل في العمرة في غير أشهر الحج فسواء طاف لها في أشهر الحج أو في غيرها لا يكون متمتعا .

وشروط التمتع عند مالك ستة : (١) أن يجمع بين العمرة والحج في شهر واحد ؛ (٢) أن يكون ذلك في عام واحد ؛ (٣) أن يفعل شيئاً من العمرة في أشهر الحج ؛ (٤) أن يقدم العمرة على الحج ؛ (٥) أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة وإحلاله منها ؛ (٦) أن يكون وطنه غير مكة .

والقران أن يهل بالنسكين معا أو يهل بالعمرة في أشهر الحج ثم يردف ذلك بالحج قبل أن يخل من العمرة . واختلف أصحاب مالك في الوقت الذي يكون ذلك له فيه فقليل ذلك له ما لم يشرع في الطواف ولو شوطاً واحداً وقبل : ما لم يطف ويركع . ويكره بعد الطواف وقبل الركوع فإن فعل لزمه وقيل : له ذلك ما بقى عليه شيء من أعمال العمرة من طواف أو سعى إلا الحلق فإنه بالاتفاق إذا أهل بالحج قبله فقط لا يكون قارناً والقارن الذي يلزمه هدى التمتع هو عند الجمهور من غير حاصري المسجد الحرام إلا آبن المساجشون من أصحاب مالك ، فإن القارن من أهل مكة عمده عليه الهدى .

والإفراد ما عرى عن الصفات السابقة وهو أن لا يكون متمتعاً ولا قارناً بل أن يهل بالحج فقط . واختلف العلماء أيّ الثلاثة أفضل للإفراد أو التمتع أو القران (انظر أدلة ذلك ص ٢٧٠ جزء أول بداية وانظر ص ١٨٣ من زاد المعاد أول وتواليها) .

(د) صفة الإحرام

اتفق جمهور العلماء على أن الغسل للإهلال سنة وأنه من أفعال المحرم حتى قال آبن نوار : إن هذا الغسل للإهلال عند مالك أوكد من غسل الجمعة ، وقال أهل الظاهر : هو واجب ، وقال أبو حنيفة والثوري يجزى عنه الوضوء . واتفقوا على أن الإحرام لا يكون إلا بنية ، وأختلفوا هل تجزئ النية فيه من غير التلبية فقال مالك والشافعي : تجزئ النية من غير تلبية ، وقال أبو حنيفة : التلبية في الحج كالتكبيرة في الإحرام بالصلاة إلا أنه يجزئ عنده كل لفظ يقوم مقام التلبية كما يجزئ عنده في افتتاح الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير وهو كل ما يدل

على التعظيم . واتفق العلماء على أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك ، واختلفوا هل هى واجبة بهذا اللفظ فقال أهل الظاهر : هى واجبة بهذا اللفظ ولا خلاف عند الجمهور فى استحباب هذا اللفظ وإنما اختلفوا فى الزيادة عليه أو فى تبديله . وأوجب أهل الظاهر رفع الصوت بالتلبية وهو مستحب عند الجمهور . وأجمع أهل العلم على أن تلبية المرأة فيما حكاه أبو عمر هو أن تسمع نفسها بالقول . وقال مالك : لا يرفع المحرم صوته فى مساجد الجماعة بل يكفيه أن يسمع من يليه إلا فى المسجد الحرام ومسجد منى فإنه يرفع صوته فيهما . واستحب الجمهور رفع الصوت عند التقاء الرفاق وعند الإطلال على شرف من الأرض . وكان مالك لا يرى التلبية من أركان الحج ويرى على تاركها دما وكان غيره يراها من أركانه . واستحب العلماء أن يكون ابتداء المحرم بالتلبية بأثر صلاة يصلحها ، وكان مالك يستحب ذلك بأثر نافلة . واختلفت الآثار فى الموضع الذى أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجته من أقطار ذى الحليفة فقال قوم : من مسجد ذى الحليفة بعد أن صلى فيه وقال آخرون : إنما أحرم حين أطل على البيداء وقال قوم : إنما أهل حين استوت به راحلته . وسئل ابن عباس عن اختلافهم فى ذلك فقال : كل حدث لا عن أول إهلاله صلى الله عليه وسلم بل عن أول إهلال سمعه ، وذلك لأن الناس يأتون متسابقين فعلى هذا لا اختلاف . وأجمع فقهاء الأمصار على أن المكى لا يلزمه الإهلال حتى يخرج إلى منى ليتصل له عمل الحج ، وروى مالك أن عمر بن الخطاب كان يأمر أهل مكة أن يهلوا إذا رأوا الهلال ، ولا خلاف عندهم أن المكى لا يهل إلا من جوف مكة إذا كان حاجا وأما إذا كان معتمرا فإنهم أجمعوا على أنه يلزمه أن يخرج إلى الحل ثم يحرم منه ليجمع بين الحل والحرم كما يجمع الحاج لأنه يخرج إلى عرفة وهى حل ، واختلفوا إن لم يفعل فقال قوم : يحزبه وعليه دم وبه قال أبو حنيفة وابن القاسم وقال آخرون : لا يحزبه وهو قول الثورى واشبه . واختلفوا متى تقطع التلبية ؟ فقال مالك : تقطع بزوال الشمس من يوم عرفة وبه قال الخلفاء الأربعة غير أنه اختلف عن عثمان ،

وقال جمهور فقهاء الأمصار وأهل الحديث : تقطع برمي جمرة العقبة فإذا رمى آخر حصاة قطع التلبية وقيل : بل يقطعها في أول حصاة يلقيها وقيل : غير ذلك ، أما وقت قطع التلبية بالعمرة فقال أبو حنيفة ومالك : يقطعها إذا انتهى إلى الحرم ، وقال الشافعي : إذا افتتح الطواف .

وجمهور العلماء متفقون على إدخال الحج على العمرة ويختلفون في إدخال العمرة على الحج ، وقال أبو ثور : لا يدخل حج على عمرة ولا عمرة على حج كما لا تدخل صلاة على صلاة . وإلى هنا فرغنا من الكلام على أول عمل يأتي به المحرم وهو الإحرام وأما الفعل الذي بعد هذا فهو الطواف إذا دخل مكة .

(٢) الطواف بالبيت

الكلام في الطواف : (١) في صفته ؛ (٢) وشروطه ؛ (٣) وأنواعه وحكمه :

(١) صفة الطواف — الجمهور مجمعون على أن صفة كل طواف واجبا كان أو غير واجب أن يبدأ من الحجر الأسود فإن آستطاع أن يقبله قبله أو يلمسه بيده ويقبلها إن أمكنه ثم يجعل البيت على يساره ويمضى على يمينه فيطوف سبعة أشواط يرمل في الثلاثة الأشواط الأول ثم يمشى في الأربعة وذلك في طواف القدوم على مكة وذات الحاج والمعتمر دون المتمتع وأنه لا رمل على النساء ، ويستلم الركن اليماني وهو الذي على قطر الركن الأسود ، وأختلفوا في حكم الرمل في الثلاثة الأشواط الأول للقادم هل هو سنة أو فضيلة ؟ فقال ابن عباس : هو سنة ، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وإسحاق وأحمد وأبو ثور ، وأختلف قول مالك في ذلك وأصحابه ، ومن جعله سنة أوجب في تركه الدم ، ومن جعله فضيلة لم يوجب في تركه شيئا ، وعلى أصول الظاهرية يجب الرمل لقوله صلى الله عليه وسلم ” خذوا عني مناسككم “ وأجمعوا على أنه لا رمل على من أحرم بالحج من مكة من غير أهلها وهم المتمتعون لأنهم قد رملوا في حين دخولهم حين طافوا للقدوم ، وأختلفوا في أهل مكة هل عليهم رمل إذا حجوا ؟ فقال الشافعي : كل طواف قبل عرفة مما يوصل بينه وبين السعى فإنه يرمل

فيه ، وكان مالك يستحب ذلك ، وكان ابن عمر لا يرى عليهم رملا إذا طافوا بالبيت على ما روى عنه مالك . واتفقوا على أن من سنة الطواف استلام الركنين الأسود واليماني للرحال دون النساء ، واختلفوا هل تستلم الأركان كلها أم لا ؟ فذهب الجمهور إلى أنه إنما يستلم الركنان فقط ، واحتج من رأى استلام جميعها بما روى عن جابر ، قال : كنا نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها . وكان بعض السلف لا يحب أن يستلم الركنين إلا في الوتر من الأشواط . وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر وإن لم يقدر على الدخول إليه قبل يده . وأجمعوا على أن من سنة الطواف ركعتين بعد انقضاء الطواف وجمهورهم على أنه يأتي بهما الطائف عند انقضاء كل أسبوع إن طاف أكثر من أسبوع واحد ، وأجاز بعض السلف أن لا يفرق بين الأسابيع بالركعتين بل يركع اكمل أسبوع ركعتين .

(٢) شروط الطواف -- (الشرط الأول) أن يكون في موضعه ، وجمهور العلماء على أن الحجر من البيت وأن من طاف بالبيت لزمه إدخال الحجر فيه وأنه شرط في صحة طواف الإفاضة ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : هو سنة . (الشرط الثاني) أن يكون في وقته واختلفوا في وقت جوازه على ثلاثة أقوال : أحدها إجازة الطواف بعد الصبح والعصر ومنعه وقت الطلوع والغروب وهو مذهب عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وبه قال مالك وأصحابه وجماعة ، والقول الثاني : كراهيته بعد الصبح والعصر ومنعه عند الطلوع والغروب وبه قال سعيد ابن جبير ومجاهد وجماعة ، القول الثالث : إباحة ذلك في هذه الأوقات كلها وبه قال الشافعي وجماعة . (الشرط الثالث) الطهارة . قال مالك والشافعي : لا يجزى طواف بغير طهارة لا عمدا ولا سهوا ، وقال أبو حنيفة : يجزى ويستحب له الإعادة وعليه دم ، وقال أبو ثور : إذا طاف على غير وضوء أجزأه طوافه إن كان لا يعلم ولا يجزئه إن كان يعلم ، والشافعي يشترط طهارة ثوب الطائف كاشتراط ذلك للصلى .

(٣) أنواع الطواف — أجمع العلماء على أن الطواف ثلاثة أنواع ، طواف القدوم على مكة ، وطواف الإفاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ، وطواف الوداع ،

وأجمعوا على أن الواجب منها الذي يفوت الحج بفواته هو طواف الإفاضة وأنه المعنى بقوله تعالى ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وأنه لا يجزئ عنه دم ، وجمهورهم على أنه لا يجزئ طواف القدوم على مكة عن طواف الإفاضة إذا نسي طواف الإفاضة لكونه قبل يوم النحر، وقالت طائفة من أصحاب مالك : إن طواف القدوم يجزئ عن طواف الإفاضة كأنهم رأوا أن الواجب هو طواف واحد، وجمهور العلماء على أن طواف الوداع يجزئ عن طواف الإفاضة إن لم يكن طاف طواف الإفاضة لأنه طواف بالبيت معمول في وقت طواف الوجوب الذي هو طواف الإفاضة ، وأجمعوا فيما حكاه أبو عمر بن عبد البر أن طواف القدوم والوداع من سنة الحاج إلا لخائف فوات الحج فإنه يجزئ عنه طواف الإفاضة ، واستحب جماعة من العلماء لمن عرض له هذا أن يرمل في الأشواط الثلاثة من طواف الإفاضة على سنة طواف القدوم من الرمل ، وأجمعوا على أن المكي ليس عليه إلا طواف الإفاضة كما أجمعوا أنه ليس على المقيم إلا طواف القدوم ، وأجمعوا أن من تمتع بالعمرة إلى الحج عليه طوافان طواف للعمرة لحله منها وطواف للحج يوم النحر ، وأما المفرد للحج فليس عليه إلا طواف واحد كما قلنا يوم النحر ، واختلفوا في القارن فقال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور : يجزئ القارن طواف واحد وسعى واحد، وقال الثوري والأوزاعي وأبو حنيفة وابن أبي ليلى : على القارن طوافان وسعيان .

(٣) السعى بين الصفا والمروة

القول فيه في : (١) حكمه ؛ (٢) صفته ؛ (٣) شروطه ؛ (٤) ترتيبه .

(١) حكم السعى — قال مالك والشافعي : إنه واجب وإن لم يسع كان عليه حج قابل وبه قال أحمد وإسحاق، وقال الكوفيون : هو سنة وإذا رجع إلى بلاده ولم يسع كان عليه دم، وقال بعضهم : هو تطوع ولا شيء على تاركه .

(٢) صفته — جمهور العلماء : على أن من سنة السعى بين الصفا والمروة أن ينحدر الراقى على الصفا بعد الفراغ من الدعاء فيمشى على عادته حتى يبلغ بطن

المسيل فيرمل فيه حتى يقطعه إلى ما يلي المروة فإذا قطع ذلك وجاوزه مشى على سجيته حتى يأتى المروة فيرقى عليها حتى يبدوله البيت ثم يقول عليها نحوا مما قال من الدعاء والتكبير على الصفا وإن وقف أسفل المروة أجزأه عند جميعهم ثم ينزل عن المروة فيمشى على طبيعته حتى ينتهى إلى بطن المسيل فإذا انتهى إليه رمل حتى يقطعه إلى الجانب الذى يلي الصفا يفعل ذلك سبع مرات يبدأ فى كل ذلك بالصفا وينتتم بالمروة ، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا ألغى ذلك الشوط ، وقال عطاء إن جهل فبدأ بالمروة أجزأ عنه . وأجمعوا على أنه ليس فى وقت السعى قول محدود فإنه موضع دعاء ، وثبت من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك .

(٣) شروطه — آتفقوا على أن من شرطه الطهارة من الحيض كالطواف ، ولا خلاف بينهم أن الطهارة ليست من شرطه إلا الحسن فانه شبهه بالطواف .

(٤) ترتيبه — جمهور العلماء : على أن السعى إنما يكون بعد الطواف ، وأن من سعى قبل أن يطوف بالبيت يرجع فيطوف ويسعى وإن خرج من مكة ، فإن جهل ذلك حتى أصاب النساء فى العمرة أو فى الحج كان عليه حج قابل والهدى أو عمرة أخرى ، وقال الثورى : إن فعل ذلك فلا شىء عليه وقال أبو حنيفة : إذا خرج من مكة فليس عليه أن يعود وعليه دم .

الخروج الى عرفة — يلى السعى الخروج يوم التروية (الثامن من ذى الحجة) إلى منى والمبيت بها ليلة عرفة ، وآتفقوا على أن الإمام يصلى بالناس بمنى يوم التروية الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصرا الرباعية إلا أنهم أجمعوا على أن هذا الفعل ليس شرطا فى صحة الحج لمن ضاق عليه الوقت ثم إذا كان يوم عرفة صلى الإمام بالناس صلاة الصبح ومشى معهم بعد شروق الشمس من منى إلى عرفة ووقفوا بها بعد الزوال .

(٤) الوقوف بعرفة

القول في هذا الفعل ينحصر : (١) في معرفة حكمه ؛ (٢) وفي صفته ؛ (٣) وفي شروطه .

(١) حكم الوقوف — أجمعوا على أن الوقوف ركن من أركان الحج وأن من فاته فعليه حج قابل والهدى في قول أكثرهم لقوله صلى الله عليه وسلم ”الحج عرفة“ .

(٢) صفته — صفته أن يصل الإمام إلى عرفة يوم عرفة قبل الزوال فإذا زالت الشمس خطب الناس ثم جمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر ثم وقف حتى تغيب الشمس ، وإنما اتفقوا على هذا لأن هذه الصفة مجمع عليها من فعليه صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف بينهم أن إقامة الحج هي للسلطان الأعظم أو لمن يقيمه السلطان الأعظم لذلك وأنه يصلى وراءه براكبان السلطان أو فاجرا أو مبتدعا ، وأن السنة في ذلك أن يأتي المسجد بعرفة يوم عرفة مع الناس فإذا زالت الشمس خطب الناس كما قلنا وجمع بين الظهر والعصر . واختلفوا في وقت أذان المؤذن بعرفة للظهر والعصر ، فقال مالك : يخطب الإمام حتى يمضي صدر من خطبته أو بعضها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب وقال الشافعي : يؤذن إذا أخذ الإمام في الخطبة الثانية وقال أبو حنيفة : إذا صعد الإمام المنبر أمر المؤذن بالأذان كالحال في الجمعة فإذا فرغ المؤذن قام الإمام يخطب ثم ينزل ويقوم المؤذن الصلاة وبه قال أبو ثور تشبيها بالجمعة ، وقد حكى ابن نافع عن مالك أنه قال : الأذان بعرفة بعد جلوس الإمام للخطبة ، وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له وأتى بطن الوادي فخطب الناس ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ثم راح إلى الموقف . واختلفوا هل يجمع بين هاتين الصلاتين بأذنين وإقامتين أو بأذان واحد وإقامتين ؟ قال مالك : بالأول . وروى عن أحمد ، وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأبو ثور وجماعة : بالثاني . واتفقوا على أن الخطبة في هذا اليوم ليست بشرط للصلاة كالجمعة وأن القراءة في الصلاة

سر . واتفقوا على أن الصلاة مقصورة إذا كان الإمام مسافراً، واختلفوا إذا كان الإمام ميكاً هل يقصر بمِنَى الصلاة يوم التروية وبعرفة يوم عرفة وبالمزدلفة ليلة النحر إن كان من أحد هذه المواضع ؟ فقال مالك والأوزاعي وجماعة : سنة هذه المواضع التقصير سواء أكان من أهلها أم لم يكن ، وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور وداد : لا يجوز أن يقصر من كان من أهل تلك المواضع . واختلف العلماء في وجوب الجمعة بعرفة ومِنَى فقال مالك : لا تجب الجمعة بعرفة ولا بمِنَى أيام الحج ، لا على أهل مكة ولا على غيرهم إلا أن يكون الإمام من أهل عرفة ، وقال الشافعي مثل ذلك إلا أنه يشترط في وجوب الجمعة أن يكون هناك من أهل عرفة أربعون رجلاً على مذهبه في اشتراط هذا العدد في الجمعة ، وقال أبو حنيفة : إذا كان أمير الحج ممن لا يقصر بمِنَى ولا بعرفة صلى بهم فيها الجمعة إذا صادفها ، وقال أحمد : إذا كان وإلى مكة يجمع وبه قال أبو ثور .

(٣) شروطه — يشترط في الوقوف بعرفة أن يكون بعد الزوال ويسبق له أن يمتد إلى غروب الشمس وأجمعوا على أن من وقف بعرفة قبل الزوال وأفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتد بوقوفه وأنه إن لم يرجع فيقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج ، واختلفوا فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل غروب الشمس فقال مالك : عليه حج قابل إلا أن يرجع ويدفع قبل الفجر ، وإن دفع منها قبل الإمام وبعد الغيبة أجزاء ، وبالحكمة فشرط صحة الوقوف عنده أن يقف ميلاً وقال جمهور العلماء : من وقف بعرفة بعد الزوال فحجه تام وإن دفع قبل الغروب ، إلا أنهم اختلفوا في وجوب الدم عليه . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق أنه قال : عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة . والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر ، ومِنَى كلها منحر ، وبخاج مكة منحر ومبيت ، واختلف العلماء فيمن وقف من عرفة بعرفة فليل : حجه تام وعليه دم . وبه قال مالك ، وقال الشافعي : لا حج له ، وبلى الوقوف بعرفة من أفعال الحج انتهى إلى المزدلفة بعد الغروب وما يعمل بها .

(٥) أفعال المزدلفة

قال تعالى ﴿وَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أجمع العلماء على أن من بات بالمزدلفة ليلة النحر وجمع فيها بين المغرب والعشاء مع الإمام ووقف بعد صلاة الصبح إلى الإسفار بعد الوقوف بعرفة فإن حجه تام، وذلك أنها الصفة التي فعلها صلى الله عليه وسلم. واختلفوا هل الوقوف بها بعد صلاة الصبح والمبيت بها من سنن الحج أو من فروضه؟ فقال الأوزاعي وجماعة من التابعين : هو من فروض الحج ومن فاته كان عليه حج قابل والمهدي ، وفقهاء الأمصار يرون أنه ليس من فروض الحج ، وأن من فاته الوقوف بمزدلفة والمبيت بها فعليه دم وقال الشافعي : إن دفع منها بعد نصف الليل الأول ولم يصل بها فعليه دم، وقد أجمعوا على أنه لو وقف بالمزدلفة ولم يذكر الله فإن حجه تام، والمزدلفة وجمع اسمان لموضع بيت الحجاج به ويجمعون بين المغرب والعشاء في أول وقت العشاء ويغسلون بالصبح فيها .

(٦) رمى الجمار

الفعل الذي يل المبيت بمزدلفة والوقوف بها رمى الجمار وذلك أن المسلمين اتفقوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف بالمشعر الحرام وهو المزدلفة بعد ما صلى الفجر ثم دفع منها قبل طلوع الشمس إلى منى . وأنه في هذا اليوم وهو يوم النحر رمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ، وأجمع المسلمون أن من رماها في هذا اليوم في ذلك الوقت أعنى بعد طلوع الشمس إلى زوالها فقد رماها في وقتها ، وأجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرم يوم النحر من الجمرات غيرها ، واختلفوا فيمن رمى جمرة العقبة قبل طلوع الفجر فقال مالك : لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لأحد أن يرمى قبل طلوع الفجر ولا يجوز ذلك ، فإن رماها قبل الفجر أعادها وبه قال أبو حنيفة وسفيان وأحمد ، وقال الشافعي : لا بأس به وإن كان المستحب هو بعد طلوع الشمس ، وقد أجمع العلماء على أن الوقت المستحب لرمي جمرة العقبة

(١) المزدلفة .

هو من لدن طلوع الشمس إلى وقت الزوال وأنه إن رماها قبل غروب الشمس من يوم النحر أجزأه ولا شيء عليه إلا ما لك فإنه قال : آستحب له أن يريق دما، وآختلفوا فيمن لم يرمها حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد فقال مالك : عليه دم، وقال أبو حنيفة : إن رماها من الليل فلا شيء عليه وإن أخرها إلى الغد فعليه دم، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي : لا شيء عليه إن أخرها إلى الليل أو إلى الغد. وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى في حجته الجمرة يوم النحر ثم نحر بدنة ثم حلق رأسه ثم طاف طواف الإفاضة، وأجمع العلماء على أن هذا سنة الحج وآختلفوا فيمن قدم من هذه ما أخره النبي صلى الله عليه وسلم أو بالعكس فقال مالك : من حلق قبل أن يرمي جمره العقبة فعليه الغدية، وقال الشافعي وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه، وعبد مالك أن من حلق قبل أن يذبح فلا شيء عليه وكذلك إن ذبح قبل أن يرمي، وقال أبو حنيفة : إن حلق قبل أن ينحر أو يرمي فعليه دم، وإن كان قارنا فعليه دمان، وقال زفر : عليه ثلاثة دماء، دم للقران، ودمان للحلق قبل النحر وقبل الرمي، وأجمعوا على أن من نحر قبل أن يرمي فلا شيء عليه لأنه منصوص عليه .

ومن قديم الإفاضة على الرمي والحلق لزمه إعادة الطواف، وقال الشافعي : ومن تابعه لا إعادة عليه، وقال الأوزاعي : إذا طاف للإفاضة قبل أن يرمي جمره العقبة ثم واقع أهله أراق دما. واتفقوا على أن جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة يرمي منها في يوم النحر جمره العقبة بسبع، وإن رمى هذه الجمرة من حيث تيسر من العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها كل ذلك واسع والموضع المختار منها بطن الوادي .

وأجمعوا على أنه يعيد الرمي إذا لم تقع الحصاة في العقبة وأنه يرمي في كل يوم من أيام التشريق ثلاث جمار بواحد وعشرين حصاة كل جمره منها بسبع وأنه يجوز أن يرمي منها يومين وينفر في الثالث لقوله تعالى ﴿مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ .

وقدر الحصاة عندهم أن تكون في مثل حصي الخذف . والسنة عندهم في رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق أن يرمي الجمرة الأولى فيقف عندها ويدعو وكذلك

الثانية ويطيل المقام ثم يرمى الثالثة ولا يقف . وأجمعوا على أن من سنة رمى الجمار الثلاث في أيام التشريق أن يكون ذلك بعد الزوال . واختلفوا إذا رماها قبل الزوال في أيام التشريق فقال جمهور العلماء : يعيد رميها بعد الزوال ، وروى عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : رمى الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها . وأجمعوا على أن من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس عن آخرها فإنه لا يريها بعد . واختلفوا في الواجب من الكفارة فقال مالك : إن ترك رمى الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم وقال أبو حنيفة : إن ترك الجمار كلها كان عليه دم وإن ترك جمرة واحدة فصاعدا كان عليه لكل جمرة إطعام مسكين نصف صاع حنطة إلى أن يبلغ دما بترك الجميع إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم ، وقال الشافعي : عليه في الحصة مد من طعام وفي حصتين مئدان وفي ثلاث دم ، وقال الثوري مثله إلا أنه قال : في الرابعة الدم ، ورخصت طائفة من التابعين في الحصة الواحدة ولم يروا فيها شيئا ، وقال أهل الظاهر : لا شيء في ذلك والجمهور على أن جمرة العقبة ليست من أركان الحج ، وقال عبد الملك من أصحاب مالك : هي من أركان الحج .

فهذه جملة أفعال الحج من حين الإحرام إلى أن يحل ، والتحلل : تحللان تحلل أكبر وهو طواف الإفاضة وتحلل أصغر وهو رمى جمرة العقبة ، وسنذكر الفرق بين التحللين .

الجنس الثالث في الأحكام

(١) الإحصار

قال تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا بِرُءُوسِكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ﴾ جمهور العلماء : على أن المحصر عن الحج ضربان محصر بمرض ومحصر بعدو ، فالمحصر بالعدو اتفق الجمهور على أنه يحل من عمرته أو حجه حيث أحصر ، وقال الثوري والحسن بن صالح : لا يتحلل إلا في يوم النحر ، والذين قالوا : يتحلل حيث أحصر اختلفوا في إيجاب الهدى عليه وفي موضع نحره إذا قيل

بوجوبه وفي إعادة ما حصر عنه من حج أو عمرة، فذهب مالك إلى أنه لا يجب عليه هدى وأنه إن كان معه هدى نحره حيث حل، وذهب الشافعي إلى إيجاب الهدى عليه وبه قال أشهب، واشترط أبو حنيفة ذبحه في الحرم وقال الشافعي: حيثما حل وأما الإعادة فإن مالكا يرى عدم الإعادة عليه، وقال قوم: عليه الإعادة، وذهب أبو حنيفة إلى أنه إن كان أحرم بالحج فعليه حج وعمرة وإن كان قارنا فعليه حج وعمرتان وإن كان معتمرا قضى عمرته، وليس عليه عند أبي حنيفة ومحمد حاق أو تقصير، واختار أبو يوسف أن عليه ذلك.

وأما المحصر بمرض فإن مذهب الشافعي وأهل الحجاز أنه لا يحله إلا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وأنه بالجملة يتحلل بعمرة لأنه إذا فاته الحج بطول مرضه أنقلب عمرة وهو مذهب ابن عمر وعائشة وابن عباس، وخالف في ذلك أهل العراق فقالوا: يحل مكانه وحكمه حكم المحصر بعدد فيرسل هديه ويقدر يوم نحره ويحل في اليوم الثالث، والجمهور على أن المحصر بمرض عليه الهدى، وقال أبو ثور وداود: لا هدى عليه وأجمعوا على إيجاب القضاء عليه، وكل من فاته الحج بخطأ من العدد في الأيام أو بخفاء الهلال عليه أو بغير ذلك من الأعذار فحكمه حكم المحصر بمرض عند مالك، وقال أبو حنيفة: من فاته الحج بعذر غير المرض يحل بعمرة ولا هدى عليه وعليه إعادة الحج: والمكي المحصر بمرض عند مالك كغير المكي يحل بعمرة وعليه الهدى وإعادة الحج، وقال الزهري: لا بد أن يقف بعرفة وإن حمل حملا، وأصل مذهب مالك أن المحصر بمرض إن بقي على إحرامه إلى العام المقبل حتى يحج حجة القضاء فلا هدى عليه، فإن تحلل بعمرة فعليه هدى المحصر لأنه حلق رأسه قبل أن ينحر في حجة القضاء.

(٢) أحكام جزاء الصيد والنبات

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حَرَّمَ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَمْثَارَةً طَعَامٍ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ أي عقابه.

قتل الصيد حرام على المحرم ، وأختلف العلماء هل الواجب في قتله قيمته أو مثله ؟ فذهب الجمهور الى أن الواجب المثل ، وذهب أبو حنيفة الى أنه خير بين القيمة أعنى قيمة الصيد وبين أن يشتري بها المثل . وأختلفوا أيضا في استئناف الحكم على قاتل الصيد فيما حكم فيه السلف من الصحابة — مثل حكمهم أن من قتل نعامة فعليه بدنة تشبهها بها ، ومن قتل غزالا فعليه شاة ، ومن قتل بقرة وحشية فعليه إنسية — فقال مالك : يستأنف في كل ما وقع من ذلك الحكم به . وبه قال أبو حنيفة ، وقال الشافعي : إن أجترأ بحكم الصحابة مما حكموا فيه جاز . وأختلفوا هل الأجرية في الآية على الترتيب أو التخيير ، فقال مالك وأبو حنيفة بالتخيير ، وقال زفر بالترتيب . وأختلفوا هل يقوم الصيد أو المثل إن اختار الإطعام فيشتري بقيمته طعاما ، فقال مالك : يقوم الصيد وقال الشافعي : يقوم المثل ، ولم يختلفوا في تقدير الصيام بالطعام في الجملة وإن اختلفوا في التفصيل ، فقال مالك : يصوم لكل مد يوما وهو الذي يطعم عندهم كل مسكين ، وبه قال الشافعي وأهل الحجاز ، وقال أهل الكوفة : يصوم بكل مدين يوما وهو القدر الذي يطعم كل مسكين عندهم . وأختلفوا في قتل الصيد خطأ هل فيه جزاء أولا ؟ فالجمهور على أن فيه الجزاء وقال أهل الظاهر : لا جزاء عليه .

وأحسنوا في الجماعة يشتركون في قتل الصيد فقال مالك : على كل واحد منهم جزاء كامل وقال الشافعي : عليهم جزاء واحد ، وفرق أبو حنيفة بين المحرمين يقتلون الصيد وبين المحلين يقتلونه في الحرم فقال : على كل من المحرمين جزاء وعلى المحلين جزاء واحد .

وأختلفوا هل يكون أحد الحكمين قاتل الصيد ؟ فذهب مالك إلى أنه لا يجوز وقال الشافعي : يجوز وأختلف أصحاب أبي حنيفة على القولين جميعا .

وأختلفوا في موضع الإطعام فقال مالك : في الموضع الذي أصاب فيه الصيد إن كان ثم طعام وإلا ففى أقرب المواضع إليه ، وقال أبو حنيفة : حيثما أطعم جاز ، وقال الشافعي : لا يطعم إلا مساكين مكة .

وأجمع العلماء على أن المحرم اذا قتل الصيد عليه الجزاء ، وأختلفوا في الحلال يفتل الصيد في الحرم فقال جمهور فقهاء الأمصار : عليه الجزاء ، وقال داود وأصحابه : لا جزاء عليه ، ولم يختلف المسلمون في تحريم قتل الصيد في الحرم وإنما اختلفوا في الكفارة .

وجمهور فقهاء الأمصار على أن المحرم إذا قتل الصيد وأكله فإنه ليس عليه إلا كفارة واحدة ، وروى عن عطاء وطائفة : ان فيه كفارتين . وهذه مشهورات المسائل المتعلقة بالصيد .

وآتفق العلماء على أن صيد البر محترم على المحرم إلا الفواسق الخمس المنصوص عليها في حديث ابن عمر وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نحس من الدواب ليس على المحرم جناح في قتلهن ، الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور ، والجمهور على إباحة قتل هذه الدواب وكذلك آتفقوا على أن صيد البحر حلال كله للمحرم وإن اختلفوا في تفسيره كما اختلفوا فيما يلحق بالفواسق مما لا يلحق بها فقال مالك : الكلب العقور إشارة إلى كل سبع عاد فأما ما ليس بعاد من السباع فليس للمحرم قتله ، ولم ير قتل صغارها التي لا تعدو ولا ما كان منها أيضا لا يعدو ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل من الكلاب العقورة إلا الكلب الإنسي والذئب ، وقال الشافعي : كل محرم الأكل فهو في معنى الخمس ، ولا خلاف بينهم في قتل الحية والأفعى والأسود وقال مالك : لا أرى قتل الوزغ ، والأخبار بقتلها متواترة لكن مطلقا لا في الحرم ، وأختلفوا في الزنبر فآلحقه بعضهم بالعقرب وبعضهم رأى أنه أضعف نكايته من العقرب .

وآتفق العلماء على أن السمك من صيد البحر وأختلفوا في غير السمك بناء منهم على أن ما يحتاج منه إلى زكاة ليس من صيد البحر وأكثر من ذلك ما كان محرما لا يعتبر من صيد البحر ، ولا خلاف بين من يحل جميع ما في البحر في أن صيده حلال . وأختلفوا فيما يعيش في البر والبحر معا ، وقياس قول أكثر العلماء أنه يلحق

بالذى عيشه فيه غالبا وهو حيث يولد . والجمهور على أن طير الماء محكوم له بحكم حيوان البر ، وروى عن عطاء أنه قال في طير الماء : حيث يكون أغلب عيشه يحكم له بحكمه .

وآختلف العلماء في نبات الحرم هل فيه جراء أم لا ؟ فقال مالك : لا جراء فيه وإنما فيه الإثم فقط . وقال الشافعي : فيه الجراء في الدوحة (الشجرة العظيمة) بقررة وفيها دونها شاة وقال أبو حنيفة : كل ما كان من غرس الإنسان فلا شيء فيه وكل ما كان نابتا بطبعه ففيه قيمته ، والأصل في هذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث : « وَلَا يُعَصَّدُ شَجَرُهَا وَلَا يَنْتَمَرُ صَيْدُهَا » .

(٣) حكم إتيان المحظورات في الإحرام

أجمع العلماء على أن فدية الأذى المذكورة في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ واجبة على كل من أطاق الأذى من ضرورة ، وألحق به مالك من أطاقه من غير ضرورة ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : إن حلق من غير ضرورة فإنما عليه دم فقط ، والمتعمد والناسي في وجوب الفدية سواء عند مالك وأبي حنيفة والثوري والليث ، وقال الشافعي في أحد قولي ، وأهل الظاهر : لا فدية على الناسي .

وأجمع العلماء على أن فدية الأذى ثلاث خصال على التخيير الصيام والإطعام والنسك ، والجمهور على أن الإطعام لستة مساكين ، والصيام ثلاثة أيام ، والنسك أقله شاة ، وروى عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا : الإطعام لعشرة مساكين ، والصيام عشرة أيام ، وقد اختلف الفقهاء فيما يطعمه لكل مسكين فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم : الإطعام في ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسكين ، وروى عن الثوري أنه قال : من البر نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير صاع ، وروى أيضا عن أبي حنيفة مثله وهو أصله في الكفارات .

والجمهور على أن كل ما منعه المحرم من لبس الثياب المخططة وحلق الرأس وقص الأظفار أنه إذا استباحه فعليه الفدية دم على اختلاف بينهم في ذلك أو إطعام ولم يفرقوا بين الضرر وغيره في هذه الأشياء وكذلك استعمال الطيب وقال قوم: ليس في قص الأظفار شيء وقال آخرون: فيه دم، وحكى ابن المنذر الإجماع على منع المحرم من قص الأظفار. واختلفوا فيمن أخذ بعض أظفاره، فقال الشافعي وأبو ثور: إن أخذ ظفرا واحدا أطعم مسكينا واحدا وإن اثنين فائتين وإن ثلاثة فعليه دم في مقام واحد، وقال أبو حنيفة في أحد أقواله: لا شيء عليه حتى يقصها كلها، وقال أبو محمد ابن حزم: يقص المحرم أظفاره وشاربه وهو شذوذ وقال: لا فدية إلا في حلق الرأس للعذر الذي ورد فيه النص. وقد أجمع العلماء على منع حلق شعر الرأس، واختلفوا في حلق الشعر من سائر الجسد، فالجمهور على أن فيه الفدية وقال داود: لا فدية عليه. واختلفوا فيمن نتف من رأسه الشعرة والشعرتين أو من لحمه فقال مالك: ليس على من نتف الشعر اليسير شيء إلا أن يكون أماط به أذى فعليه الفدية وقال الحسن: في الشعرة مد وفي الشعرتين مدان وفي الثلاث دم، وبه قال الشافعي وأبو ثور، وقال عبد الملك صاحب مالك: فيما قل من الشعر إطعام وفيما كثر فدية.

وآختلفوا في موضع الفدية فقال مالك: يفعل من ذلك ما شاء أين شاء بمكة وبغيرها وإن شاء ببلده لا فرق في ذلك بين الإطعام وذبح النسك والصيام وهو قول مجاهد، والذي عند مالك هاهنا هو نسك وليس بهدي، فإن الهدى لا يكون إلا بمكة أو بمكة، وقال أبو حنيفة والشافعي: الدم والإطعام لا يجزيان إلا بمكة، والصوم حيث شاء وقال ابن عباس: ما كان من دم فبمكة وما كان من إطعام وصيام فحيث شاء وعن أبي حنيفة مثله.

واختلف العلماء في حلق الرأس هل هو نسك من مناسك الحج أو هو مما يتحلل به منه؟ ولا خلاف بين الجمهور في أنه من أعمال الحج وأنه أفضل من التقصير إلا للنساء فستتمن التقصير، ومعظم الفقهاء على أنه نسك في الحج والعمرة وأنه واجب على

كل من فاته الحج وأحصر بعدو أو مرض، وقال أبو حنيفة : لا حلق ولا تقصير على المحصر بعدو، وبالجملة فمن آتى الحلق أو التقصير نسكا (عبادة) أوجب في تركه الدم ومن لم يجعله نسكا لم يوجب فيه شيئا .

(٤) كفارة المتمتع

نص الله سبحانه عليها في قوله ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَاَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وجهور العلماء على أن ما استيسر من الهدى شاة، وذهب ابن عمر إلى أن الهدى لا يطلق إلا على الإبل والبقر، وأن معنى قوله تعالى فما استيسر من الهدى أى بقرة أدون من بقرة وبدنة أدون من بدنة، وأجمعوا على أن هذه الكفارة على الترتيب وإن لم يجد الهدى فعليه الصيام . واختلفوا في حد الزمان الذى ينتقل بآتقضائه فرضه من الهدى إلى الصيام فقال مالك : إذا شرع في الصوم فقد آتقل واجبه إليه ، وقال أبو حنيفة : إن من وجد الهدى في أثناء صوم الثلاثة الأيام لزمه وإن وجده في صوم السبعة لم يلزمه ، وأجمعوا على أنه إذا صام الثلاثة الأيام في العشر الأول من ذى الحجة أنه قد آتى بها في محلها لقوله سبحانه ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ واختلفوا فيمن صامها في أيام عمل العمرة قبل أن يهل بالحج أو صامها في أيام منى ؟ فأجاز مالك صيامها في أيام منى ومنعه أبو حنيفة فقال : إذا فاته الأيام الأول وجب الهدى في ذمته ، ومنعه مالك قبل الشروع في عمل الحج وأجازه أبو حنيفة ، وآتفقوا على أنه إذا صام السبعة الأيام في أهله أجزأه ، واختلفوا إذا صامها في الطريق ، فقال مالك : يجزئ الصوم وقال الشافعى : لا يجزئ .

(٥) مفسدات الحج ومفواته

ولا خلاف أن من فاته الحج بعد أن شرع فيه إما بفوات ركن من أركانه وإما من قبل غلظه في الزمان أو من قبل جهله أو نسيانه أو إتيانه في الحج فعلا مفسدا له فإن عليه القضاء إذا كان حجا واجبا وهل عليه هدى مع القضاء؟ الجمهور : على وجوب الهدى عليه ، واختلفوا أيضا هل يقضى الحج التطوع أو لا .

ومما يخص الحج الفاسد عند الجمهور دون سائر العبادات أنه يعضى فيه المفسد له ولا يقطعه وعليه دم، وشذ قوم فقالوا : هو كسائر العبادات .

وأتفقوا على أن الحج يفسد بترك أركانه التي هي شرط في صحته على اختلافهم فيما هو ركن مما ليس بركن، وكذلك يفسده الجماع باتفاق إن كان قبل الوقوف بعرفة أو قبل الطواف والسعي بالنسبة للعمرة، واختلفوا في فساد الحج بالطوء بعد الوقوف بعرفة وقبل رمى جمرة العقبة وبعده رمى الجمرة وقبل طواف الإفاضة الذي هو الواجب فقال مالك والشافعي : يفسده الطوء قبل رمى جمرة العقبة وعليه الهدى والقضاء . وقال أبو حنيفة والثوري : عليه الهدى بدنة وحجه تام وروى مثله عن مالك والجمهور على أن من وطئ بعد رمى جمرة العقبة وقبل الطواف لا يفسد حجه ويلزمه الهدى . وقالت طائفة : فسد حجه وهو فول أبى عمر . واختلفوا في صفة الجماع الذي يفسد الحج وفي مقدماته ، فالجمهور على أن التقاء الختانين يفسد الحج ويحتمل من يشترط في وجوب الطهر الإنزال مع التقاء الختانين أن يشترطه في الحج ، واختلفوا في إنزال الماء فيما دون الفرج فقال أبو حنيفة : لا يفسد الحج ، وقال الشافعي : ما أوجب الحد أفسد الحج ، وقال مالك : الإنزال نفسه يفسد الحج وكذلك مقدماته من المباشرة والقبلة ، وأستحب الشافعي فيمن جامع دون الفرج أن يهدى . واختلفوا فيمن وطئ مرارا فقال مالك : ليس عليه إلا هدى واحد وقال أبو حنيفة : إن كرر الطوء في مجلس واحد كان عليه هدى واحد وإن كرره في مجالس كان عليه لكل طوء هدى ، وقال محمد بن الحسن يحزیه هدى واحد وإن كرر الطوء ما لم يهد لوطئه الأول ، وعن الشافعي الثلاثة الأقوال إلا أن الأشهر عنه مثل قول مالك ، وسوى مالك بين الطوء عمدا ونسيانا ، وقال الشافعي في الجديده : لا كفارة على الناس . واختلفوا هل على المرأة هدى ؟ فقال مالك : إن طأعته فعليها هدى وإن أكرهها فعليه هديان ، وقال الشافعي : ليس عليه إلا هدى واحد كقوله في الجامع في رمضان ، وجمهور العلماء : على أنهما إذا حجا من قابل تفرقا أى الرجل والمرأة ، وقيل : لا يفرقان وهو مروى عن بعض الصحابة والتابعين وبه قال أبو حنيفة وفى أى الأماكن يفرقان ؟ قال الشافعي :

يفترقان من حيث أفسدا الحج، وقال مالك: يفترقان من حيث أحراما إلا أن يكونا أحراما قبل الميقات . ولا خلاف بين العلماء أن التحلل الأصغر الذى هو رمى الجمرة يوم النحر - يحل به الحاج من كل شئ حرم عليه إلا النساء والطيب والصيد فإنهم اختلفوا فى ذلك، أما التحلل الأكبر بطواف الإفاضة فانه يحل للحاج كل ما حرم عليه بالاتفاق . واتفقوا أيضا على أن المعتمر يحل من عمرته إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وإن لم يكن حلق ولا قصر لثبوت الآثار بذلك إلا خلافا شاذا، روى عن ابن عباس أنه يحل بالطواف وقال أبو حنيفة : لا يحل إلا بعد الحلق، فإن جامع قبله فسدت عمرته .

وآختلف العلماء فى الهدى الواجب بالجماع فقال مالك وأبو حنيفة: شاة، وقال الشافعى: بدنة، وإن لم يجدها قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما، فإن لم يجده صام عن كل مديوما، قال: والإطعام والهدى لا يجزى إلا بمكة أو بنى والصوم حيث شاء وقال مالك: كل نقص دخل فى الإحرام من وطء أو حلق شعر أو إحصار فإن صاحبه إن لم يجده الهدى صام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع ولا يدخل الإطعام فيه، فألك شه الدم اللازم هنا بدم التمتع، والشافعى شبهه بالدم الواجب فى الفدية، والإطعام عند مالك لا يكون إلا فى كفارة الصيد وكفارة إزالة الأذى .

يفوت وقت الحج بفوات الوقوف بعرفة يوم عرفة وأجمعوا أن من هذه صفته لا يخرج من إحرامه إلا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة أعنى أنه يحل ولا بد من عمرة وجمع من قابل، واختلفوا هل عليه هدى أو لا ؟ فقال مالك والشافعى وأحمد والثورى وأبو ثور: عليه الهدى، وقال أبو حنيفة: لا هدى عليه، واختلف العلماء فى القارن إذا فاته الحج هل يقضى حجاً مفرداً أو مقروناً بعمرة؟ فذهب مالك والشافعى إلى أنه يقضى قارناً وقال أبو حنيفة: ليس عليه إلا الأفراد . وجمهور العلماء: على أن من فاته الحج لا يقيم على إحرامه ذلك إلى عام آخر، وهذا هو الاختيار عند مالك إلا أنه أجاز ذلك ليسقط عنه الهدى ولا يحتاج إلى التحلل بعمرة .

(٦) الكفارات المسكوت عنها

اتفق الجمهور على أن أعمال الحج أقسام ثلاثة : فرض لا يجب بتركه دم ، وسنة مؤكدة يجب بتركها الدم ، ونفل مرغّب فيه لا يجب بتركه دم ولا شيء آخر ؛ وكذلك اتفقوا على أن ما كان من التروك مسنونا ففي فعله فدية الأذى ، وما كان مرغبا فيه فليس في تركه شيء ، ولكن اختلفوا فيما يعتبر فرضا أو سنة أو يعتبر سنة أو نفلا ، وأهل الظاهر لا يوجبون دما أو فدية إلا فيما ورد فيه النص إذ لا قياس عندهم خصوصا في العبادات .

وها نحن أولاء نذكر لك أفعال الحج ومحظوراته واحدا واحدا ونبين ما فيه دم أولا : (١) مجاوزة الميقات من غير إحرام قال قوم : لا دم عليه وقال قوم : عليه الدم وإن رجع وهو قول مالك وآبن المبارك ، وروى عن الثوري . وقال قوم : إن رجع إليه فليس عليه دم وإن لم يرجع فعليه دم وهو قول الشافعي وأبي يوسف ومحمد ، ومشهور قول الثوري . وقال أبو حنيفة : إن رجع مليا فلا دم عليه وإن رجع غير ملب كان عليه الدم ، وقال قوم : هو فرض ولا يجره الدم ؛ (٢) غسل الرأس بالخطمي قال مالك وأبو حنيفة : من فعله بفندي ، وقال الثوري وغيره : لا شيء عليه ؛ (٣) دخول الحمام رأى فيه مالك الفدية والأكثر على الإباحة ؛ (٤) لبس ما نهى عن لباسه ، فيه الفدية على قول الجمهور . واختلفوا فيمن لبس السراويل لعدم الإزار ، فقال مالك وأبو حنيفة : يفتدى ، وقال الثوري وأحمد وأبو ثور ودادود : لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا . واختلفوا فيمن لبس الخفين مقطوعين مع وجود التعلين فقال مالك : عليه الفدية ، وقال أبو حنيفة : لا فدية عليه والقولان عن الشافعي . واختلفوا في لبس المرأة القفازين (لباس اليدن) «الجوانتي» هل فيه فدية أولا ؟ وقد تقدم كثير من هذه الأحكام في باب الإحرام ؛ (٥) ترك التلبية ، قيل : فيه دم ، وقيل لا : وقد تقدم ؛ (٦) نكس الطواف أو نسيان شوط من أشواطه ، يعيد الطواف من فعل ذلك باتفاق ما دام يمكنه . واختلفوا إذا بلغ إلى أهله فقال

قوم منهم أبو حنيفة : يحزیه الدم ، وقال قوم : بل يعيد ويحجر ما نقصه ؛ (٧) ترك الرمل في الثلاثة الأشواط لا يحجر بالدم على قول ابن عباس والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وأبي ثور ، وأختلف في ذلك قول مالك وأصحابه ؛ (٨) تقبيل الحجر أو يديه بعد وضعهما عليه في ترك ذلك دم ؛ (٩) نسيان ركعتي الطواف حتى يرجع الشخص إلى أهله فيه دم عند مالك ، وقال الثوري : يركعهما ما دام في الحرم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : يركعهما حيث شاء ؛ (١٠) طواف الوداع ، لا يحجر بدم عند من يرى أنه فرض ومن لا يراه فرضاً ، اختلفوا فيمن تركه ولم يتمكن له العودة إليه ، فقال مالك : ليس عليه شيء إلا أن يكون قريباً فيعود ، وقال أبو حنيفة والثوري : فيه دم إن لم يعد وإنما يرجع عندهم ما لم يبلغ المواقيت ؛ (١١) عدم إدخال الحجر في الطواف فيه دم إلا إذا أعاده قبل أن يخرج من مكة وهذا عند أبي حنيفة ؛ (١٢) المشي في الطواف مع القدرة عليه ، قال مالك : هو من شرط الطواف كالقيام في الصلاة فإن عجز كان كصلاة القاعد ويعيد عنده إلا إذا رجع إلى بلده فإن عليه دماً . وقال الشافعي : الركوب في الطواف جائز ؛ (١٣) ترك السعي فيه دم إذا أنصرف إلى بلده وهو عند من لا يراه واجباً ، ومن رآه تطوعاً لم يوجب فيه شيئاً ؛ (١٤) تقديم السعي على الطواف إذا لم يعده حتى يخرج من مكة فيه دم عند بعضهم ؛ (١٥) الدفع من عرفة قبل الغروب فيه دم عند أبي حنيفة والثوري عاد أو لم يعد ، وقال الشافعي وأحمد : لا شيء عليه إذا عاد ودفع بعد الغروب ؛ (١٦) الوقوف بعرفة من عرفة فيه دم عند مالك ، والشافعي يرى أن لا حج له . وتقدم مثل ذلك كثير .

القول في الهدى

النظر في الهدى يشتمل : (١) على معرفة حكمه ؛ (٢) وعلى معرفة جنسه ؛ (٣) وعلى معرفة سنه ؛ (٤) وكيفية سوقه ؛ (٥) ومن أين يساق ؛ (٦) وإلى أين يساق وهو موضع نحره ؛ (٧) وحكم لحمه بعد النحر .

(١) حكم الهدى — الهدى المسوق في الحج منه واجب ومنه تطوع ، والواجب منه ما هو واجب بالنذر ومنه ما هو واجب في بعض أنواع هذه العبادة

ومنه ما هو واجب لأنه كفارة ، فالواجب في بعض أنواع هذه العبادة هو هدى المتمتع باتفاق وهدى القارن باختلاف ، وأما الذى هو كفارة فهدى القضاء على مذهب من يشترط فيه الهدى وهدى كفارة الصيد ، وهدى القاء الأذى والتفتت وما أشبه ذلك من الهدى المقيس على المنصوص كما قدمنا .

(٢) جنس الهدى — اتفق العلماء على أن الهدى لا يكون إلا من الأزواج الثمانية التى نص الله عليها وأن الأفضل فى الهدايا الإبل ثم البقر ثم الغنم ثم المعز .

(٣) سنّ الهدى — أجمعوا على أن الثنى^(١) فما فوقه يحزى منها وأنه لا يحزى الجذع^(٢) من المعز فى الضحايا والهدايا ، واختلفوا فى الجذع من الضأن فأكثر أهل العلم يقولون بجوازه فى الهدايا والضحايا ، وكان ابن عمر يقول : لا يحزى فى الهدايا إلا الثنى من كل جنس ، ولا خلاف فى أن الأغلى ثمنًا من الهدايا أفضل وليس فى عدد الهدى حد معلوم ، وكان هدى رسول الله صلى عليه وسلم مائة .

(٤) كيفية سوق الهدى — يساق الهدى مقلدا مشعرا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هداه بذى الحليفة وأشعره وأحرم وتقلد الإبل والبقر بنعل أو نعلين أو غيرهما إذا لم يجد وهذا باتفاق ، أما الغنم فلا تقلد عند مالك وأبى حنيفة وتقلد عند الشافعى وأحمد وداود وأبى ثور ، ويستحب توجيه الهدى الى القبلة حين توجيهه ، ومالك يستحب فى الإشعار طعن الهدى فى سنامه حتى يسيل منه الدم وأن يكون من الجانب الأيسر ، والشافعى وأحمد وأبو ثور يستحبونه من الجانب الأيمن .

(٥) من أين يساق الهدى — يرى مالك أن السنة فى الهدى أن يساق من الحل ولذلك ذهب الى أن من اشترى الهدى بمكة ولم يدخله من الحل عليه أن

(١) الثنى من الإبل : ما دخل فى السنة السادسة ومن البقر والغنم ما دخل فى الثالثة وعلى مذهب أحمد هو من المعز ما دخل فى الثانية .

(٢) الجذع : من أسنان الدواب ما كان شابا فنيا وهو من الإبل ما دخل فى السنة الخامسة ، ومن البقر والمعز ما دخل فى السنة الثانية وقيل : من البقر ما دخل فى الثالثة ، ومن الضأن ما تمت له سنة وقيل : أقل منها .

يقفه بعرفة وإن لم يفعل فعليه البدل ، وأما من أدخله من الحل فيستحب له أن يقفه بعرفة وهو قول ابن عمر وبه قال الليث ، وقال الشافعي والثوري وأبو ثور : وقوف الهدى بعرفة سنة سواء أدخل من الحل أم لا ، ولا حرج على من لم يقفه ، وقال أبو حنيفة : توقيف الهدى بعرفة ليس بسنة .

(٦) منحر الهدى — محله أى الموضع الذى يحل نحره فيه — البيت . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ مَحَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ هَدْيًا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ وأجمع العلماء على أن الكعبة لا يجوز لأحد أن يذبح فيها وكذلك المسجد الحرام ، وقال مالك : المراد بالكعبة فى الآية مكة ولهذا لم يجوز لمن نحر هديه فى الحرم إلا أن ينحر بمكة ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : إن نحره فى غير مكة من الحرم أجزأه ، وقال الطبري : يجوز نحر الهدى حيث شاء إلا هدى القران وجزاء الصيد فانهما لا ينحران إلا بالحرم ، وبالجملة فالنحر بمنى إجماع من العلماء وفى العمرة بمكة إلا ما اختلفوا فيه من نحر المحصر ، وعند مالك إن نحر للحج بمكة وللعمرة بمنى أجزأه ، وحجة مالك أنه لا يجوز النحر بالحرم إلا بمكة قوله صلى الله عليه وسلم « كل فجحاج مكة طريق ومينح » وآستثنى مالك من ذلك هدى الفدية فأجاز نحره بغير مكة . هذا مكانه وأما زمانه فقال مالك : إن ذبح هدى التمتع أو التطوع قبل يوم النحر لم يحزه ، وقال الشافعي : يجوز فى كليهما قبل يوم النحر ، وجوزاه أبو حنيفة فى التطوع والجمهور على أن الصيام المعدول به عن الهدى يجوز حيث شاء لأنه لا منفعة فى ذلك لأهل الحرم ولا لأهل مكة وإنما اختلفوا فى الصدقة المعدولة عن الهدى ، فجمهور العلماء : على أنها لمساكين مكة والحرم لأنها بدل من جزاء الصيد الذى هو لأهل الحرم ، وقال مالك : الإطعام كالصيام يجوز بغير مكة .

وتستحب فى النحر التسمية لأنها ذكاة وأستحب بعضهم التكبير معها ، ويستحب للهدى أن يلى نحر هديه بيده وإن آستخلف جاز ويسن أن تنحر قياما .

(٧) الانتفاع بالهدى — في ذلك مسائل مشهورة : (١) ركوب الهدى ، فذهب أهل الظاهر إلى جوازه لضرورة ومن غير ضرورة بل أوجب بعضهم ركوبه وكرد جمهور فقهاء الأمصار ركوبه من غير ضرورة ؛ (٢) أكل لحمه ، أجمع العلماء على أن هدى التطوع إذا بلغ محله أكل منه المتطوع كسائر الناس وإذا عطب قبل ذلك حلى بينه وبين الناس ولم يأكل منه ، بل قال أبو داود وأبو ثور : لا يأكل منه رفقته أيضا ، واختلفوا في الواجب على من أكل منه فقال مالك : عليه بدل الهدى وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد والثوري وأبن حبيب من أصحاب مالك : عليه قيمة ما أكل أو أمر بأكله طعاما يتصدق به ، وروى عن علي وأبن عباس وأبن مسعود وجماعة من التابعين . وما عطب في الحرم قبل أن يصل إلى مكة هل بلغ محله أولا ؟ فيه الخلاف وهو مبني على الخلاف المتقدم هل المحل هو مكة أو الحرم ؟ وأما الهدى الواجب فإن عطب قبل محله فلصاحبه أن يأكل منه لأن عليه بدله ، بل أجاز بعضهم أن يبيع لحمه ليستعين به في بدله — وكرد مالك ذلك — واختلفوا في الأكل من الهدى الواجب إذا بلغ محله فقال الشافعي : لا يؤكل من الهدى الواجب كله ولحمه كله للساكين وكذلك جله إن كان مجللا والنعل الذي قلده وقال مالك : يؤكل من الهدى الواجب جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى . وقال أبو حنيفة لا يؤكل من الهدى الواجب إلا هدى المنعة والقران .



وإلى هنا تم ما قصدنا من أحكام الحج في المذاهب وأختصرنا ذلك من بداية المجتهد كما أعلمناك سابقا .

جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنيفة	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنابلة
الحج	وَصْ فَوْراً ^(١)	وَصْ تَرَاخِيَا	فَرَسْ فَوْراً	وَرِصْ فَوْراً
العمرة	سِتَّةً مُؤَكَّدَةً	»	سِتَّةً مُؤَكَّدَةً	»
الإحرام بالحج أى نيته	نَرِصْ وَرَكِي ^(٢)	رَكِي	رَكِي	رَكِي
» بالعمرة أى نيته	تَرِطْ وَفِي رَكِي	»	»	»
قرن الإحرام بالتلبية	سِتَّةً ^(٣)	سِتَّةً	سِتَّةً وَقِيلَ وَاحِدٌ	سِتَّةً
الإحرام من الميقات	وَاحِدٌ ^(٤)	وَاحِدٌ	وَاجِبٌ	وَاحِدٌ
العسل للإحرام	سِتَّةً	سِتَّةً	سِتَّةً	مَسْتَحَبٌ
التطيب للإحرام	»	»	مَكْرُوهٌ	»
التلبية	»	»	وَاجِبَةٌ	سِتَّةً
طواف القدوم	»	»	وَاجِبٌ	»
فيه الطواف	شَرْطٌ	شَرْطٌ ^(٥)	»	شَرْطٌ
بده الطواف من الحجر الأسود	وَاحِدٌ	»	»	»
جعل البيت عن يسار الطائف	»	»	شَرْطٌ	»
المتبى في الطواف لقادر عليه	»	سِتَّةً	وَاجِبٌ	»
الظهارة من الحدين في الطواف	»	شَرْطٌ	شَرْطٌ	»
ظهاره البدن والنوب والمكان في الضواف	سِتَّةً	»	»	»
كون الطواف من وراء الحجر	وَاجِبٌ	»	»	»
» » في المسجد	»	»	»	»
» » سبعة أشواط	وَاجِبٌ ^(٦)	»	»	»

(١) عند محمد على الترانى . (٢) أى شرط ابتداء حيث يصح حصوله قبل أشهر الحج . وركن آنتها . حيث لا يصح استدامته بعد أشهر الحج ليصح به من قابل . والفرق بين الشرط والركن أن الشرط خارج عن الشيء والركن جزء منه وكل منهما لا بد منه لصحة الشيء . (٣) السنة لا يلزم تركها شيئاً ولكن يعوت الثواب . (٤) يلزم بتركه دم . (٥) في الوداع والتطوع فقط . (٦) الأربعة الأشواط الأولى ركن والثلاثة الأخيرة واجبة في طواف الزيارة سنة في الطواف الواجب .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنيفة	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
اموية بين أشواط الطواف	سنة	سنة	واجب	شروط
ساعة في الطواف	واجب ^(١)	شروط	شروط	»
ركعة خواف	واجب	سنة وقيل واجب	واجب ^(٢)	سنة
احياء للعمرة	ركن	ركن	ركن	ركن
السعي بين الصفا والمروة في الحج أو العمرة	واجب	»	»	»
وموقع سعي بعد طواف	»	شروط	واجب	شروط
سعي	»	»	شروط	»
بداء سعي بالصفا وحتمه بالمروة	»	»	»	»
السعي مع القدرة	»	سنة	واجب	»
كون سعي سبعة أشواط	»	شروط	شروط	»
اموالاة بين أشواط السعي	سنة	سنة	واجب	»
» » السعي والطواف	»	»	»	سنة
الحق أو التقصير في العمرة	واجب	واجب	»	واجب
السعي بين ليلة عرفة	»	سنة	»	مستحب
وقيوف بعرفة	ركن	ركن	ركن	ركن
وقت وقوف بعرفة	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر
وقوف إلى ما بعد الغروب إن وقف نهارا	واجب	واجب وقيل سنة	ركن	واجب
الندب من عرفة مع الإمام أو نائبه	»	سنة	واجب	سنة
الخروج بمزدلفة بين صلاتي المغرب والعشاء	»	»	سنة	»
السعي بمزدلفة ^(٣)	»	واجب	واجب	واجب

- (١) ولكن يعادان ولا يجبران بالدم . (٢) ويجب فيها عند المالكية أن يكونا بوضوء الطواف كما يجب أن لا يصليا بالحجر أو الكعبة وأن لا يفصل بينهما وبين الطواف فاصل طويل .
- (٣) ولكن يكفي في تحصيل الواجب انكث لطفة في النصف الثاني من الليل عند الشافعي ولطفة بعد اندجر عند أبي حنيفة ومقدار حط الرجال وصلاة العشاءين وتناول شيء من الطعام والشراب عند مالك .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

معمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الوقوف بمزدلفة « المشعر الحرام » في وقته ^(١)	واجب	واجب	سنة أو مستحب	واجب
رمي جمرة العقبة يوم النحر ^(٢)	»	»	واجب	»
الحلق أو التقصير في الحج	»	ركن	»	»
الترتيب بين الرمي والحلق	»	سنة	سنة	سنة
كون الحلق في الحرم وأيام النحر	»	»	»	»
طواف الإفاضة	ركن أكثره	ركن	ركن	ركن
كونه في أيام النحر	واجب	»	واجب (في ذي الحجة)	سنة يوم العيد
تأخير صواف الإفاضة عن الرمي	سنة	سنة	واجب	سنة
رمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق	واجب	واجب	»	واجب
عدم تحريم الرمي في الليل	سنة	سنة	»	سنة
المبيت بنى ليالى يوم التشريق ^(٣)	»	واجب	»	واجب
طواف وداع	واح	»	مستحب	»

حكم المناسك وأسرارها

نذكر تحت هذا العنوان كلمة ممتعة للسيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء وهي القسم الأخير من رسالته في مناسك الحج، قال أحسن الله إليه تحت هذا العنوان: يظن كثير من الناس الذين لا يعرفون كنهه هذا الدين القويم من غير أهله ومن

(١) وقته من طلوع الفجر الى شروق الشمس . (٢) وقتها المستحب من طلوع الشمس الى الزوال ولا يجوز رميها قبل الفجر خلافا للشافعي ويجوز رميها الى غروب شمس يوم النحر فان رماها بالليل وجب عليه دم عند مالك وإن أخرها الى الغد عليه دم عند مالك وأبي حنيفة . (٣) وذلك في يومين فقط إن تعجل وفي ثلاثة لغيره .

المنسويين إليه على سبيل الجنسية لا التدين أن بعض مناسك الحج من العبادات الوثنية وأن الاسلام أقرها تأنيسا لمشركي العرب، وقد سئلنا عن ذلك سؤالاً مطوّلاً نشر في باب الفتوى من المجلد السادس عشر، فنذكر هنا ملخص ما أجبنا به من حكم الحج وأسراره وأولاً ضيق الوقت لزدنا عليه وهو :

حكمة استلام الحجر الأسود — من عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لا يعبدون الحجر الأسود ولا الكعبة، ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ما شرعه فيهما . بل كان من تكريم الله تعالى لبيته أن صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والكافرين الذين كانوا يعظمونه قبل الإسلام عن عبادته ، وقد وضعوا فيه الأصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه ، ذلك أن عبادة الشيء عبارة عن دعائه وكل قول أو عمل مبني على اعتقاد أن له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه، والخوف من ضرره لمن لا يعبده أو لمن يقصر في تعظيمه ، سواء أكانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أم كانت غير ذاتية له بأن يعتقد أنه واسطة بين من لجأ إليه وبين المعبود الذي له السلطة الذاتية . ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الأسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا بسلطة تقرب من يعبده ويلجأ إليه إلى الله تعالى ، ولا كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك وتقول في الحجر كما تقول في أصنامها : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ﴿ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ وإنما عقيدة المسلمين في الحجر هي ما صرح به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تقييله ؛ قال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع وأولاً أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك — رواه الجماعة كلهم — أحمد والشيخان وأصحاب السنن . وقد بينا في النار من قبل أن هذا القول روى أيضاً عن أبي بكر رضي الله عنه وروى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن أثر عمر كان العمدة في هذا الباب للاتفاق على صحة سنده . قال الطبري : إنما قال عمر ذلك (أى مع أنه معلوم من الدين بالضرورة) لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فغشى أن

يظن الجهال أن آستلام الحجر الأسود من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، فأراد أن يعلم الناس أن آستلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته اهـ .

بقى أن يقال : إذا كان هذا الحجر لا ينفع ولا يضر — كما قال عمر في الموسم تعليلا للناس وأقره جميع الصحابة عليه — وكان آستلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتبع في سائر العبادات ، فما حكمة جعل ما ذكر من العبادة؟ وهل يصح ما قيل : من أن النبي صلى الله عليه وسلم تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفا للمشركين وآستمالة لهم إلى التوحيد؟ والجواب أن الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين ، وإنما هو من وضع إمام الموحدين إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدءا للطواف بالكعبة يعرف بمجزة النظر إليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون ، وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتا لله تعالى وإن كانت مبنية بالحجارة فالعبادة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الآتتال لأمر الشارع واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وإن قال به بتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الأمور التعبدية . وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، وأشد الناس عناية به الإفرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاخين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئا منها ، فلماذا نهتم بكل ما يلفظ به كل قسيس أو سياسي يريد تنفير المسلمين من دينهم إذا مؤه علينا في شأن تعظيم الحجر الأسود فزعم أنه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم إمام موحد داع إلى الله من النبيين المرسلين الذين عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي أجمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى؟

بقى من حكمة آستلام الحجر وتقبيله ما أعتمده الصوفية فيها أخذاً مما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة كحديث ابن عباس « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » رواه الطبراني ، فقالوا : وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكأن الحجر يمين الله تعالى ، ومستلمه مبايع له على توحيده والإخلاص له واتباع دينه الحق ، والأعمال الرمزية معروفة في جميع الأديان الإلهية . وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال إن الحجر يمين الله في الأرض يصاغ بها عبادته — ومعاذ الله أن تكون لله جارحة — وإنما شرع تقبيله اختباراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم اه . وليس مراد من قال إنه يمين الله أن لله جارحة ، وإنما أراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه . فإن صح وجب قبوله ومعناه ظاهر ، وقال الخطابي : معنى كونه يمين الله في الأرض أن من صالحه في الأرض كان له عند الله عهد ، وجرى العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به مخاطبهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبري : إن كل ملك إذا قدم عليه الوفد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ﴿ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ الْأَعْلَى ﴾ اه .

ولعمري لو أن ملوك الإفرنج وعلماءهم أمكنهم أن يشتروا هذا الحجر لعظم تغالوا في ثمنه تغالوا لا يتغالون مثله في شيء آخر في الأرض ، ولوضعوه في أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة عندهم ، ولحج وفودهم إلى رؤيته وتمنى الملايين لو تيسر لهم لمسه وآستلامه ، وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع إبراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام وأنهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك أو الصنع .

هذا وأن من مقاصد الحج النافعة تذكري نشأة الاسلام دين التوحيد والنفطرة في أقدم معابده وإحياء شعائر إبراهيم التي طمستها وشوهتها الجاهلية بوشيتها فظهرها الله ببعثته ولده محمد الذي استجاب الله به دعوته ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ عليهما الصلاة والسلام . روى

أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال : أنا ابن مريع (كثير واسمه يزيد) الأنصاري ونحن بعرفة — في مكان يباعده عمرو عن الإمام^(١) — فقال : أما إنني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، يقول لكم : « قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من أبيكم إبراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذي : حديث ابن مريع الأنصاري حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار .

وجملة القول أن مناسك الحج من شريعة إبراهيم وقد أبطل الإسلام كل ما ابتدئته الجاهلية فيها من وثنيها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عمرة ، وأن الكعبة من بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالإجماع المتواترينهم ، وكانوا يعظمونها هم والأُمم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود ، ومن الثابت أيضا أنهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد إبراهيم ، وإنما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنين اليمانيين دون غيرهما ، ويقال لأحدهما : الركن الأسود لأن فيه الحجر الأسود ولا آثر : اليماني فإذا شئوها قالوا : اليمانيين تغلبا كما يقولون في تسمية الركن الشامي والركن العراقي : الشاميين . ولما كانت الكعبة قد جدد بناءها قبل الإسلام وبعده ولم يبق فيها حجر يعلم باليقين أنه من وضع إبراهيم إلا الحجر الأسود لامتياز بلونه وبكونه مبدأ المطاف — كان هو الأثر الخاص المذكور بنشأة الإسلام الأولى في ضمن الكعبة المذكورة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظا وشرفا . وقد علم بهذا أن الحجر له منزلة تاريخية دينية وإن كان الأصل في وضعه بلون مخالف للون البناء آهتداء الناس بسهولة إلى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا أن نقول إن لله تعالى أن يخصص ما شاء من الأجسام والأمكنة والأزمنة بما شاء لروابط العبادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص

(١) هذه الجملة مدرجة في الحديث أدرجها في الرواية عمرو بن دينار ومعناها أنهم في مكان بعيد عن

موقف الإمام بحيث لا يسمعون كلامه فقلوه : يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبد الله بن صنوان تابعي أنه بعيد عن الإمام الأعظم صلى الله عليه وسلم أي فلذلك أرسل إليهم رسولا .

المجرّ الأسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والأشهر الحرم بما خصت به ، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأى .

حكمة رمى الجمار

إذا وعيت ماتقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج ، أعنى أنها مما تعبدنا الله تعالى بها لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا ، وأنها إحياء لدين إبراهيم أبى الأنبياء وإمام الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الإسلام ومعاهده الأولى . وإن لاستحضار ذلك لتأثيرا عظيما في تغذية الإيمان وتقوية الشعور به والثقة بأنه دين الله الخالص الذى لا يقبل غيره ، فإن جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمها لا يضرنا ذلك ولا يثنيها عن إقامتها ، كما إذا ثبت لنا نفع دواء من الأدوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فإن ذلك لا يثنيها عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولا يدعونا إلى التوقف وترك استعماله الى أن نتعلم الطب ونعرف حكمة أوزان تلك الأجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر الى الذهن من منشأ هذه العبادة أن هذه المواضع التى تسمى الجمرات كانت من معاهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فشرع لنا أن نقف عند كل واحدة منها نكبر الله سبع تكبيرات نرمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير ، والعد بالخصى — ومثله النوى فى مثل الحجاز — من الأمور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة إبراهيم الذى أقام الدين الحق فى هذه المعاهد وبين التعبد لله تعالى بكيفية لا حظ للنفس ولا محل للهوى فيها . والعبادة منها شعائر يجتمع لها الناس وتقصد الأمة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتركيتها فقط كالتهجد وذكر الله فى الخلوة ، فلا يقال إن الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لأن هذا

القول لا يصح إلا في غير الشعائر إذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعديد .

أما كون رمى الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصريح به ، وأما سبب وقوف إبراهيم في تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعده بالخصى فلا يضرنا جهله ويكفي أن تقتدى به في هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك . وورد في بعض الأحاديث الضعيفة السند أن إبليس عرض له هنالك أى يوسوس له ويشغله عن أداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . وروى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس : لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك .

وروى عن محمد بن إسحاق قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له طف به سبعا : ثم ساق الحديث وفيه أنه لما دخل مي وهبط من العقبة تمثل له إبليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل : كبر وأرمه سبع حصيات ، فرماه فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل : كبر وأرمه فرماه إبراهيم سبع حصيات ، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل : كبر وأرمه ، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فغاب عنه إبليس . ثم مضى إبراهيم في حجه — الحديث . وليس تمثل الشيطان للأنباء ولا ظهوره لهم بغريب في قصصهم ففي الإنجيل المعتمد عند النصارى أنه ظهر للشيخ عليه السلام وجربه تجارب طويلة . فإذا صح أن إبليس عرض لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في أثناء أداء مناسكه بظهور ذاته أو مثاله أو بمجرد التصدى للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجحه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف في الأخلاق والطباع أن يأتي الإنسان بعمل عضوى يظهر به كراهته لما يعرض له

حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورمىها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وإن حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب... والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبري أو الإهانة معهود من الناس وله شواهد عند الأمم كرجم بنى اسرائيل مع يسوع النبى (يوشع عليه السلام) لعجان بن زراح وأهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ : ٢٤ و ٢٥ من سفر يسوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التى لعنها المسيح ، ورجم العرب فى الجاهلية لقبر أبى رغال فى المُغَمَّس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشى الى مكة لأجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى .

والعمدة فى رمى الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعا لإبراهيم أقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم فى الأرض ، ومجد خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذى حفظ كله فى الأرض صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى فى بيان أسرار الحج من الإحياء : «وأما رمى الجمار فليقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية ، وآنهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للنفس والعقل فى ذلك . ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية . أمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليقتزعك فى الرمي ، ويخيل إليك أنه لا فائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب فلم تستغل به ؟ فأضربه عن نفسك بالحد والتشمير فى الرمي ، فبذلك ترغم أنف الشيطان . وأعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى فى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقسم به ظهره ، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس فيه » اه .

حكمة الرمل في الطواف والسعى بين الصفا والمروة

الطواف بالكعبة المعظمة والسعى بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر الإسلام عن عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وروى أن هاجر صلى الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما وإلهة حيرى عند حاجتها إلى الماء زمن ولادتها إسماعيل حتى هداها الله تعالى إلى بئر زمزم . والحكمة في هذه العبادة ما ذكرناه في الكلام على رمى الجمار من إقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الأرض وإحياء سنن المرسلين فيها، قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن : صحيح من حديث عائشة . وأذكره معروفة في المناسك . وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ومعناه سرعة في المشي مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب، ويسمى الخجب أيضا، فهو دون العدو وفوق المشي المعتاد، فإن زادت السرعة كان عدوا .

أما سبب الرمل في الطواف والسعى بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث إظهار قوة المسلمين للمشركين ، وكان قد علم النبي صلى الله عليه وسلم أن المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين : قد أوهنتهم حمى يثرب . وروى في الصحيح أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة لعمرة القضاء قال المشركون : إن محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال لذلك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوافات ويمشوا في أربع من الأشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله لسبب عارض ، ثم بدله فمضى عليه لأنه علم أن المحافظة على ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جدّه إبراهيم صلى الله عليه وسلم إن لم تكن أولى، روى أبو داود وأبن ماجه عنه أنه قال : « فيم الرَّمْلان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطلّ الله الإسلام

(أى وطأه وأحكه) ونفى الكفر وأهله؟ مع ذلك لا ندع شيئاً كما نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم «وأصله فى البخارى بلفظ "فما لنا والرمل إنما كما رآينا به المشركين وقد أهلكهم الله" — ثم قال — شئ صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه»؛ وقوله: «رأينا» مشاركة من الرؤية أى أريناهم قوتنا وأننا لا نعجز عن مقاومتهم، وقيل: هو من الرياء بمعنى إراءة ما هو غير الواقع أى أريناهم من الضعف قوة. والرياء مذموم لأنه خداع والخداع جائز فى الحرب وهذا من قبيل الحرب، وقوله فى الرواية الأولى: والكشف عن المناكب معناه الأضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فنظهر المناكب، وحكمته عين حكمة الرمل، وقيل: إنما هو لأجل التمكن منه وقد ورد فى الصحيح أن المشركين قالوا عندما رأوا النبی صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرملون مضطبعين: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا، وفى رواية أجلد منا. فعلم من هذا أن الرمل أو الهرولة كما قال السائل إنما شرعت فى الطواف لسبب، وإنما نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم اتباعاً وتذكراً لنشأة الإسلام الأولى فى عهدهم، وهل توجد أمة من الأمم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين؟ لا! فالحمد لله رب العالمين.

• حكمة ذبائح النسك

حكمة ذبائح الهدى والأضاحى معروفة لا يحفلها عامة المسلمين، وهى طاعة الله تعالى وتقواه وإظهار نعمته بتوسعة المسامحة على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين فى أيام العيد التى هى أيام ضيافة الله للمؤمنين، وهى من مناسك الحج لأنها إحياء لسنة إبراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده إسماعيل من الذبح الذى ابتلاه الله واختبره به لتظهر قوة إيمانه بالله تعالى وإيثاره لرضاه. ونعمة الله بذلك على الناس كافة إنما هى من حيث إن إسماعيل هو جد محمد صلى الله عليهما وسلم الذى أرسله الله تعالى خاتماً لرسله وهادياً للناس كافة.

قال الله تعالى في البُدن التي تتحرل للنسك ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ وقال في ذبائح النسك عامة ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ .

جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به

اعلم أيها الحاج أن ما ورد في الحديث الصحيح من أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وأن «من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» سببه أن الحج إذا أدى كما يحب الله تعالى يقوى الإيمان ويزكى النفس ويطهرها حتى يظهر أثر ذلك في الأخلاق والمعاملات مع الله والناس .

فاذا أردت أن يكون حجاجك مبرورا فعليك أولا أن تنوب الى الله تعالى توبة صادقة وأن يكون حجاجك لوجه الله وابتغاء مرضاته بامتثال أمره وتحقيق حكمة شرعه في النسك وغيره .

وذلك بأن تعلم أنك بحج بيت الله تعالى مقبل على الله تعالى مع إخوانك المؤمنين كما تقبلون عليه في الآخرة ، وتذكر أن ثياب الإحرام كأكفان الموتى ، وأن المحرمين يتساوى كبيرهم وصغيرهم وأميرهم ومأمورهم في الزى وترك ما هو غير ضرورى للحياة من نعيم الدنيا ومميزاتها ومفانحها وأثاثها ورياشها وزينتها وطيبها وفى أداء المناسك كلها ولا سيما الوقوف بعربات الذى يشبه الوقوف بين يدى الله تعالى يوم القيامة . فتدبر هذه المعانى وتذكر أنك بين يدى الله تعالى وأنه يسمع تلييتك التى سمعت معناها ، فأجتهد أن تكون صادقا فيها وتدبر معناها ومعانى سائر الأذكار والدعوات ، وتذكر عند تقلبك في المناسك نشأة الدين الأولى فى عهد سيدنا إبراهيم وعهد ولده سيدنا محمد وهما أفضل الرسل عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر رسل الله تعالى . وأنت تطوف حيث طافا وتسعى حيث سعىا وتقف حيث وقفنا وتذكر الله وتدعوه حيث ذكرا ودعوا ، ولكنهما تحملا من العناء والبلاء فى إقامة دين الله فى تلك البلاد ما لا نتحمل شيئا منه .

فاذا أنت تذكرت وتدبرت ، اذكر يخشع قلبك وجوارحك وتدمع عيناك ، ويقوى شعور الإيمان في نفسك حتى يغلب باذن الله تعالى ما كان فيها من آثار الأوزار السابقة ، وتعود بصفاتها وطهارتها الى أصل الفطرة ، وهذا معنى خروجك من الذنوب كيوم ولدتك أمك . فيجب أن تحرص بعد الحج على المحافظة على هذه النفس الزكية الطاهرة كما تحرص على نفس ولدك الذى تربيه تربية صالحة أن ينغمس فى الفسق والشرور ، ولا تنس ما فى الحج من فوائد تعارف شعوب المسلمين وقبائلهم وتآلفهم . فحرص على هذه الفائدة والله الموفق ، فنسأله تعالى أن يوفقنا لاداء مناسكنا على الوجه الذى يحبه ويرضاه ، ويجعل ذلك ذخيرة لنا الى يوم نلقاه . والحمد لله أولا وآخرا .

قبل أن نتكلم على مكة وما فيها من المشاعر نتقدم اليك بكلمة جغرافية عن بلاد العرب ثم بموجز تاريخى عن هذه البلاد وسير الفتوحات الإسلامية منها الى أرجاء المعمورة حتى تكون عليما بتاريخ المسلمين وأين هم الآن فاستمع علمنا الله وإياك .

(١) فصل جغرافي موجز

في وصف بلاد العرب

(١) حدودها وشواطئها وأهمية موقعها

(١) حدودها — شبه جزيرة العرب أو «جزيرة العرب» كما يسميها العرب أو «الجزيرة» فقط كما يسميها بعضهم هي ثلاثة أشباه الجزائر الآسيوية الكبيرة الواقعة في جنوب آسيا . تحدها البحار من ثلاث نواح فتفصلها عما يليها في هذه النواح فصلا تاما . يحدها البحر الأحمر غربا، والمحيط الهندي جنوبا، وبحر عمان والخليج من الشرق . أما حدودها الشمالية العامة فمبهمة غير واضحة، فقد يلحقون بها شبه جزيرة سيناء وبادية الشام والجزيرة والعراق وقد لا يفعلون . وهذه الجهات تعدّ منها من الوجهة الطبيعية وإن كانت لا تعدّ منها من الوجهة السياسية . وعلى كل حال فمساحة الجزيرة العربية تبلغ نحو ألف ألف ميل مربع أى نحو ثلث القارة الأوربية .

(٢) شواطئها — يكاد الشاطئ الغربى يكون خطا مستقيما وهو على العموم قيسى لمرافئ الصالحة لرسو السفن . وأهم الجزائر الواقعة بالقرب منه والتابعة لبلاد العرب جزائر فرسان وكرات وبريم الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب . والشاطئ الجنوبي الممتد في تقوس وأنحاء من مضيق باب المندب الى رأس الحد به عادة ثغور حسنة ، أهمها عدن والمكلا والشحر وبالقرب منه جزيرة سقطرى وجزائر كوريا ووريا . وأما الشاطئ الشرقى الممتد من رأس الحد الى الكويت فرملى قريب الغور ، وتقع قريبا منه جزائر البحرين الشهيرة . هذا ويبلغ طول الشواطئ العربية من السويس الى مصب الفرات نحو ١٠٠٠ ميل .

(١) هذا الفصل والفصل التاريخي الذي يعقبه بقلم حضرة عبد الحميد افندي العبادى أستاذ التاريخ.

(٣) أهمية موقعها — هذا الموقع المتوسط الذى تقع به بلاد العرب بين المحيط الهندى والبحر الأبيض المتوسط وبين آسيا وأفريقية الشمالية اللتين هما أهم أقطار العالم التجارية فى العصور القديمة والمتوسطة ومن أهم أقطاره التجارية فى العصور الحديثة قد جعل لبلاد العرب منذ أقدم أزمنة التاريخ أهمية تجارية عظيمة بحرية وبرية كما يعلم المطلع على تاريخ العرب فى الجاهلية والإسلام .

(ب) الجؤ والنبات والحيوان

(١) الجؤ — ليس جؤ بلاد العرب على حالة واحدة فى جميع أنحاءها بل هو يختلف اختلافاً بيناً من مكان لآخر . فالجهات المنخفضة القريبة من البحار حارة وغير صحية ، والجهات المرتفعة جافة صحية . ويسقط المطر بنجد فى فصل الربيع والخريف . وقد تنخفض درجة الحرارة شتاء باليمن فنفت درجة التجمد . وقد ترتفع فى الصيف فتبلغ ٨٠° (بمقياس فهرنهايت) وتستفيد هذه البلاد من الرياح الموسمية فيسقط بها المطر فى مارس ويولية وأغسطس وسبتمبر . وقد يدوم فصل المطر فى الحجاز نحو خمسة أسابيع من فصل الخريف . وأما الجهات الشمالية فالمطر بها نادر وإذا سقط فإنما يسقط فى فصل الشتاء .

(٢) النبات — تعد اليمن أخصب أنحاء الجزيرة العربية ، ويزرع بها البن والفاكهة والخضروات . ومن حاصلات الحجاز الحناء والبسم . وأهم حاصلات حضرموت البخور . وأهم مزروعات عمان والأحساء النيلة . وأما النخل فينمو فى أكثر أنحاء الجزيرة . وقد جلب الى بلاد العرب من الخارج شجر جوز الهند والموز فتما بها نمواً حسناً .

(٣) الحيوان — أهمه الإبل والغنم والخيول والحمير ، وكلها تعد فى الطبقة الأولى من نوعها ولا سيما مهارى (مهرة) وخیل نجد . ويوجد النعام ببعض الصحارى العربية غير أنه قليل . ويكثر السمك ببحر عمان ، ويستخرج من مغاصات اللؤلؤ الشرقية ما قيمته سنوياً نحو ٣٠٠,٠٠٠ جنيه .

(ج) الوصف الطبوغرافى

مقدمة — كان جغرافيو الأغرقيق والرومان يقسمون بلاد العرب بالنظر الى طبيعة أرضها الى ثلاثة أقسام : بلاد العرب الحجرية ، وبلاد العرب السعيدة ، وبلاد العرب الرملية ؛ فأما الأولى فكانت عندهم شبه جزيرة سيناء ؛ وأما الثانية فهي بلاد اليمن ؛ وأما الثالثة فكل ما عدا هذين الإقليمين من بلاد العرب . وأما العرب فكانوا يقسمونها باعتبار المواضع والأقاليم . وأساس تقسيمها عندهم جبال المراد التي تمتد من أطراف بادية الشام الى اليمن ؛ فقسم جزيرة العرب الى قسمين : غربي ، وشرقي . فالغربي وهو أصغرهما ينحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل الى شاطئ البحر الأحمر ، وقد صار حابطاً أو غائراً فسموه الغور أو تهامة ؛ والقسم الشرقي وهو أكبرهما يمتد شرقاً وهو على ارتفاعه الى أطراف العراق والسماء فسموه نجدا لهذا السبب . وسموا الجبل الفاصل بين تهامة ونجد (الحجاز) وهو عبارة عن جبال تتخللها المدن والقرى . وجعلوا ما تنتهى به نجد في الشرق حتى يصل الى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان وما والاها ويسمونها العروض ، وسموا القسم الجنوبي بلاد اليمن وحضرموت والشحر .

وأما الجغرافية الحديثة فتميل الى تقسيم بلاد العرب باعتبار قربها من البحر أو بعدها عنه . وعلى هذا الاعتبار تنقسم بلاد العرب الى قسمين كبيرين : (١) بلاد العرب المتصلة بالبحر وتشمل الحجاز وعسيرا واليمن وحضرموت ومهرة (الشحر) وعمان والأحساء (البحرين) ؛ (٢) بلاد العرب غير المتصلة بالبحر وهذه تشمل نجدا والصحارى الداخلية . وستنبع هذا التقسيم ونذكر كلمة موجزة عن كل قسم من هذه الأقسام :

بلاد العرب المتصلة بالبحر

(١) الحجاز — أهم الأقطار العربية من الوجهة التاريخية ، فيه نبت الإسلام ومنه درج كما سترى في الفصل التاريخي الآتى . وهو يمتد بوجه عام من رأس خليج

العقبة إلى حدود اليمن إذا اعتبرنا عسيرا داخلية فيه كما يصنع بعض الجغرافيين .
وبه من الأودية وادى الحمد ووادى الرمة . وأهم مدنه مكة المشرفة والمدينة المنورة
والتخائف الشهيرة بفواكهها الجيدة . وأهم ثغوره الواقعة على البحر الأحمر، الوجه
والخوراء وينبع ورايح وجدة ، وكلها محطات للحجاج المصريين . وينزله من القبائل
العربية الآن عرب الحويطات في الإقليم الشمالى المسمى حسمى ، وعرب عترة
تسمى المدينة ، وبلى ما بين العقبة والوجه ، وقريش شمالى عرفة والتخائف ، وهذيل
في جبال التي بين مكة والتخائف ، ونقيف في جنوب وشرقي الطائف .

(٢) عسير — تتسع جبال السراة جنوبي مكة والتخائف فتكون الإقليم
المعروف بعسير والواقع بين الحجاز شمالا واليمن جنوبا . وهذا الإقليم على العموم من
أخصب وأجل الأقاليم العربية وأغناها من الوجهة الاقتصادية . أهم أوديته :
ودى صنع ووادى بيشة . وأهم مدنه : أبها ومخايل وصبيا . وأهم ثغوره : القنفذة .
وأهم قبائل عسير : قبائل قحطان التي هي أصل القبائل اليمنية .

(٣) اليمن — وتنقسم إلى قسمين غير متساويين : تهامة اليمن التي هي عبارة
عن امتداد تهامة عسير والحجاز ، ويوجد اليمن ويتضمن أربع هضاب فرعية : هضبة
نجران في الشمال ، وهضبة مأرب في الشرق ، وهضبة صنعاء في الوسط ، وهضبة تعز
في الجنوب . وأهم مدن اليمن صنعاء ، وهي العاصمة ثم صنعاء ومأرب الشهيرة بآثارها
القديمة وبريم وتعز ولحج وزبيد . وأهم ثغور اليمن الحديدة ومخا الواقعة على
البحر الأحمر ، وعدن الواقعة على المحيط الهندي التابعة لانتاجتها (وكذلك جزيرة بريم
الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب) .

(٤) حضرموت — وهي عبارة عن الإقليم الواقع شرقي اليمن . سطحها
جبل ينسقه واد متسع يسائر الشاطئ نحو مائة ميل ويسمى وادى الكسر . وأهم
مدن حضرموت : شبام . وأهم ثغوره : المكّة وسيحوت . وبحضرموت ، كما
باليمن آثار حضارة عربية قديمة .

(٥) مهرة — وكان جغرافيو العرب يسمونها (الشحر) وتمتد شرقاً من سيحوت

الى حاسك وتشتهر منذ القدم بالبحور والصموغ . وأهم نغورها : الشحر ومرباط .
هذا وأرض مهرة الممتدة من حاسك الى عمان قاحلة وداخلها غير معروف بالمرّة .

(٦) عمان — هي أبعد جهات العرب من ناحية الشرق . يمتد شاطئها من

رأس الحدة الى الرأس المعروف برأس مسندم . وتكثر به المرافئ الجيدة كما يكثر السمك بمياهه . وأهل عمان مشهورون من قديم الزمان بالمهارة في الملاحة والاتجار مع بلاد الهند . وأما سطح عمان فجبلى يبلغ غاية ارتفاعه في الجبل الأخضر . وعاصمة عمان هي مسقط وتقع الى الشمال منها صحار عاصمة عمان القديمة .

(٧) الأحساء — وكانت تعرف في عهد الدول العربية الإسلامية بالبحرين

أو هجر التي كانت عاصمتها إذ ذاك . وأما لفظ الأحساء فاسم المدينة التي أنشأها القرامطة في القرن الرابع الهجري بالقرب من هجر . والأحساء ثلاثة أقسام : قسم جنوبي ويعرف بالقواسم ، وقسم متوسط هو عبارة عن شبه جزيرة (قطر) التي تشتهر هي وجزائر البحرين باستخراج اللؤلؤ ، وقسم شمالي غربي يمتد من قطر الى الكويت ويسمى (التخفيف) وأهم مدنت قطر الحفوف ، وأهم مدن القطيف الكويت التي ستكون يوماً ما مركزاً تجارياً عظيماً لحسن موقعها الجغرافي . وأهم حاصلات الأحساء : البسح ويضرب المثل بكثرة .

بلاد العرب الداخلية

ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام : البادية ونجد والدهناء .

(١) البادية — ونطلقها مجازاً على الأرض الواقعة شمال نجد والافوى

عبارة عن بادية العراق والجزيرة والشام . وبلى هذه البوادي بادية السماوة التي سلكها خالد بن الوليد عند منصرفه من العراق الى الشام بأمر أبي بكر الصديق . وهي فلاة لا يأمن ساكنها الهلاك فيها عطشاً وجوعاً . وتلى بادية السماوة الواحة المعروفة قديماً بدومة الجندل وتعرف اليوم بالحبوف . وهذه الواحة واقعة على الوادي

الآتي من حوران والمعروف بوادي السرحان . وتلي الجوف صحراء (النفود) وهي
فلاة قاحلة لا ماء بها .

(٢) نجد — هضبة عظيمة تلي (النفود) و يبلغ ارتفاعها أحيانا أكثر من
٥٠٠٠ قدم . تشققها أودية تكثر زروعها وحيوانها . وأهم هذه الأودية : وادي الرمة
و وادي الدواسر . ونجد تنقسم الى أقسام : حرة خيبر في الغرب ، والقصيم في الشمال
ونجد الأصل في الجنوب . ويقع الى الجنوب والشرق من نجد الإقليم المعروف
بإيالة والذي يطلق العرب عليه وعلى البحرين معا اسم (العروض) . هذا وجو نجد
أصح أجواء بلاد العرب ، وأهم بلدان نجد الرياض وحائل وعنيزة . وتترله في الوقت
الحاضر من القبائل بنو سبيع وعنزة وقبائل تنتمي الى بني هلال المشهورة .

(٣) الدهناء — صحراء مترامية الأطراف مجهولة الداخل تمتد من جنوبي
نجد الى الحدود الصحراوية لعمان ومهرة وحضرموت واليمن . ليست بها عيون ولا
أودية . وإنما تجودها الأمطار في فصل المطر فتعشب فيؤمها البدو بنحياهم وإبلهم
فيرعونها نحو ثلاثة أشهر ، فإذا حل فصل الجفاف ارتحلوا عنها . ويطلق على هذه الفلاة
أسماء مختلفة ، فالقسم الواقع منها بين شرق اليمن وشمال غربي حضرموت يسمى
(صيهد) . والجزء الواقع شمال شرق حضرموت يسمى (الأحقاف) . والجزء الواقع
شمال مهرة يسمى (وبار) على أنها تسمى بوجه دام (الدهناء) لجمرة رمالها . وكثيرا
ما يطلقون عليها (الربع الخالي) أى غير المعمور .

التقسيم السياسي الحاضر

إن حال بلاد العرب السياسية مضطربة في الوقت الحاضر اضطرابا كبيرا ،
وذلك نتيجة الحرب العالمية الكبرى وزوال سلطة الدولة العثمانية عن هذه البلاد .
غير أنه يمكننا أن نقول في تصوير الحال السياسية العامة لبلاد العرب إن بها اليوم
من الإمارات ما يأتي :

- (١) الإمارة الزيدية في القسم الجبلى من اليمن .
 - (٢) الإمارة الإدريسية في أراضى الشافعية من تهامة اليمن وبعض تهامة عسير .
 - (٣) السلطنة السعودية الوهابية في جميع نجد بما في ذلك إقليم عسير .
 - (٤) الحكومة الهاشمية التى انحصرت فى جدّة .
 - (٥) إمارة آل الصباح بالكويت عند نهاية الخاليج الفارسى .
 - (٦) مشيخة قطر .
 - (٧) مشيخة حضرموت وهى تحت الحماية الانجليزية .
 - (٨) سلطنة عمان المستقلة ويسكنها الخوارج الأباضية .
- ولا يمكن القول بما ستؤول اليه الأحوال السياسية فى هذه البلاد، نسأله تعالى أن يوفق أهلها الى ما فيه جمع شملهم وتوحيد كلمتهم ورجوعهم كما كانوا فى صدر الإسلام إخواناً متحابين كحمة فى نفوسهم إنه بالإجابة جدير .

فصل تاريخى موجز

فى حال العرب قبل الإسلام وقيام الدولة الإسلامية
وآنتشار الدين الإسلامى

١ - كلمة فى العرب قبل الإسلام

الدول العربية قبل الإسلام — إن الجزيرة العربية التى سبق وصفها قد تناوب زعامتها من قديم الزمان ثلاثة شعوب سامية يطلق عليها جميعاً اسم (العرب) ولا نعلم للأسف من تاريخها السابق على الإسلام غير اليسير المستمد من آثارهم التى كشفت حديثاً ببلاد اليمن وبادية الشام، ثم مما رواه الرواة من أشعارهم وأخبارهم،

وما كتبه عنهم مؤرخو الأمم المتحضرة التي عاصرتهم واتصلت بهم كالمصريين والإغريق والروم والفرس . تلك الشعوب الثلاثة هي :

(١) العرب البائدة — الذين عاصروا الكلدانيين القدماء ومنهم العالقة بشمال الجزيرة والشام ومصر ، وعاد بالأحقاف ، وثمود بالحجر ، وطسم وجديس باليمامة والأنباط بشمال الجزيرة . هؤلاء العرب قد بادوا وأتقطعت أخبارهم ، غير أننا نعلم من القرآن وبعض الآثار أنهم كانوا على حضارة راقية ولا سيما إذا اعتبرنا ما يروى عن مدينتهم (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) وقد بقى ذلك الجبل حتى غلبه على أمره جيل عربي ثان يعرف :

(٢) بالعرب القحطانية نسبة إلى جدّهم قحطان — والراجح أنهم نزحوا إلى جزيرة العرب من بعض جهات الفرات ، وكانت لهم باليمن دول اشتهرت منها «الدولة المعينية» و «الدولة السبئية» (من حوالى ٨٥٠ إلى ١١٥ ق . م) و «دولة حمير» و «التبابعة» (١١٥ ق . م -- ٥٢٥ م) وقد برعت العرب القحطانية فى الزراعة لخصب أرضهم ، وفى التجارة لحسن موقع بلادهم من الوجهة الجغرافية ، فكانت عروض التجارة ترد اليهم من الشرق بطريق البحر ثم ينقلونها على ظهور الجمال إلى الشام ومصر . وبرعوا كذلك فى الصناعة فدبغوا الجلود وطبعوا السيوف وصنعوا الرماح وغير ذلك . وكان لهم حكومات وملوك ومدن كبيرة منها (مأرب) و (صنعاء) وقصور فخمة ، منها : (ناعط) و (غمدان) وسدود عظيمة يستعان بها فى تخزين الماء الزائد عن الحاجة زمن المطر لينتفع به وقت الحاجة اليه كسد مأرب . هذا ولا يزال علماء الآثار من الأوروبيين يحدّون فى البحث عن آثار العرب القحطانية وربما أوضحوا فى المستقبل ما غمض من تاريخهم .

ولما ضعف شأن الدولة السبئية بعد القوّة وأهملت مرافق الزراعة والصناعة تصدع سد مأرب ثم أنبثق فأهلك الحرث والنسل ، ولقد أشار القرآن الكريم الى هذا الحادث فى سورة سبأ فقال ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ

وَسَمَّالِ كُلُّوَا مِنْ رَزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةَ طَيِّبَةً وَرَبَّ غَفُورٍ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبْلِهِمْ جَبَلَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ) . وربما كان ذلك في أواخر القرن الثاني الميلادي . فهاجر أكثر القبائل اليمنية من بلادهم وتفرقوا في طون الجزيرة وعرضها . فكان منهم دولة المندرة اللخمين التي قامت بالحيرة بالعراق وكانت خاضعة لأكامرة الفرس (٢٦٨ م — ٦٣٢ م) ودولة الغساسنة التي قامت ببديّة الشام وفلسطين وكانت خاضعة لأمبراطرة الروم (٢٠٠ — ٦٣٣ م) . ودولة كنده التي قامت بنجد وكانت مستقلة (٤٠٠ — ٥٦٠ م ؟) وخلف الدولة السبئية دولة أخرى هي دولة حمير والتابعة فكانت لها العظمة والقوة ردحا من الزمن حتى آتسولى الرومان على مصر واتخذوا البحر الأحمر طريقا تجاريا إلى اليمن والشرق فساءت حالها لكساد تجارتها البرية ، ونهض إليها الأحباش وتغلبوا عليها سنة ٥٢٥ م . وبعد ذلك بقليل من الزمن زالت عنها ساطة الأحباش بفضل البطل العربي المشهور سيف ابن ذى يزن وحالت محلها سلطة الفرس . فكان ذلك كله سببا في انتقال الزعامة على بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال فأصبحت في الحيل العربي الثالث المعروف :

(٣) بالعرب الإسماعيلية أو العدنانية — وهم أشهر الأجيال العربية لظهور الإسلام فيهم ، وهم يتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل — عليهما السلام — لذى نزل هو وزوجه هاجر وولدهما إسماعيل أرض مكة وحفروا بها بئر زمزم وبنوا الكعبة . ومن ذلك الحين أخذ اليمنيون يتوافدون على تلك البقعة ويعمرونها حتى نشأت مكة المكرمة . وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله على لسان سيدنا إبراهيم (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) ونسأ إسماعيل عليه السلام بين هؤلاء اليمنية (وخاصة قبيلة جرهم) وتزوج منهم ، وعلى مر

الزمن تكثر أبناءؤه وانتشروا بالبحاز ونجد وما وراء ذلك من مشارف الشام والعراق ، غير أنه بقيت منهم بمكة قبيلة كان لها فيما بعد شأن عظيم . تلك هى قبيلة قريش .

إمارة قريش بمكة — بقى أمر مكة بأيدي ملوك من جرهم . وكان لبنى إسماعيل مكانة محترمة لما لأبيهم من بناء الكعبة . ولكن لم يكن لهم من الحكم شىء . فلم كان حادث سد مأرب وأرتحال القبائل اليمنية من ديارها كان منها من عزج على مكة وهم بنو خزاعة الأزديون فاربوا جرهم وأجلوها عن مكة وأستبدوا بحكم مكة دون قريش حتى ظهر قصي بن كلاب حوائى منتصف القرن الخامس الميلادى بجمع شتات قريش ووحد كلمتهم فكان لهم بذلك قوة مكنتهم من أن يزاحوا خزاعة ويغلبوها على حكم مكة . ولم يبق بأيديهم غير سدانة البيت الحرام فأشترتها قصي بزق نمر من سادنه المعروف بأبى غبشان وإى ذلك يشير الشاعر بقوله :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت -- بزق نمر فبئست صفقة الشارى .

وبذلك أصبح قصي سسيد مكة والمتولى شؤون الكعبة التى كانت تحج إليها العرب من جميع أنحاء الجزيرة فكان له من مظاهر الرياسة :

(١) رياسة دار الندوة التى أنشأها بمكة وكانت تجتمع فيها قريش للفصل فى أمورها العظيمة .

(٢) اللواء فكان لا تعقد راية الحرب إلا بيده .

(٣) الحجابة وهى حجابة الكعبة فلا يفتح بابها إلا هو وهو الذى يلى أمر خدمتها .

(٤) سقاية الحاج ورفادته .

وكان لقصى من الولد ، عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وكان عبد مناف قد ساد فى حياة أبيه فأراد أبوه أن يلحق به ابنه عبد الدار وكان أسن منه ، فأوصى له بما كان يليه من مصالح قريش فلم ينازع عبد مناف أخاه فى ذلك ، ولما توفى ترك أربعة أولاد ، هاشما ، وعبد شمس ، والمطلب ، ونوفلا ، فنافسوا بنى عمهم عبد الدار فى هذه المصالح التى رأوا أنفسهم أحق بها لشرفهم وسيادتهم وكثرتهم ، وأفترقت

قريش طائفتين، طائفة تنصّر لبني عبد مناف وطائفة تنتصر لبني عبد الدار وكاد يكون بينهم قتال لولا أنهم أجمعوا الصلح على طريق لا يفض من الفريقين وهو اقتسام هذه المصالح، فكان لبني عبد الدار الحجابة والواء والندوة، ولبنى عبد مناف السقاية والرفادة . ثم حكم بنو عبد مناف القرعة في نصيبهم فأصابته القرعة هاشم بن عبد مناف .

وهاشم بن عبد مناف فيما يروى أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء وكانت إلى اليمن ورحلة الصيف وكانت إلى الشام قصد التجار، وربما كان ذلك على أثر المعاهدات التي أبرمتها قريش على أيدي بنى عبد مناف مع من بجوارها من الملوك . روى الطبري في تاريخه أن بنى عبد مناف أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم . أخذ لهم هاشم جبلا من ملوك الشام الروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس جبلا من النجاشي الأكبر، فأختلفوا لذلك السبب إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نونل جبلا من الأكسرة فأختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس، وأخذ لهم المطلب جبلا من ملوك حير فأختلفوا بذلك إلى اليمن . وقد آمنت الله على قريش هاتين الرحلتين في قوله: (لَا يَلَا ف قَرِيْشٍ إِلَّا لَهُم رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) .

الخلاف بين الهاشميين والأمويين — وكان ذلك الشرف كله لهاشم بن عبد مناف فأثار ذلك فيما يروى غيرة أمية بن عبد شمس وكان مثيرا من المال والبنين ولكنه مع ذلك لم يكن له من رياسة قريش شيء . وجرت بين العم وأبن أخيه منافرة غلب فيها أمية على أمره فكان ذلك بدء النزاع بين الهاشميين والأمويين . فمما توفي هاشم خلفه أخوه المطلب ثم من بعده أبنيه عبد المطلب في السقاية والرفادة، وتتميز إمارة عبد المطلب بثلاث حوادث كبار :

(١) كشفه عن بئر زمزم التي كانت طُمّت وخفيت معالمها .

(٢) تجدد النزاع بين الهاشمين والأمويين ، وذلك أن حرب بن أمية بن عبد شمس نفس على عبد المطلب شرفه ورياسته وجرت بينهما منافرة كالتى كانت بين أبيهما فغلب حرب على أمره ، وكذلك استمر الخلاف بين الهاشمين والأمويين وكانت له فيما بعد آثار عظيمة في الإسلام .

(٣) واقعة الفيل وكانت عام ٥٧١ م . وسببها أن أبرهة الحبشى لما أقام ببغداد أنشأ بصنعاء كنيسة فخمة وأراد أن يكون حج العرب إليها دون الكعبة ، فلما لم يتيسر له ذلك من طريق السلم أعتمر أن يسير إلى الكعبة ويهدمها . غير أنه فشل في ذلك كما نطق به القرآن في سورة الفيل : **لَمْ تَرْكِبْ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** **لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ** **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ^(١) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ** **فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ ^(٢) أَمَا كُولٍ ^(٣)** .

وقد رزق عبد المطلب عشرة أبناء كان أحدهم عبد الله الذى ولد له سيدنا محمد عام الفيل على أصح الروايات .

الحال الدينية للعرب قبل الإسلام — قد اختلفت أديان العرب في جاهليتهم فمنهم الدهريون الذين قالوا : ما يهلكنا إلا الدهر ، ومنهم الصابئة عبدة النجوم والكواكب ، ومنهم الوثنيون عباد الأصنام والأحجار والأشجار . ومنهم اليهود والنصارى . غير أن عبادة الأصنام كانت الغالبة عليهم وكانت الكعبة مجمع أصنامهم . ومن أشهر أصنام العرب ، ود ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، وثلاث ، والغزى ، ومناة ، وهبل ، والخالصة وقد ورد ذكر كثير منها في القرآن الكريم .

تلك الحال الدينية قد تغيرت بعض الشيء قبيل الإسلام إذ ظهر في حواضر الجزيرة أحاد من العرب لم تطب نفوسهم عن ذلك الضرب من التعبد ورأوا أن هناك حقيقة غابت عنهم أو هم ضلوا عنها . روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق أن قريشا اجتمعت يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم فخلص منهم أربعة نفر نجيا

هم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو، فقال بعضهم لبعض (تعلموا والله ما قومكم على شيء . لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم . ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ . يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء) فتفرقوا في البلدان : فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية وأما عبيد الله فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم آرتد . وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر وتصر . وأما زيد بن عمرو فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه . هذه الحركة تبين لنا ما كان وقتئذ في نفوس العرب من استعداد لقبول دين يلائم الفطرة كالدين الإسلامي .

مما تقدم كله نعلم أنه لم يكن للعرب قبل الإسلام جامعة واحدة تؤلف بينهم . فأما من الوجهة الدينية فقد رأينا تعدد نحلهم . وأما من الوجهة السياسية فقد كان منهم الخاضع للفرس كأهل اليمن أولا ومناذرة الحيرة أخيرا، أوللروم كغساسنة بادية الشام ، ومنهم من لم يخضع لحكومة أجنبية وهم سائر العرب . على أنه قد كانت لهم أمور عصمتهم من التدابر المطلق : منها إجماعهم على تعظيم الكعبة واختصاصهم قریشا بسدنتها واحترامهم للأشهر الحرم واشترائهم في إقامة الأسواق العامة التي كانوا فيها يتابعون ويتحكون ويتشددون الشعر وذلك مثل سوق عكاظ وغيره .

وإنما الرجل الذي قام بجمع شتات العرب وجعل منهم أمة واحدة ذات دين واحد وحكومة واحدة وعصية واحدة هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب سيد المرسلين وخاتم النبيين .

٢ - قيام الدولة الإسلامية وامتداد سلطاتها

نشأة محمد عليه الصلاة والسلام — ولد نبينا — كما سبقت الإشارة بمكة عام الفيل سنة ٥٧١هـ من أبوين قرشيين هما عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وأمنة بنت وهب بن عبد مناف . وقد توفي أبوه قبيل مولده وأمه قبل أن يبلغ السادسة

وجدته وهو في الثامنة فأصبح في كفالة عمه أبي طالب . غير أن فقر عمه دفعه الى العمل والارتفاق . وكان في مكة أرملة من فضليات النساء ذات ثروة ويسار . تلك هي (خديجة بنت خويلد) فلما رأت أمانة محمد عرضت عليه أن يسافر الى الشام للتجارة بمالها ففعل فُعجبت به وعرضت عليه أن يتزوجها فقبل ذلك وقد بلغ الخامسة والعشرين . فلما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله رحمة للعالمين فأخذ يذيع أصول الدين الإسلامي ويدعو اليه خاصته فأمنت به زوجته خديجة وابن عمه على بن أبي طالب وصديقه أبو بكر بن خنيفة وأفراد غيرهم من كبار قريش . ثم كثر سواد المسلمين . غير أن فريشا شق عليها ترك دينها وتسنفيه أحلامها فناصبت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العداء وتمادوا فيه حتى اضطرب بعض أصحابه الى الهجرة الى الحبشة فزلوا على ملكها ضيوفا كراما . وأضطرب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى الهجرة من مكة الى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته وكان قد أصبح له بالمدينة أنصار من أهلها اعتنقوا الإسلام وعرضوا عليه نصرتهم . وقد هاجر النبي الى المدينة واتخذها مستقرا له فكانت أول عواصم الإسلام .

فتح بلاد العرب ٢ - ١١ هـ — وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر الى المدينة سلسلة غزوات كانت بينه وبين أعدائه من يهود المدينة وقريش مكة وسائر القبائل العربية وانتهت بأن عم الإسلام جزيرة العرب ، ونحن نذكر أهم هذه الغزوات على سبيل الإجمال .

غزوة بدر سنة ٢ هـ — بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش آتية من الشام وعنها أبو سفیان بن حرب فأراد أخذها فنهضت قريش لحمايتها . والتقى الجمعان قريبا من المدينة على ماء بدر في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ . فانتصر المسلمون على قلة عددهم وكثرة عدوهم وقتلوا جمعا من صناديد قريش فيهم (أبو جهل بن هشام) ألد أعدائه عليه الصلاة والسلام . ومعركة بدر من معارك التاريخ الفاصلة ، فقد اعتر بها الإسلام وقوى شأن المسلمين كما سترى .

وعلى أُرَواقعة بدر خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى قينقاع وهم قبيلة يهودية بالمدينة قد نقضت عهدها مع النبي وآذت المسلمين فأخرجها من المدينة .

غزوة أحد سنة ٣ هـ — صممت قريش على التآمر لنفسها من انتصر عليها في واقعة بدر . فخرجت بقيادة أبي سفيان تريد المدينة فخرج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم عام ٣ هـ . والتقى بهم عند جبل أحد وكاد النصر يكون للمسلمين ، لولا أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خالف أمره فانكشف المسلمون وحمل عليهم من خلفهم خالد بن الوليد حملة شديدة اضطرت كثيرا من المسلمين الى الفرار ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وكادت الدائرة تدور على المسلمين لولا أن قريشا اكتفت بأن قتلت من المسلمين بقدر من قتلوا منها في واقعة بدر وثنت الأعنة راجعة الى مكة . وعلى أثر تلك الواقعة علم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بنى النضير يأتمرون بقتله فخرج اليهم وأخرجهم من المدينة الى خيبر ^(١) .

غزوة الخندق سنة ٥ هـ — وتعرف أيضا بغزوة الأحزاب ، لأن كثيرا من قبائل العرب ويهود خيبر ظاهروا فيها قريشا وساروا جميعا الى المدينة يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين وحاصروا المدينة ولكنهم لم يستطيعوا أخذها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حصنها وحفر حولها بإشارة سلمان الفارسي خندقا عميقا . وكان القتال في تلك الغزوة قاصرا على المباراة الفردية والتراعى بالنبل . وأخيرا اجتمعت على الأحزاب سياسة النبي صلى الله عليه وسلم التي فرقت ألقمتهم ومطر وريح وجنود سلطها الله عليهم ، فكانت تكفى قدورهم وتقلب أخبيتهم فارتدوا عن المدينة ولم يبلغوا مراما .

صلح الحديبية سنة ٦ هـ — وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة . ثم خرج يريد مكة معتمرا لا محاربا وسار حتى بلغ (الحديبية) وكانت قريش قد سمعت بقدمه فتأهبت للدود عن بلدها ، وبعد

(١) وسيأتى تفصيل هذه الغزوة عند الكلام على زيارتها لأحد .

الى المقوقس رسم ٣٢٠ — ومنهم من ردّ رداً قبيحاً وأهان رسول النبي ، كالخارث
ابن ثمر الغساني وكسرى الفرس .

فتح خيبر سنة ٥٧ هـ — على أن المسلمين ، وان كانوا قد أمنوا شر قریش
صالح الحديدية ، كان لهم عدو بالقرب منهم يترصد بهم الدوائر . ذلك العدو هو
يهود خيبر الذين لم ينسوا ما حل بهم و بإخوانهم . فسار اليهم النبي عليه الصلاة
والسلام ونازل حصونهم واستولى عليها كلها .

ولما حلّ الحول على عمرة الجديدية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا
فأخات قریش مكة على حسب شرطها في صلح الحديدية . وقضى النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه مناسك الحج ثم عاد الى المدينة . وكان لتلك الحجة أثر كبير
في نموس قریش ، حتى إن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما دخلوا في الإسلام
على أنزها .

فتح مكة سنة ٥٨ هـ — كان صلح الحديدية يقضى بأن يسود السلم بين
المسلمين وقریش عشر سنوات ، ولكن قریشا تنقضت عهدا واعتدت على بعض
أحلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، فسار النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه معتمرا فتح
مكة . وخرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فظفرت به جنود النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يسمعه إلا أن يسلم . وعند ذلك منحه النبي من العفو ما لم يكن يطمع فيه وخلي
سبيله . فعاد أبو سفيان الى مكة وحمل أهلها على الاستسلام لمن لا يستطيعون
مناقضته . فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تلك البلدة التي طالما جاهدته
وآذته وكان بوسعه أن ينتقم منها أشد الانتقام ، ولكنه عفا عن أهلها وقال لهم :
« ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال « اذهبوا
فأنتم الطلقاء » ثم سار الى الكعبة فكسرها حولها من الأصنام . وقد أعقب ذلك أن
أسلم أهل مكة جميعا .

غزوة حنين سنة ٨ هـ — فلما رأت ذلك قبيلة هوازن، وكانت منازلها بالقرب من مكة، توقعت أن يغزوها النبي صلى الله عليه وسلم فأجمعت على أن تغزوه قبل أن يغزوها، وانضمت إليها ثقيف وقبائل أخرى . فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك سار إليهم والتقى بهم في وادي حنين في طريق وعرة . فبغته العدو وكادت الهزيمة تدور عليه، لولا ثباته وشجاعة الأنصار فإنهم أعادوا الكرة على أعداء وهزموهم وغنموا أسلابهم .

غزوة تبوك سنة ٩ هـ — كان النبي صلى الله عليه وسلم في سنة ٨ هـ قبل فتح مكة قد أرسل جيشا بقيادة زيد بن حارثة، الى عرب بادية الشام فتكثرت الروم والعرب على ذلك الجيش وقتل زيد بن حارثة، ولولا تدبير خالد بن الوليد لأبيد الجيش كله . فلما كان عام ٩ هـ . بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم يجمعون له جيشا جوارا تبلغ عدته ثلاثين ألف مقاتل واتجه به نحو الشمال . على أنه لم يلتحم بالروم بل بسط نفوذه على القبائل العربية الشمالية، بأن فرض الجزية على (آيلة) و (دومة الجندل) وغيرهما . ثم عاد وكانت هذه آخر غزواته عليه الصلاة والسلام . وفي ذلك العام أخذت العرب تدخل في دين الله أفواجا وكثرت الوفود على النبي صلى الله عليه وسلم قادمة من جميع أنحاء الجزيرة العربية، فكان عليه الصلاة والسلام يرسل معهم من أصحابه من يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين .

حجة الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام — ولما كانت السنة العاشرة حج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه آخر حجة له، وخطب الناس في هذه الحجة خطبة بايعة مؤثرة تعرف (بخطبة الوداع) أوضح للناس فيها كثيرا من أمور الدين وثق عليهم فيها من النصائح العالی الثمين، وقد تقدمت الحجة بالتفصيل وسيأتي نص لخطبة . ثم عاد الى المدينة المنورة .

وفي أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة اعتلت صحته عليه السلام . فاستأذن نساء في أن يمرض في بيت زوجته السيدة (عائشة) فأذن له . ولما كان

يوم الاثنين ١١ ربيع الأول من سنة ١١ هـ . لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى وقد خلف وراءه ديناً يسائر الفطر والعقول هو الدين الإسلامي، وأمة بالمعنى الصحيح هي الأمة العربية ووضع أساس دولة سيكون لها شأن عظيم هي الدولة الإسلامية.

٣ - انتشار الدين الإسلامي بالسياسة

الحرب بين العرب وبين الروم والفرس

مقدمة — وضع النبي عليه الصلاة والسلام أساس الدولة العربية، وفي الأرض دولتان كبيرتان هما دولة الروم المسيحية ودولة الفرس المجوسية . فأما دولة الروم فكانت قد أصابها الضعف وتفرق الكلمة ، لضعف إمبراطرتها من بعد جستينان وللنزاع الديني الذي كان قائماً بين الملكانية والنساطرة بالشام، وبين الملكانية واليعاقبة بمصر . هذا النزاع قد فصل في الحقيقة هذين القطرين عن الدولة الرومانية من الوجهة الدينية وجهلها على وشك الانفصال عنها من الوجهة السياسية .

وأما دولة الفرس التي كان يحكمها المتأخرون من ملوك الأسرة الساسانية فلم تكن حالها خيراً من حال الدولة الرومانية، وذلك لأسباب كثيرة منها ظهور نحل دينية غريبة مفسدة للنظم الاجتماعية ، وضعف المتأخرين من ملوك الأسرة الساسانية، وكثرة الطامعين في ملكهم من أقربائهم وقواد جيوشهم، وحروبهم الكثيرة مع الدولة الرومانية .

تلك حال الدولتين اللتين اصطدمت بهما الدولة العربية الناهضة فزغزعت أركان الأولى وقوضت دعائم الثانية، وذلك أن أبا بكر الصديق أول خلفاء الإسلام بعد أن قضى على حركة (الردة) التي ظهرت في جزيرة العرب قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأعاد إلى هذه الجزيرة وحدتها السياسية، انتهز عودة الجيوش العربية الظافرة فسير بعضها إلى الشام والبعض الآخر إلى العراق لفتح بلاد هي عربية قبل

كل شيء، ألا وهي بلاد الفساسنة والمناذرة، ولكن القتال مع هؤلاء ترقى بطبيعة الحال إلى قتال مع الدولتين الحاميتين لهم أى مع دولتي الروم والفرس. ونحن متكلمون أولاً على الحروب التي نشبت بين العرب والروم وانتشار الإسلام في الشام ومصر وبنى أفريقيا وأسبانيا. ثم نعود فتكلم على نشوب الحرب بين العرب والفرس وانتشار الإسلام في الأقطار الآسيوية التي دخلها الإسلام قرين السياسة.

(١) فتح الشام

سير أبو بكر الصديق إلى الشام جيشاً ضخمًا تبع عدته ٣٥٠٠٠ مقاتل، وكان أربعة أقسام :

- (١) قسم يقوده أبو عبيدة بن الجراح وكانت وجهته حصص.
- (٢) وقسم يهوده يزيد بن أبي سفيان وكانت وجهته دمشق.
- (٣) وقسم يقوده شرحبيل بن حسنة وكانت وجهته وادي الأردن.
- (٤) وقسم يقوده عمرو بن العاص وكانت وجهته فلسطين.

واقعة اليرموك سنة ١٣ هـ — فلما رأى ذلك هرقل امبراطور الروم قدم بنفسه إلى حصص، ومن ثم وجه أربعة جيوش تبلغ عدتها ٢٤٠٠٠٠ مقاتل لسحق الجيوش العربية. فلما رأى قواد العرب ذلك اتفقوا فيما بينهم على أن يجمعوا جيوشهم في صعيد واحد وأن يزلوا جميعاً اليرموك. فأمر هرقل قواده أن يزلوا اليرموك أيضاً وبقى الجمعان متواقفين ثلاثة أشهر، فأوجس أبو بكر في نفسه خيفة على المسلمين وأمر خالد بن الوليد بالسير من العراق إلى الشام، فقدم خالد وعهد إليه قواد العرب أمر القيادة، فعبأ الجيوش تعبئة قائد خبير ثم حمل على الروم فهزمهم وأفنى أكثر جيشهم وانتصر العرب انتصاراً مبيناً. وفي أثناء المعركة جاء البريد ب وفاة أبي بكر وتولى عمر بن الخطاب وعزل خالد عن القيادة العليا وجعلها لأبي عبيدة، وذلك لأنهم كانوا ينقمها عمر من خالد.

وكانت واقعة اليرموك فاصلة في أمر الشام، فقد استولى أبو عبيدة وخاله بعدها على دمشق وعلى مدن الساحل وكذلك حمص واللاذقية وقنسرين وحلب، واضطر هرقل أخيرا إلى الفرار إلى القسطنطينية .

فتح القدس سنة ١٥ هـ — وفي أثناء ذلك كان عمرو بن العاص يحشد في فتح فلسطين . وكان أرطين حاكم فلسطين قد بث الجند في بيت المقدس وغزة والرملة، ورابط بجيشه في أجنادين شرق بيت المقدس . ففصل عمرو فصائل من جيشه لمراقبة تلك الجنود ، ثم زحف بمعظم الجيش إلى أرطين فهزمه عند أجنادين واضطره إلى الفرار إلى مصر . واستولى عمرو عقب الواقعة على مدن الساحل الفلسطينية . وأما بيت المقدس فحاصره أربعة أشهر وأبى بطريقه (سثرونيوس) أن يسلم المدينة لأحد غير الخليفة نفسه . فجاء عمر فلسطين وتسلم المدينة وأبني بها مسجده المشهور .

(ب) فتح مصر والنوبة

عند ما قدم عمرو بن الخطاب إلى بيت المقدس لتسلمه سنة ١٥ هـ . اقترح عليه عمرو بن العاص أن يبعثه بجيش لفتح مصر فلم يجبه عمر إلى ذلك . فلما كان عام ١٨ هـ . واضطربت حال الشام عقب طاعون (عمواس) قدم عمر إلى دمشق فأعاد عمرو اقتراحه . وقد أجابه الخليفة هذه المرة وهو متخوف متردد . ومن الحجج التي أدلى بها عمرو تبريرا لما طلب : (١) أن مصر مضطربة الحال مفتحة الأبواب ؛ (٢) أنها غنية جدًا ؛ (٣) أن أرطين الذي كان حاكم القدس قد لجأ إليها وأخذ يحشد الجنود ليسترد الشام .

زحف عمرو على مصر — غادر عمرو قيسارية على رأس ٤٠٠٠ مقاتل وبلغ العريش سنة ١٨ هـ . ثم سار منها إلى القرما فاستولى عليها من غير جهاد كبير وجردها من معدات دفاعها ، ثم سار إلى بابيس ملتزما حدود الصحراء فلما بلغها قاتل

الروم عندها وقتل قائدهم أرطبين واستولى على البلد، ثم تركها الى قرية أم دين الواقعة على رأس الدلتا^(١).

واقعة عين شمس سنة ٢٠ هـ — على أن عمرا أدرك حرج موقفه فأرسل الى الخليفة يستمده وشغل جنده في أثناء ذلك بغزو الفيوم، فلما جاء المدد وقدره ٤٠٠٠ مقاتل عسكر بجميع جنوده شمالى عين شمس ثم التقى بالروم في واقعة عين شمس المشهورة وهزمهم هزيمة كان من أثرها سحق الجيش الرومانى والاستيلاء على الإقليم المسمى مصر الواقع عند رأس الدلتا وإتمام إخضاع الفيوم والشروع في حصار حصن بابلون.

أخذ حصن بابلون سنة ٢٠ هـ — وكان المقوقس رئيس بضركية الإسكندرية في ذلك الوقت داخل الحصن وكانت له مآرب سياسية يؤدّ الوصول إليها بكل الوسائل، فأخذ يئس الروم من الانتصار على العرب وأستطاع أن يعث وفدا الى جزيرة الروضة لمفاتيحة العرب في أمر الصلح فلم يفلح الوفد أولا، ثم عقد الصلح أخيرا على أن يؤدّى الروم للعرب الجزية، وكتب المقوقس معاهدة بذلك وبعث بها الى هرقل ليقترها. فدهش الامبراطور لذلك ولم يقتر المعاهدة بل أستدعى المقوقس الى القسطنطينية، فلما رأى العرب ذلك واصلوا الحصار وبيناهم كذلك اذ بلغهم موت هرقل فكان ذلك مثبطا للرومان مقويا للعرب، وتسوّر الزبير بن العوام الحصن وتبعه الجند، فاستسلمت الحامية الرومانية لهم.

فتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ — وعلى أثر ذلك شرع عمرو في الزحف الى الإسكندرية فالتقى بالروم في طريقه اليها عند دمنهور، فهزمهم في واقعة كبيرة انحاز بعدها الجيش الرومانى الى الإسكندرية واقتفى العرب أثرهم. وكانت الإسكندرية اذ ذاك مدينة عظيمة حصينة بها نحو ٥٠,٠٠٠ مقاتل وكانت فوق ذلك مفتوحة من ناحية البحر. لذلك ترك عمرو بظاهرها جيشا يحاصرها ثم سار هو لفتح المدن

(١) وموقعها الآن ما بين الأزبكية وعابدين.

الساحلية . وفي أثناء ذلك عاد المقوقس الى الاسكندرية وأخذ يعمل على إنفاذ مآربه القديمة . وقد أفلح سعيه هذه المرة اذ أقنع الامبراطور الجديد بضرورة تسليم الاسكندرية . ثم شرع يفاوض عمرو بن العاص في شأن الصلح والتي به في بابلون وعقدا معاهدة تقضى بأن تؤدى الجزية للمسلمين وأن تجلو الجيوش الرومانية عن الاسكندرية والا يتدخل المسلمون في الشؤون الدينية المسيحية وأن يسمح لليهود بالاقامة بالاسكندرية مع شروط أخرى . وبمقتضى هذه المعاهدة دخل العرب الاسكندرية وتم لهم الاستيلاء على مصر . ثم غزوا على أثر ذلك بلاد النوبة وصالحوا ملكها على جزية يؤديها لمصر كل عام .

(ج) فتح بلاد المغرب

لم يكد عمرو بن العاص يفرغ من مصر حتى شرع في الزحف غربا وقد تم له فتح الاقليم المعروف بيرة ثم صار ولاية مصر من العرب من بعده يعملون على إخضاع بلاد المغرب وإدخال الإسلام فيها فكانوا يلقون في ذلك عناء عظيما وذلك لوعورة أرض المغرب وتثايلها عن المشرق ولاستبسال البربر في القتال زمن الحرب وعدم إخلادهم الى الهدوء زمن السلم ولأن الروم كانوا يساعدون البربر احتفاظا بسلطانهم في تلك البلاد بعد أن زال سلطانهم عن الشام ومصر . هذه الصعاب كلها جعلت الإسلام يسير في بلاد المغرب سيرا بطيئا بل جعلته أحيانا يرجع القهقري . كما حدث عند ما تجمع الروم والبربر على عقبة بن نافع وقتلوه هو ومعظم جيشه سنة ٦٢ هـ . وعند ما ثاروا بزهير بن قيس البلوى وقتلوه ، وعند ما قامت الكاهنة (دهياء) والتفت البربر حولها (٧٤ - ٧٩ هـ) على أن البربر نزلوا أخيرا على حكم العرب عند ما عهد أمر إخضاعهم الى القائد الكبير موسى بن نصير فإنه قمع فتنهم ونشر فيهم الإسلام .

(د) فتح الأندلس

بعد أن تم لموسى بن نصير أمر المغرب ولى على طنجة وما حولها مولاه طارق ابن زياد وعاد هو الى القيروان عاصمة المغرب لذلك العهد . وكانت حال الأندلس

في ذلك الوقت مختلة معتلة لضعف الحكومة القوطية التي كانت تحكمها . فطمع طارق في فتحها فعبّر الزقاق (مضيق جبل طارق) بإذن موسى سنة ٥٩٢ هـ . ونزل بشاطئ أسبانيا الجنوبي والتحم بالقوط يقودهم ملكهم (رذريق) في معركة عظيمة على النهر المعروف بوادي بككة . فهزمهم واستولى على المدن الأندلسية الجنوبية ثم سار الى طليطلة عاصمة الدولة القوطية واستولى عليها . وعند ذلك التحق به موسى ابن نصير ليفوز بشرف الفتح وسار القائدان العظيمان معا يفتحان مدن الأندلس حتى بلغا جبال البرانس وبذلك أصبحت أسبانيا (ما عدا الجزء الشمالى الغربى) يخضع عليها علم الدولة الإسلامية . وقد أتيج لتلك الأرض أن تقوم بها للمسلمين دولة عظيمة هي الدولة الأموية الأندلسية وحضارة رائعة يذكرها التاريخ بكل إعجاب .

(٥) قيام البحرية الإسلامية وفتح أكبر جزائر

البحر الأبيض المتوسط

كان الباحث للعرب على إنشاء الأساطيل البحرية خوفهم من غارات الروم على الشام ومصر من ناحية البحر . وقد أنشأ معاوية بن أبى سفيان أيام ولايته على الشام لعثمان بن عفان أسطولا لهذا الغرض وجعل عليه عبد الله بن قيس الحارثى . وقد فتح هذا الأسطول جزيرة قبرس وساعده في ذلك الأسطول المصرى يتموده عبد الله بن سعد بن أبى سرح .

واستولى المسلمون بمرور الزمن على أهم جزائر البحر الأبيض المتوسط . ففى عام ٢١٠ أخرج عبد الله بن طاهر والى مصر مهاجرة الأندلس من الاسكندرية الى اقريطش (كريت) بعد أن زودهم بالمال والسلاح فساروا اليها وافتتحوها ونشروا فيها الاسلام . وافتتح المسلمون جزائر البليار عند فتحهم أسبانيا في أواخر القرن الأول الهجرى . وكذلك افتتحت الدولة الأغلبية التي كانت حاکمة تونس (١٨٤ - ٥٢٩٦) جزيرة صقلية وجنوبى إيطاليا فكان ذلك سببا في قيام حضارة إسلامية بصقلية

لا يزال بعض آثارها ماثلاً الى اليوم . فلما ظهر الترك العثمانيون استولوا على رودس وكثير من جزائر بحر الأرخيل وأدخلوا فيها الإسلام .

(و) فتح العراق (١٢ - ١٤ هـ)

كانت وقائع خالد بن الوليد وغيره من قواد العرب مع المرتدين في البجامة والبحرين يتطابق شررها الى القبائل العربية النصرانية النازلة ببادية العراق والمخنمية بالحكومة الفارسية فكانت خلل لا تخلو من قتال بين الفريقين . وهذا هو السبب القريب في قيام الحرب بين العرب والفرس غير أنه كان ثمة سببان جوهريان لهذه الحرب هم ، رغبة أبي بكر في نشر الاسلام وشغل العرب بالجهاد بعد حروب الردة . لذلك أمر خالد بن الوليد بعد انتهائه من واقعة البجامة أن يسير الى العراق وينضم بجيشه الى جيش المثنى بن حارثة الذي كان يقاتل في البحرين . وكذلك أمر عياض بن غنم أن يلاحق بهما . فاجتمع جيشا خالد والمثنى وكانت عدتهم نحو ٢٠,٠٠٠ مقاتل والتقى خالد بالفرس في واقعة (الحفير) فكان النصر لخالد . وقد أثار ذلك الانتصار عصبية بكر وتعب النازليين غربى الفرات وبعثهما على طلب الثأر لمن قتل خالد منهم . ونصم اليهم كثير من الجند الفارسي . فلما علم بذلك خالد سار اليهم والتقى بهم في واقعة (الليس) وانتصر عليهم بعد قتال عنيف .

وزحف خالد بعد ذلك الى الحيرة عاصمة المبادرة فاستسلمت اليه بشروط معينة ثم ذهب لنجدة عياض بن غنم عند دومة الجندل فاستولى على هذه البلدة وعاد الى الحيرة والتقى بتغلب والفرس في واقعة القراض وانتصر عليهم . ثم خرج الى الحج خفية وعاد ولم يشعر جنده بذلك . ولما علم أبو بكر بحججه هذا عتب عليه وأمره بأن يتوجه بنصف الجيش الى الشام حيث كان المسلمون مرابطين باليرموك كما تقدم القول فاطاع خالد واستحلف على بقية جيش العراق المثنى بن حارثة .

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ — رأى المثنى بن حارثة بعد ارتحال خالد قلة جنده وخرج موقفه خف الى المدينة ليخبر أبا بكر بحقيقة الحال فوجده في مرضه

الأخير . فلما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كان أول ما عمله أن نفذ مشيئة أبي بكر فأرسل مددا إلى المثنى يقوده أبو عبيدة بن مسعود الثقفي . فانتصر أبو عبيدة في أول الأمر على الفرس ولكنهم خالف نصيحة القائد المجرب المثنى بن حارثة فاشتبك مع الفرس في واقعة الجسر التي انتهت بقتله وفناء معظم جيشه . فلما بلغ الخليفة ذلك جد في إرسال الجند إلى العراق . أما المثنى فترجع إلى حدود الصحراء واستمد من يليه من القبائل العربية النصرانية فأمدوه عصبية منهم لإخوانهم العرب واشتبك مع الفرس في واقعة البويب فكان النصر له عليهم .

في ذلك الوقت تولى على الفرس شاب حمي هو يزدجرد آخر آل ساسان فعزم على طرد العرب من بلاده وساق على العراق ١٢٠,٠٠٠ مقاتل يقودهم قائده رستم . فرأى المثنى أن لا قبل له بلقاء ذلك الجيش الجرار وتراجع مرة أخرى إلى الصحراء ريثما ترد عليه النجدة من المدينة . ولكنه لم يمد له في عمره حتى يرى آثار إخلاصه وحسن بلائه فقد توفي بعد قليل من الزمن من جراح أصابته في واقعة الجسر .

ومن حسن حظ الجيش العربي أن أدركته النجدة يقودها سعد بن أبي وقاص . رابط سعد في سهيل القادسية بجيش يبلغ (مع مدد جاء من الشام أثناء القتال) ٤٠,٠٠٠ مقاتل . وكان الجيش الفارسي حياه على الجانب الشرقي للفرات . وظل الجيشان متواقفين مدة طويلة حتى نفذ صبر يزدجرد وأمر رستم ببدا القتال فعبّر رستم الفرات ونشب بين الفريقين قتال عظيم دام ثلاثة أيام ثم انجلى عن انتصار باهر للعرب . وكانت تلك الواقعة فاصلة في شأن العراق فانها استتبعته ارتجاع الحيرة وما والاها من المدن التي كانت سقطت في أيدي الفرس ثم الزحف إلى المدائن عاصمة الفرس وأخذها . كذلك كان من نتائجها فرار يزدجرد واستيلاء العرب على الأرض الواقعة جنوبي الموصل وقرقيسيا . وعند ذلك أمر الخليفة سعدا ألا يتابع الفتح واكتفى من بلاد الفرس بالعراق . فاتخذ سعد المدائن مقرا له وشرع ينظم شؤون الحكومة الجديدة . غير أن غارة من الفرس على العرب كانت السبب في واقعة

جلولاء التي استولى بها العرب على حلوان . وفتر يزدجرد الى الري وأصبحت جبال زجروس حدًا فاصلا بين العرب والفرس .

(ز) فتح فارس

واقعة نهاوند سنة ٢١ هـ — على أن عمر بن الخطاب اضطر لأن يأذن للعرب بمناجزة الفرس لتوالى غارات هؤلاء عليهم . فأمر سعد بن أبي وقاص أن يسير الجنود بقيادة النعمان بن مقرن لقتال الفرس فالتقى النعمان أخيرا بالفرس قرب نهاوند وانتشب بين الفريقين قتال عنيف قتل فيه النعمان بن مقرن فقام مكانه حذيفة ابن اليمان فحمل على الفرس وهزمهم شر هزيمة .

وكانت هذه الواقعة فاصلة في شأن فارس اذ استتبعت استيلاء العرب على همدان والري كما استتبعت فرار يزدجرد الى ماوراء النهر (حيث توفي في خلافة عثمان) ثم أمر عمر ففتح العرب الأقاليم الفارسية التي لم تكن فتحت .

(ح) فتح أواسط آسيا ودخول الإسلام فيها

حدث في فارس بعد وفاة عمر بن الخطاب خروج عام على العرب فأمر عثمان والى البصرة عبد الله بن عامر بأن يجمع هذه الثورة ، فقام ابن عامر بذلك سنة ٣١ هـ . ثم تابع الزحف متجها شمالا بشرق فاستولى على أكبر مدن خراسان وهي نيسابور ومرو وسرخس وبلغ بلخ وطخارستان . فلما كان عصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فتح العرب الاقليم المسمى « ما وراء النهر » (٨٦ — ٩٦ هـ) وكان فتحه على يد قتيبة بن مسلم عامل خراسان ، فاستولى على بخارى سنة ٨٨ هـ . وسمرقند سنة ٩٢ هـ . وبلغ حدود الصين سنة ٩٦ هـ . وأصبح الإسلام دين أهل تلك البلاد وزهت بها المدنية الاسلامية زهاء عظيم .

(ط) فتح الهند وانتشار الإسلام فيها

قد بلغ العرب في فتوحهم الاسلامية الأولى جهات الهند الشمالية ولكنهم لم يستقروا بها ولا استداموها إقليما تابعا لهم . فلما كانت ولاية الحجاج على العراق والمشرق وجه الى الهند محمد بن القاسم سنة ٩٢ هـ . لفتحها ونشر الاسلام فيها . فسار ابن القاسم في جيش لا يزيد عن ١٠,٠٠٠ مقاتل ففتح السند والبمبج . ووقف الفتح العربي عند هذا الحد لاضطراب أمر بني أمية وظل إقليم السند زهاء قرنين من الزمان يحكمه أمراء من العرب .

على أن الفتح الحقيقي لبلاد الهند ونشر الاسلام فيها إنما جاء على أبدي أترك نراسان لا عرب الجزيرة . وقد قام بذلك العمل الجليل أربع دول تاريخها في الحقيقة متصل غير منفصل الأولى الدولة الغزنوية التي حكمت بلاد الأفغان والسجاب (٣٥١ - ٥٨٢ هـ) وكان أكثر جالها جدا في فتح الهند محمود بن سبكتكين . الثانية الدولة الغورية التي حكمت بالأفغان وبلاد الهند (٥٤٣ - ٦١٢ هـ) وقد دان لها سهل الهندستان كله . الثالثة دولة سلاطين دهلي (٦٠٢ - ٩٦٢ هـ) وكان مقر حكومتها بالهند نفسها لا خارجها كما كانت الحال من قبل . الرابعة دولة المغول بالهند كلها (٩٣٢ - ١٢٧٥ هـ) وقد انبسط سلطانها على الهند كلها نغريا وظلت كذلك حتى اضمحات وآت الزعامة على الهند الى الانجليز في أواسط القرن الثالث عشر الهجرى .

ولا بأس بأن نلّم في هذا المقام بأهم الأمور التي مكنت المسلمين وهم فئة قليلة أجنبية من أن ينزلوا بلاد الهند على سعتها وكثرة سكانها واختلاف لغتها . وفسسوا لهم بها الدول ذات الأعمار الطويلة . إن الهند على الرغم من كثرتهم اذلة كانوا طوائف متقاطعة متخذة من الوجهتين السياسية والأدبية . وكان سوادهم الأعظم من طبقة الزراع المستضعفة من قديم الزمان والتي أمات الاستبداد ما بها من حب الاستقلال فأصبحت لا تهتم لسقوط حكومة وقيام أخرى ما دام الكفاف من

العيش ميسورها . لذلك قلما نجد الهنود يناهضون المسلمين . أما المسلمون فكانوا بإزاء ذلك يدا واحدة يقاتلون لنصر الاسلام ونشره بين الوثنيين . ثم إن الديمقراطية التي يتصف بها الاسلام قد جعلت كثيرا من الهنود يدخلون في الاسلام في حين أن من لم يدخل فيه كان يفضل حكومة المسلمين لأجنبية على حكومة (الراجات) الوطنية لأن الأولى كانت أبرّ بهم وأرحم .

(ى) دخول الاسلام فى جنوب، أوروبا الشرق

للتürk فضل كبير فى نشر الدين الاسلامى فهم لذين نشره فى بلاد الهند كما تقدم القول، وهم الذين عملوا على حفظه من غلبة التشيع فى القرن الخامس الهجرى كما يعلم المطالع على تاريخ السلاجقة، وهم الذين رفعوا اواءه ردحا من الزمن بجنوب أوروبا الشرق .

والترك عامة فرع من الجنس التترى لذى حكم كثيرا من البلاد الأسيوية فى الأزمنة القديمة . ومواطن الترك الأصلية هى سهول بحر قزوين وبحر آرال وما وراء النهر وما والاها من الجهات . وقد تدرجوا فى الظهور فى التاريخ الاسلامى فكلوا أول الأمر خدما فى بيوت الأمراء وقصور الخلفاء بخندا فولاة أقاليم فسلطين إبان حكم السلاجقة وخلفائهم من الأتابكة . ولما جاء التتار فى القرن السابع الهجرى قضوا على بقايا السلاجقة إلا دولة الروم الساجوقية بآسيا الصغرى فانها امتعت عليهم حيناً من الزمن . وكان من بين القبائل التركية الخراسانية التى سارت مغربة فرارا من التتار قبيلة صغيرة تعرف (بالأوغوز) يبلغ عددها ٤٠٠ فارس . تلك القبيلة هى أس الترك العثمانيين الذين أتموا فتح آسيا الصغرى وأقاموا دولة إسلامية عظيمة بجنوب أوروبا الشرق .

سار بهذه القبيلة زعيمها المسمى (أرطغرل) يرتاد لقومه منتجعاً فأدى به السير الى آسيا الصغرى . وبينما هو ذات يوم يطاع'ذ رأى فيما يروى جيشين يقتتلان وآس فى أحدهما علائم الانهزام . فأنحاز اليه كرماً منه فتغيرت بذلك حال الجيشين

المتحاربين اذ انهزم الذى كان هازما وغلب الذى كان من قبل مغلوبا . وما لبث أرطغرل أن علم أنه نصر السلطان علاء الدين السلجوقى على جيش ترى . واعترافا له بتلك اليد البيضاء أقطعه السلطان المذكور أرضا له على حدود الدولة البيزنطية . فى آسيا الصغرى عرفت فيما بعد (بسلطانوى) ذلك الإقطاع هو أس الدولة التركية العثمانية .

نمو الدولة التركية — ولبث أرطغرل أميرا على ذلك الإقطاع حتى توفى سنة ٦٨٠ هـ . فتولى بعده ابنه عثمان الذى ينسب اليه الترك (٦٨٠ — ٧٢٦ هـ) فنبت قدمه فى إقطاعه ، ثم شرع فى الاستيلاء على الحصون البيزنطية التى نتاخم أرضه حتى قارب (بروسه) ، وفى عام ٦٩٩ هـ . قضى التتار على الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى فكان ذلك سببا فى استقلال سلطانوى ومن ذلك الحين أخذ سلاطين الترك يعملون من جهة على إخضاع جميع آسيا الصغرى لسلطتهم ومن جهة أخرى على التدخل فى شئون الدولة البيزنطية بقصد الاستفادة من ضعفها ثم إسقاطها والحلول محلها . وقد تم لهم ذلك كله . والذى بدأ سياسة الفتح الأوربية هو أرخان ابن عثمان (٧٢٦ — ٧٦١ هـ) فانه بعد أن نظم شئون دولته وأنشأ جيش الانكشارية الشهير أخذ يتدخل فى الشئون الأوربية وكانت الدولة البيزنطية اذ ذاك فى منتهى الانحطاط وكان يتنازع عرشها رجلان أحدهما يسمى ككتاكوزين والآخر بالبولوغ وكان كل منهما يستعين أرخان على خصمه . فمد أرخان يد المساعدة الى أولهما فكافأه على ذلك بأن زوجه من ابنته ، وعند ما زحف الصربيون على القسطنطينية فى عام ٧٥٣ هـ . استعان ككتاكوزين بصهره أرخان فأرسل اليه مددا يقوده ابنه سليمان . وقد تمكن ككتاكوزين بهذا المدد من رد الصربيين . ولكى يكافئ سليمان على صنيعه هذا نزل له عن حصن (ترمب) القائم بالشاطئ الأوروبى للدردنيل وانفق فى العام القابل أن حدث زلزال عظيم فى تراقية دك حصون البلاد وهدم أسوار غاليبولى فاستولى عليها الترك فكان ذلك بدء ملكهم بأوربا .

وفي عهد السلطان مراد الأول (٧٦١ - ٧٩٢ هـ) بلغ الترك في فتوحهم نهر الطونة بعد أن هزموا الصرب والبغار والمجر والأفلاق والألبان في واقعة (قوصوه) الشهيرة سنة ٧٩٢ هـ . وبهذه الفتوح كلها أصبحت أملاك الترك تكتنف القسطنطينية من جميع جهاتها . وبذلك طمع محمد الثاني الملقب بالفاتح (٨٥٥ - ٨٨٦ هـ) في أخذها والقضاء على الدولة البيزنطية ، وقد تم له ذلك في عام ٨٥٧ هـ . وأصبحت القسطنطينية عاصمة الدولة التركية . وقد اتبع محمد الفاتح ذلك العمل الخطير بأن أتم إخضاع البوسنة والصرب والمورة وجزائر الأرخيل وشواطئ البحر الأسود الجنوبية والقرم وألبانيا . ونزلت جنوده بجنوبي إيطاليا . وبذلك أصبحت شبه جزيرة البلقان بأيدي الترك .

ثم وقف نمو الدولة التركية في أوروبا لأن بايزيد بن مراد الأول لم يكن ميالا للغروب بوجه عام ولأن سليمان ابنه (٩١٨ - ٩٢٦ هـ) شغل بحاربة الفرس وممالك مصر والشام وكان مظفرا في حروبه فقد أذل الفرس وأدخل الشام ومصر في حكم الترك وحمل فيما يقال الخليفة العباسي الذي كان مقبلا إذ ذاك بالقاهرة على أن ينزل له عن الخلافة ففعل وأصبحت الخلافة في آل عثمان .

فلما تولى ملك آل عثمان السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ) استؤنف الفتح والتوسع في أوروبا ففتح السلطان بلاد المجر ودفع جيوشه في النمسا حتى بلغ عاصمتها ويانا وحاصر هذه العاصمة مرتين ولكنه لم يستطع أخذها لمناعتها واستبسال أهلها .

ذلك أقصى ما بلغته حدود الدولة التركية في أوروبا . على أنها لم تستدم ذلك الملك الواسع طويلا فقد أصابها الضعف بعد القوة لفساد إدارتها وسياستها في الداخل ولنهوض الدول المجاورة لها : الروسية والنمسا وبولونيا واجتماعها كلها على محاربة الترك وانتقاص ملكهم فصار الترك ينجلون شيئا فشيئا عن أملاكهم الأوروبية وغير الأوروبية حتى أصبح ملكهم منحصرا في آسيا الصغرى .

٤ - الأقطار التى دخلها الاسلام بمجئز الدعوة

ومقدار انتشار الاسلام فى الوقت الحاضر

إن الأقطار التى سبق الكلام عليها هى التى شملتها الدول الإسلامية فى الأعصر الإسلامية المختلفة وهى التى دخلها الاسلام قرين السياسة . على أنه ينبغى ألاستفاد من ذلك أن الاسلام قام بالقوة كما يرى كثير من الناس مسلمين وغير مسلمين . فالحقيقة أن الدولة الإسلامية كانت من كثير من الوجوه ذات صفة مدنية وأنها نمت نمو الامبراطوريات الواسعة القديمة والحديثة . أما الدين الاسلامى فقد انتشر فى أكثر الأحوال بمجئز الدعوة من جانب الفاتحين أو بمجئز اطمئنان القلب اليه من جانب من فتحت عليهم بلادهم وذلك كما حدث فى الشام ومصر فقد دخلهما الاسلام والمسيحية فيهما متشعبة المذاهب متقسمة الآراء منحلة النفوذ فكان ذلك سبباً فى انصراف كثير من أهلها عنها ودخولهم فى الاسلام . وقد يكون انتشار الاسلام لسبب آخر هو مجئز الرغبة فى التخلص من دفع الجزية وأن يكون الذميون والمسلمون فى مستوى أدبى واحد . ونحن لانذهب بعيداً فى تقرير هذه الحقيقة فالقرآن والسنة حثا فى كثير من المواطن على احترام الذميين ودعوتهم الى الاسلام بالتى هى أحسن . وكان المسلمون عادة لا يكرهون أحداً على الدخول فى دينهم بل كانوا يكتفون منهم فى الغالب بالجزية والسيرة الحسنة .

وما يدل على صدق النظرية التى تقول بانفصال الدين عن السياسة فى التاريخ الاسلامى أن الدين الاسلامى قد دخل أقطارا كثيرة مجئزاً من وسائل الفتح والتغلب السياسى ونحن نختم هذا الفصل التاريخى بذكر هذه الأقطار ثم نتبع ذلك بكلمة تبين مقدار انتشار الاسلام فى أنحاء العالم فى زمننا الحاضر .

(١) الصحراء الكبرى - السودان - غرب أفريقية وشرقها

عرفناك قبلاً أن الإسلام دخل مصر والنوبة وبلاد المغرب فى الصدر الأول للإسلام، والآن نقول إن الدين الإسلامى قد سرى أثره من هذه الأقطار الى الأقطار

الأفريقية التي تليها وهي الصحراء الكبرى وبلاد السودان وغربي أفريقيا . وكان ذلك في أغلب الأحوال يجتد الدعوة ومحض اختلاط المسلمين بأهل تلك الأقطار من وثني البربر والزنوج . وقد ابتدأ ذلك منذ القرن الخامس الهجري عند ما قام عبد الله بن يس داعية الدولة المرابطية وعمل على نشر الإسلام في قبائل الصحراء الكبرى . وقد تابعه في ذلك ابن تومرت الملقب بمهدي الموحدين (٥٢٤ - ٦٦٥ هـ) ثم قني على أثره هؤلاء في نشر الدعوة بالصحراء الكبرى والسودان وغربي أفريقيا مشايخ الطرق التي ظهرت في شمال أفريقيا وأخصها القادرية والتيجانية والسنوسية . فبمجهودات هؤلاء جميعا أصبح الإسلام دين تلك الأقطار، مع أنها خاضعة لدول أوربية مسيحية قوية .

وكما انتشر الإسلام في تلك الأقطار يجتد الدعوة فإنه انتشر كذلك في شرق أفريقيا، فقد دخل الإسلام منذ الصدر الأول بلاد الصومال وزنجبار والجالا وكان ذلك بارتحال رجال من عرب اليمن الزيديين وعرب البحرين الى تلك الجهات واستقرارهم بها وللعلاقات التجارية التي كانت على العموم بين عرب الجزيرة وبين وثني تلك الجهات .

(ب) روسيا

دخل الإسلام بلاد روسيا في زمن الدولة العباسية (القرن الرابع) وكان دخوله في الأقاليم الروسية المعروفة إذ ذاك ببلاد البلغار، وهي عبارة عن حوض نهر الواغا وكان دخوله تلك النواحي للعلاقات التجارية التي كانت بين المسلمين وبين أهل هذه البلاد . على أن الإسلام نما وانتشر في جنوبي روسيا وجنوبها الشرقي عند ما غلب عليها التار المعروفون بالطائفة الذهبية في القرن السابع الهجري . فإنهم اعتنقوا الإسلام بمحض رغبتهم، وأول من فعل ذلك منهم ما كهم الوثني بركة خان (٦٥٤ - ٦٦٤ هـ) الذي كان معاصرا وحليفا للظاهر بيبرس سلطان مصر لذلك العهد . ولا يزال الإسلام دين هذه الجهات حتى يومنا هذا .

(ج) الصين

ليس بأيدينا من المصادر الموثوق بها ما يبين تاريخ دخول الإسلام بلاد الصين وانتشاره بها . على أنا نعرف من بعض المصادر الصينية والإسلامية أنه قد كانت علاقات سياسية بين الدولتين الإسلامية والصينية منذ خلافة عثمان بن عفان ، وقد ابتعث هذه العلاقات استعانة فيروز بن يزدجرد بامبراطور الصين لارتجاع بلاده . وتقول التواريخ الصينية كذلك إن سفيرا صينيا قدم على الخليفة هشام بن عبد الملك موفدا من قبل امبراطور الصين . وان الأمبراطور هسوان تسنج عند ما ثار به بعض رعيته واغتصب منه العرش استعان بالخليفة المنصور العباسي ، فأرسل اليه الخليفة جنودا إسلاميا ارتجع به بعض مدنه من الثوار . وقد استقر هؤلاء الجنود بالصين ولم يعودوا الى بلادهم فكان ذلك بدء استقرار الاسلام بالصين . على أن العلاقات التجارية التي كانت بين العرب والصين من قديم الزمان كانت سببا آخر في سكنى عدد غير قليل من تجار المسلمين بالثغور الصينية . فلما كانت غارة التتار في القرن السابع الهجري وما حدث على أثرها من اضطراب في العالم الإسلامي الشرق نزح عدد كبير من الصناع والتجار المسلمين الى بلاد الصين واستقروا بها وابتنوا المساجد وانتظموا في سلك الحكومة الصينية .

(د) أرخييل الملايو

قد دخل الإسلام جزيرة سومطرة منذ القرن الأول الهجري ، وكان ذلك بواسطة تجار العرب . ثم بما بهذه الجزيرة على مر الزمن بواسطة دعاة وتجار من الهند وبلاد العرب على السواء كما يستفاد من كلام الرحالة الإسلامي ابن بطوطة والرحالة الايطالي ماركو بولو (القرن السابع الهجري) ودخل الإسلام كذلك جزيرة جاوه في القرن السادس الهجري وعظم شأنه بها حتى قامت بها حكومة إسلامية قوية . ثم اقتبست الإسلام من هاتين الجزيرتين سائر جزائر الملايو — بورنيو وسيليس والفلبين . وكذلك اهـند الصينية ، هذا والإسلام في الوقت الحاضر أخذ يتغلب على الوثنية

في جزائر الملايو وقد بلغ عدد حجاج المستعمرات الهولندية بتلك الجزائر في سنة ١٩١٠ نحو ٢٤٠ ، ١٤ حاجا .

انتشار الاسلام في الوقت الحاضر — هذه هي الأقطار التي دخلها الإسلام بمجود الدعوة . ولا يستفاد مما تقدم أن هذه الأقطار والأقطار التي دخلها الإسلام مع السياسة الإسلامية بحجة ، فقد تقلص ظل الإسلام عن بعضها كالأندلس وأكثر الأملاك العثمانية الأوروبية وبعضها توجد به أقلية إسلامية كما هي الحال في الصين والهند بوجه عام . وقد اختلفت الإحصائيات في تقدير عدد المسلمين في أنحاء العالم في الوقت الحاضر ، والمتفق عليه أنهم لا يقلون عن ٢٠٠ مليون نسمة ولا يزيدون عن ٢٥٠ مليون نسمة .

مكة المكرمة

مجل الكلام على مكة — أسماءها — موقعها — جبالها — شوارعها وحاراتها — أقسامها الهامة — مبانيها — مستشفى الغرباء — التكية المصرية — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو داره — دار خديجة بنت خويلد — دار الأرقم — بسان الشريف عون الرفيق باشا — تأثير السيول في مكة وتاريخها — سكان مكة — جنسيتهم — أخلاقهم — أزيائهم — لغتهم — دينهم — عاداتهم — جزو مكة — تجارتها — نقودها — مياهها — عين زبيدة — أمراء مكة .

أسماء مكة — ذكر العلماء أن لمكة ستة عشر اسما نذكر أشهرها وهي أربعة نطق بها القرآن أولها : « مكة » قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَبْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ وقالوا سميت بذلك لقلة ماؤها ، أخذوا من قولهم : امتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه ، وقيل : لأنها تملك الذنوب أي تذهب بها ، وثانيها « أم القرى » قال تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، وثالثها « بكة » — بالباء الموحدة — قال تعالى

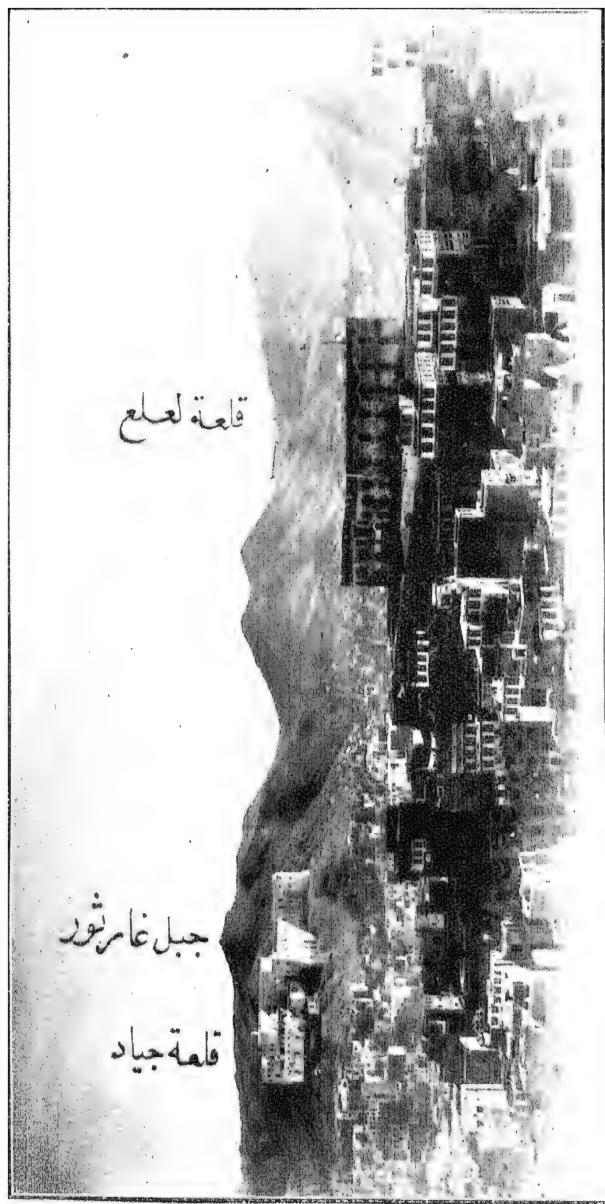
موقعها — مكة واقعة على ٢١ و ٢٨ ق عرضا شماليا ، وعلى ٣٧ و ٥٤ ق طولاً شرقى باريس ، وترتفع عن سطح البحر الأحمر بنحو ٢٧٩ متراً ، وهى عاصمة بلاد الحجاز ، وطولها من الشمال الى الجنوب ميلان ، وعرضها شرقاً من جبل أبى قبيس الى أسفل جبل قعيقعان من الغرب ميل واحد ، يقطع الماشى طولها فى نحو نصف ساعه ، ومع كون عرضها دون طولها يقطع فى زمن أكثر مما يقطع فيه الطول ، وذلك لوجود أماكن على تلال فى كل من جانبيها . وهى بيطن واد يحيط به سور من الجبال الشاخنة قد بنيت عليها الحصون المحكمة ، وليس بسورها الجبل ثغرات إلا حيث مدّأخها الأربع ، ففى الشمال الشرقى الطريق الى مِئى ، وفى الجنوب الطريق الى ايمى ، وفى الشمال الغربى الطريق الى وادى فاطمة ، وفى الشرق الطريق الى جُدّة . وتلك الجبال تكوّن سلسلتين شمالية وجنوبية تتركب الأولى من جبل الفلج غرباً ثم جبل قعيقعان ثم جبل الهندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (بفتح أوله ومدّ آخره) وهو فى أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية تتركب من جبل أبى حديدة غرباً يتلوّه جبلا كُدَى وكُدَى (كلاهما بضم أوله والأوّل مقصور والثانى مصغر) بانحراف الى الجنوب ثم جبل أبى قبيس الى شرقيهما ثم جبل الخندمة .

شوارع مكة ومبانيها — نذكر لك أهم شوارعها وما فيها من البنايات الضخمة والمساجد والآثار مفردين الهام منها بالوصف التفصيلي قارين ذلك بالصور الكاشفة إن شاء الله فنقول : شوارع مكة ضيقة غير منتظمة ما عدا شارعاً مشهوراً يقطعها من جنوبها الغربى الى شمالها الشرقى يبتدئ من الشيخ محمود أو جرول ما زا باب العمرة الى أمام التكية المصرية ثم على المسعى وعلى طريق القشاشية وسوق الليل الى آخر مكة من جهة المعللة، وعرض الشارع بين ثمانية أمتار وعشرة وعشرين، ومن الحارات النافذة الى الشارع المذكور، حارة الباب، وحارة الشبيكة، والسوق

بدل لمع يقرأ الهندي

جبل غار ثور

60 bis— A view of the route from Mountain Abikobeis to Garsour.



قلعة لعلع

جبل غار ثور

قلعة جياذ

٦٠ مكرور من جبل ابى قيس الى جبل غار ثور



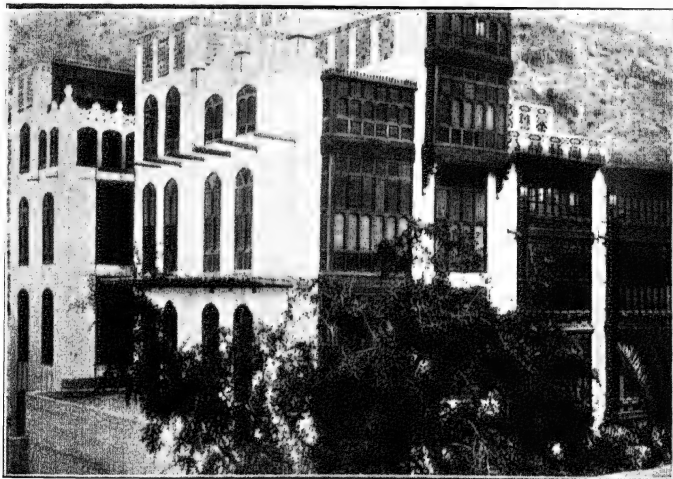
62. A view of the houses of Mecca on the modern style in Giad in 1321.

فإن الطباع والنسج كلها من اللواتي هي من أسرار الله تعالى في خلقه

179 42-20

سکن الوالی

منازل السيد عمر السقاف المشيده بمكة

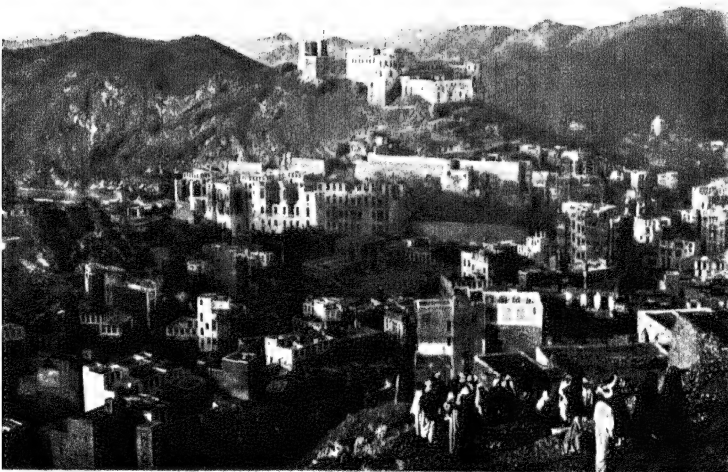


63. Houses built at Gyad, belonging to Sayed Omar El Sakkaf

[illegible]

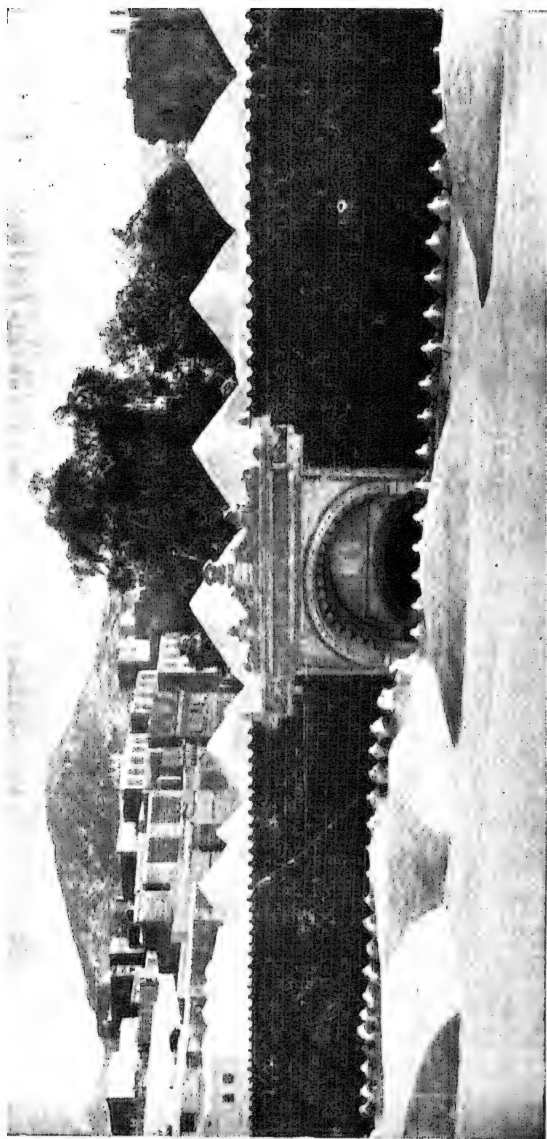


64. A view of the Turkish Barracks in Giad at Mecca in 1321.



65. The Southern view of the houses of Mecca and the Citadel of Uad.

منظرية مجموع في الشاهجة الكسرية



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في داره
مناجاة العباد ودار الجوارح
والصالحين والبر

70. The Charity house of Mohamed Fily Pasha at Mecca

الصغير ، وجياذ وسوق الليل وسوق الصفا والمسعى ، والقشاشية عن اليمين ، وبابها الغزة ثم سوق المعلاة والبياضية ، وعن يسار القشاشية المسعى الى المروة الذى به يسارا باب السلام ويمينا طريق المدعى ثم الجودرية ثم المحنطة ، ومن حارة الباب ينفذ الى سوق الشامية ومنه الى المروة (الرسم ٦٠) .

ومن الجهات التى بها مباني فخمة أو آثار جمّة :

(١) جهة جردول — وعندها جبل جحيشة وفيها الحفائر وبستان لدولة الشريف عون الرقيق وبتردى طوى الذى أغتسل منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو داخل الى مكة (رسم ٢٦) والمكان المعتاد للحمل المصرى «والمسافر خانة» التى بناها السلطان عبد الحميد وقدمنا لك وصفها ومقياس المياه الذى تراه فى شرق (الرسم ٦١) على شكل عمود .

(٢) المسفلة — فى جنوب المسجد الحرام وبها بستان الشريف عبد الله ومولد سيدنا حمزة والخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنهما .

(٣) شعب جياذ — فى الجنوب الشرقى للمسجد الحرام وهو أجمل مواقع مكة لعلوه وسعة طرقه وكثرة بيوته التى على الطراز التركى والتى يسكنها غالبا موظفو الولاية من الأتراك وفى مقدمتهم الوالى وترى فى (الرسم ٦٢) نموذجا منها وهو بيت للسيد محمد السقاف ذى الأملاك الواسعة بمكة والمدينة وجدة ، وكذلك فى (الرسم ٦٣) وبهذا الشعب التكية المصرية تجاه المسجد الحرام فى (الرسم ٧٠) ، وكذلك ديوان الحميدية مقر الحكومة العثمانية الذى تراه غربى المسجد فى (الرسم ٨٥) ، والثكنات العسكرية للجند الشاهانية التى تراها فى (الرسم ٦٤) ، وترى فيه خيما يسكنها الجنود الذين ليس لهم أماكن فى الثكنات .

والديوان والثكنات كلاهما من إنشاء الأمين الحازم المصلح الكبير المشير عثمان باشا نورى والى الحجاز وتجد مكتوبا على باب الحميدية الشرق :

دار حوت لسعد سلطاننا * عبد الحميد كل حسن وطيب
أشادها بحى أم القسرى * عثمان والينا بشكل عجيب
بشرى لنا قد جاء تاريخها * نصر من الله وفتح قريب

وعلى الباب الغربى :

دار سلطان الورى عبد الحميد * قد بدت كالبدر فى البيت الأمين
شادها عثمان والينا الذى * توج الأحكام بالعدل المبين
أترخ المجد ونادى فى العلا * أدخلوها بسلام آمين
وعلى الباب الجنوبى المتوسط كتب (دائرت حكومت سنه) .

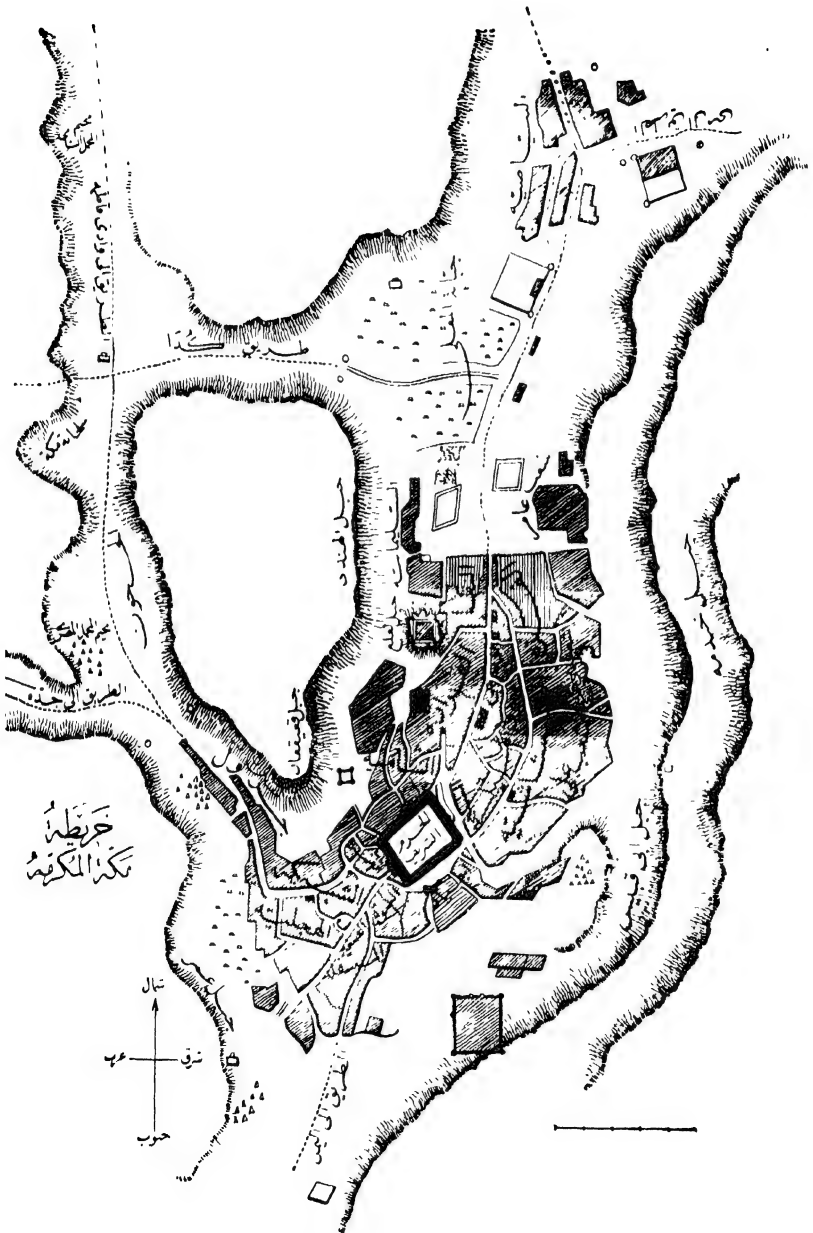
وعلى الباب الجنوبى الجانبي كتب سطر بالخط الثلث الجميل على شكل دائرة ،
العبارة الآتية (دائرة فرقة عسكرية) .

وفى جياذ أيضا ميدان لاستعراض العساكر وفيه المطبعة الأميرية ودار للبريد
(البوستة) والإشارات البرقية (التلغراف) ومركز الصحة ودار عظمة للشريف
عبد المطلب وبيت لأمين الدفاتر (الدفتردار) ومسجد صغير — زاوية — للشاذلية
وترى فى (الرسم ٦٥) منظرا عاما لجياذ ، والبناء الذى فى أعلى الرسم على قمة اجبل قاعة
جياذ .

(٤) القشاشية — فى شرق المسجد الحرام ويطل عليها جبل أبى قبيس ،
وفى الجهة الشرقية منها شعب على أو شعب بنى هاشم انظر (خريطة مكة) وبالقشاشية
دار الخيزران وهى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وبها بيوت بنى شعبة حجة

(١) لا عناية ولا نظام للإشارات البرقية ولا بالخطابات فقلها تصل إشارة الى صاحبها ، وخطابات
تحضر من جدة إلى مكة على ظهور الجمال فى عرارات (زكايب) وتلقى بطريقة فى دار البريد فيأتى الحاج
أو المطوفون أو خدمهم فيفرزون هذه المكاتبات فان عثروا على شيء لم أو لأصحابهم وأقاربهم أخذوه ،
وكان خليقا بالحكومة العثمانية أن تعنى بذلك عناية شديدة لأن أولئك الحاج الذين شط بهم المزار فى حاجة
الى تعزف الأخبار عن أهلهم وأصحابهم وربما تضمنت أخبارا هامة يترتب على جهلها ضرر كبير .

خريطة مكة المكرمة



هذا هو الشكل الذي كان عليه الحرم المكي في سنة ١٢٨٠ هـ الموافق ١٨٦٤ م



٥٦. Houses of Mecca as seen from the top of Abu-Kobis hills from the East, showing Gar Herak and the Birth Place of the Prophet. جَوَاهِرُ الْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ

منازل مكة من الشرق والشمال

صحيفة ١٨١

جَوَاهِرُ الْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ



67. The northern and eastern view of the houses of Mecca in 1321.

الكعبة، وبيوت محسن بك وعبد الله بك وأحمد باشا المجازى وكان واليا على الحجاز وهو والد المرحوم منصور باشا يكن ودار أبي سفيان التى جعلها الرسول عام الفتح مأمنا لمن لجأ اليها إذ قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهى الآن مستشفى وبها بيت حديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وبها أيضا بيت أبى جهل وهو الآن ميضأة تجاه باب المسجد الحرام المسمى باب النبى عليه السلام .

(٥) الغزة — فى الشمال الشرقى للمجسد الحرام وبها بيت الإمارة الذى شيده محمد على باشا جد الأسرة الخديوية ثم الملكية ويقم به الآن شريف مكة عون الزفيق باشا وتراه فى الشمال الشرقى من (الرسم ٦٧) وواضح بالرسم واجهتان منه إحداهما ذات « مشربيات » صنعت صنعا بديعا من الخشب الهندى الأحمر وفيها أيضا مخزن أميرى عام تخزن به الحبوب للحكومة والأهالى وكذلك مخزن كبير للصدقات والحبوب التى ترد من مصر كل عام ومن دونهم منازل لأهل مكة .

(٦) شعب بنى عامر — شمال الغزة به مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد من رضى الله عنه قريبا منه وبيوت لبنى هاشم . وهذه الجهات الشرقية كانت مساكن بنى عبد المطلب فى الجاهلية وفيها الآن كثير من الأشراف أما باقى قريش فكانوا فى الجهة الأخرى من المسجد الحرام خصوصا جهة الشمال انظر (مساكن الجهة الشرقية فى الرسم ٦٦) .

(٧) الشامية — فى شمالى المسجد الحرام مع غربيه وهى شارع تجارى عظيم أشبه بشوارع الموسيقى والتربعة والغورية وخان الخليل عندنا بمصر ويباع فيها السبح والأقمشة الهندية والتركية وفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذى يبيعه حجاج اليمن بأثمان رخيصة جدا .

(٨) القرارة — شمالى الشامية وبها منزل الشريف عبد المطلب أمير مكة

سابقا وهو البناء الفخم الذى تراه واضحا فى الشمال الشرقى (لرسم ٦٨) وفيه ترى منظرا عاما لبيوت القسم الشمالى وبالقرارة مسجد صغير — زاوية — للجيلانى .

(٩) السليمانية بها النقا والمنحنى والمعبدة والبياضية والمعللة أى

المقبرة — كلها شوارع وجهات فى شمالى المسجد الحرام فوق القرارة والغزة ، وبالمعبدة محل للصاغة وبيت للشريف غالب أمير مكة سابقا ومسجد الإجابة والراية ومساكن للهنود والحضارم ومحل للخضراوات والمسلّى والإبل والأغنام ومساكن « البيشة » وهم عساكر أمير مكة وكذلك بها مساكن قبائل من العربان وفيها معاطن للإبل ومرايض للغنم والبياضية منزل للسيد محمد صالح الشنّيبى أمين المفتاح وكذلك بستانله ، والمعللة من زمن بعيد مقبرة أهل مكة وتقدّم الكلام عليها مع رسومها .

وفى مكة على الجملة ٦ جوامع كبيرة خلاف المسجد الحرام و ٦٧ مسجدا ، المشهور منها مسجد الراية بشرق البلد ومسجد الحنّ بغيرها ومسجدا الإجابة والبيعة شمالها وزاوية السنوسى فى الجنوب الشرقى ، والسنوسى له فى الحجاز شأن كبير ومعظم الأعراب شيعة وكذلك أهل مكة وكثير منهم على طريقة يسمونها الرشيدية وأهلها أتباع الشيخ ابراهيم الرشيدى ، ومنهم الأدرسية أتباع الشيخ أحمد بن إدريس ، والمرغنية وهم شيعة المرغنى المعروف بمصر والسودان وبها محكمة شرعية تحت قبة مجاورة للمسجد الحرام بجهته الشمالية تراها شرقى المذنتين المتقاربتين فى (الرسم ٩١) والقبّة التى بينهما على المكتبة السليمانية وترى فى الشمال الغربى قلعة الهندى ، وسياق ذكر المكتبة والقلعة قريبا ، وظاهر بالرسم ست مآذن من مآذن المسجد الحرام ، والبناء الفخم الذى فى أعلى الشكل سرائى الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقا وقد احترقت . وفى مكة ٦ مدارس للعلوم و ٤٣ مكتبا للصبيان ، وكانت فى سنة ١٣٠٣ — ٣٣ وكان عدد التلاميذ بها ١١٥٠ وأشهر هذه المدارس المدرسة الصولية التى بناها الطيب الأثر الشيخ رحمة الله الهندى



68. The palace of El Sherif Abdul Mottaleb at El Karara in Mecca.

صاحب كتاب إظهار الحق ، ويدرس فيها القرآن وعلم التجويد وشيء من اللغة العربية والحساب والهندسة وينفق عليها من تبرعات أهل الهند ، ومدرسة أخرى تامل الأولى أو تزيد عليها . وبمكة مكتبتان صغيرتان الأولى في باب أم هانئ تسمى كتبخانه شرواني زاده محمد رشدي باشا والى الحجاز سابقا وأخرى في باب الدريية قرب باب السلام تسمى بالكتبخانه السليمانية أسسها السلطان عبد المجيد وكونها من شتات كتب المسجد وغيرها مما أرسله إليها من الاستانة ، ولكل مكتبة من هذين فهرس بخط اليد وأمين يقوم بشؤونها ، والكتب التي بهما نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وأكثرها باللغة العربية وفيها شيء بالفارسية والأوردية (الهندية) والتركية والجأوية (لغة الملايو) . وبمكة مستشفى عسكري وآخر للغراء - يأتي وصفه - وبها ١٧ مصنعا ومدفتان للجلود ومسلختان ومخزان كبيران . وبها قلاع ثلاث تحكم على المدينة ويقم بها عساكر الدولة : أولاها قلعة جيساد التي أنشأها في سنة ١١٩٦ هـ . الشريف سرور بن مساعد أمير مكة بعد أن اشترى م حوفا من البيوت وأنفق في عمارتها مالا كثيرا ، وقد نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعادها متقنا على أحسن شكل كما تراه في أعلى (الرسم ٦٥) ، وثانيها قلعة الهندى التي بناها الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٢١ هـ . في الجهة الشمالية وكانت صغيرة وحدث فيها خراب فعمرها ووسعها المشير عثمان نوري باشا شيخ الحرم ووالى الحجاز وقد أحكم بناءها ورتبها في سنة ١٣٠٠ هـ . زمن السلطان عبد الحميد الثانى ، وثالثها قلعة لعل التي أنشأها أيضا الشريف غالب أيام محاربة الوهابيين له وهو الذى أقام الأبراج بأطراف مكة . وبمكة حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر . واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ هـ . والثانى بالقشاشية ويسمونه حمام النبى . وبها ثلاث تكايا : أهمها التكية المصرية أدم باب المسجد الحرام المسمى باب جواد - وسياق وصفها - وفيها عشرون مسق - سبيلا - وعشرون صهريجا مملوءة بمياه عين زبيدة ، ويختلف طولها وعرضها من ٥ أمتار إلى ١٠ ، والعمق من مترين ونصف إلى ١٣ مترا ، وفم الصهريج سعة ٨٠ سنتيا

ولبعضهم فتحان وثلاث الى ٦ فتحات على خط واحد وتزح المياه منها بواسطة السقائين الذين أكثرهم من العبيد، وبيوت الأمراء أنابيب مائية ذات «حنفيات» . ومكة ١٩ رباطا يؤوى إليها الفقراء، و ٨٠ طاحونة خيل، و ٦٠ توراة، و ٩٥٥ قهوة بلدية رصت فيها «التكك» والكراسى التى مقاعدها شباك مصنوعة من الليف أو الخوص المجدول . ويشرب فيها الشاى والقهوة والرجيلة « الشيشة » التى يجهزونها بالتبناك الحى عادة ويكثرون استعمالها ويضيفون الى البن اليمنى الحبان والقرنفل والحبة السوداء مما يجعل للقهوة نكهة جميلة . وبها محجر صحى « كورتينا » معطل وصيدلية ومتجران كبيران للجوهرات الثمينة، و ١٧ مجيرة « كوشة » لعمل الحير، و ٨ مصانع للمخار، ومخزن كبير للغاز .

ومكة ٣٠٠٠ دكان و ٦٥٠٠ بيت مبنية بالحصى والحجر الأصم ذى اللون الأسود لتخله نقط حمراء وبيضاء . والبيت يتكون من طبقة الى خمس طبقات وأكثرها ليس به فناء، وأجمل بيوت مكة على الإطلاق بيوت جليس الشريف المسمى (أبو) وبيوت محمد على كاتب الشريف فإنها مبنية على الطراز الحديث من جهة التقسيم والهيئة والزخرف والزينة وهى تضارع بعض البيوت الجميلة بمصر والاسكندرية . وبيوت الأمراء وإن كانت عظيمة إلا أنها على الطراز القديم . ومكة كثير من البساتين الصغيرة والبرك الصناعية ذات الفوارات المائية .

وه نحن أولاء نصف لك بالتفصيل بعض الأماكن الشهيرة كما وعدنا .

مستشفى الغرباء والفقراء — هذا المستشفى بالجهة الشرقية من المسجد الحرام وقد أنشئ فى سنة ١٠٨٦ هـ — كما هو مكتوب عليه — فى زمن السلطان الغازى محمد خان الرابع، وقد زرت هذا المستشفى فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (١٦ أبريل سنة ١٩٠١) فوجدت به طبيين يدعى أولهما اسماعيل افدى ثروت طبيباً أول وثانيهما عثمان افدى اسماعيل طبيباً ثانياً ورأيت صيدلياً اسمه حسن افدى تحسين والكل مجمل بالثياب

(١) تعداد الأماكن السابقة فلهذا عن التقويم لتركى نبلاد انجليزية سنة ١٣٠٩ هـ . وهو مطبوع

الجيدة النظيفة، وبه ما يقرب من ٥٠ سريرا وقد مررت بأقسامه فوجدت إهمالا شديدا ولا سيما قسم الأمراض العفنة والملابس والمفروشات في غاية القذارة تنبعث عنها الروائح الكريهة ولا يصلحها إلا حرقها وقد أعترف الطبيب الذى صاحبنى بذلك وكان يريد عدم مرورى بهذا القسم من شدة عفونته، وقد رأيت كثيرا من المرضى نائما على الألواح قد أشد به المرض حتى صيره هيكلا عظيما كالهياكل التى تراها بالتقصر لعينى، وأن مريضا هذا حاله لا ينتظر لإبلاله من مرضه وهو يتنشق تلك الروائح الخبيثة التى تفتك بالأصحاء فضلا عن المرضى، ولولا وضعى المنديل على أنفى وصغفى عليه لما استطعت المرور، وبغنى أنه قلما يدخل فيها مريض فيشفى، فذا كان ذلك شأنها فاعلافاها خير من فتحها، فإن الهواء النقي قد يشفى المريض مما أم به. والأدوية تأتى إلى هذا المستشفى من الأستانة أما الأغذية والمفروشات فمن ديون مكة المكرمة.

التكية المصرية — هى من الآثار الجليلة ذات الخيرات العظيمة وأنها نعمت صدقة جارية لمسديها ثواب جليل وأجر عظيم، وقد أنشأها ساكن الجدان محمد على باشا رأس الأسرة الخديوية فى سنة ١٢٣٨ هـ. كج هو مسطور بدائر انقبة التى توسط التكية تظل الصنائير «الحنفيات» التى يتوضأ منها الناس والتكية بشارع ج. أقيمت مكان دار السعادة التى كانت محل حكومة بنى زيد من الأشراف، ويرد إليها الفقراء فى الصباح والمساء فتناول الفقير فى كل مرة رغيفين وشيئا من «الشربة» وربما أعطى أكثر من ذلك إن كان فقره مدقعا، وكثير من نساء مكة وحواريها الفقراء يتعيشن بما يأخذن ويكتفين بذلك عن مسألة الناس، ويصرف يوميا من الخبز ما يقرب من ٤٠٠ أقة (حاصل ٣ أراب من القمح) و ١٥٠ أقة من الرز، وفى يوم الخميس تزد كمية الأرز إلى ٤٢٠ أقة، ويصرف فى هذا اليوم فقط مائة أقة من اللحم، وفى كل أيام رمضان يكون المرتب كمرتب يوم الخميس ويزيد عليه ٥٠ أقة من الحصى، ويصرف من السمن ما يكفى لطبخ هذه المقادير، والفقراء يزداد عددهم حتى يبلغ ٤٠٠٠ شخص وذلك من شهر رمضان حتى آخر ذى الحجة

لورود كثير من المجاج الفقراء من السودانين (التكارنة) والمغاربة وغيرهم ثم يتناقص العدد بعد ذلك الى ٤٠٠ تقريباً .

وللتكية ناظر ومعاون وكتبة يقومون جميعا بخدمة الفقراء ، وبها طحونة يتناوب إدارتها أربعة بغال تطحن القمح . وفيها مطبخ واسع به ثمانية أماكن يوضع عليها أوان ثمان من ذات الحجم الكبير (قزانات) وفيها مخبز ذو بابين يخبز به العيش وتخزن وحجر للمستخدمين انظر التكية (في الرسم ٧٠) وفي مدة الحج يسكنها بعض عمال المحمل كالطبيب والصيدلى وكتب القسم العسكرى وبعض الضوئية والعكمة والسقائين . ويوضع بها أمتعة الأمير والأمين وبعض الموظفين عند ذهابهم الى عرفات . وفي التكية بيوت أدب وصنابير (حنفيات) ماء ومكان جميل مفروش في وسطه بركة ماء صناعية (فسقية) ويجلس به أمير الحج وأمين العمرة وكتاب حينما يصرفون المرتبات ، ومكتوب على باب التكية بالخط الثالث الجليل البيتان الآتيان :

عباس مولانا الخديوى فضائل * عليها دليل كل يوم مجتد

رأيناه قد أحيا تكية حده . فقلنا أعباس بنى ومحمد

| سنة ١٣١٩ و ١٢٣١ هـ |

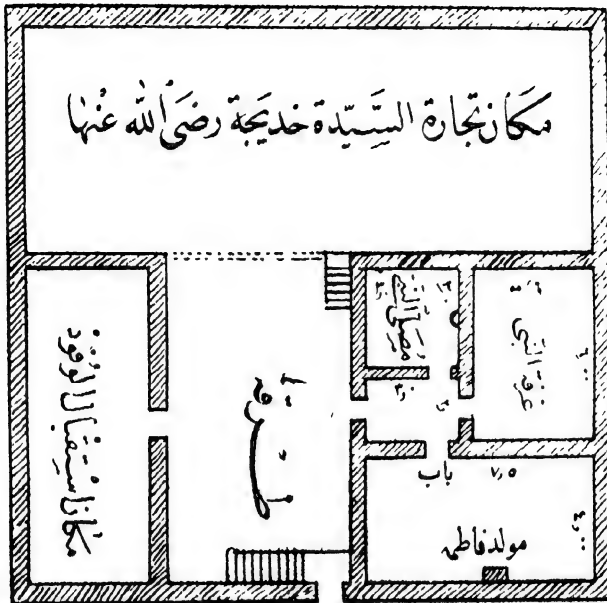
ولو سمعت الأدعية المتصاعدة من قلوب الفقراء لب هذه العمة لأكبرت هذا العمل ومسديه ، وأنسقت نفسك الى أمثاله ان كان لديك سعة فى المال وبسطة .

أما التكايا الأخرى فلم أزرها لأنه لا يأوى اليها فقير . وقد سطر بواجهة تكية السيدة فاطمة قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينَ وَتَمِيًّا وَسِيرًا ﴾ ، وأنها أنشئت فى سنة ١٠٨٦ هـ . زمن السلطان الغازى محمد خان ترع كج أسلفنا .

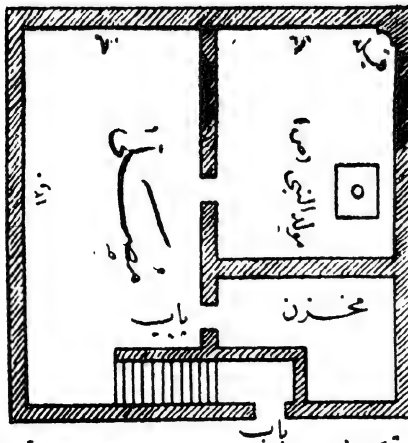
مولد الرسول صلى الله عليه وسلم — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بشعب بنى عامر شرق مكة وهو مكان قد ارتفع الطريق عنه بنحو متر ونصف ويزل اليه بواسطة درج من الحجر يوصل الى باب يفتح الى الشمال يدخل منه الى فناء يبلغ طوله نحو آثنى عشر مترا فى عرض ستة أمتار وفى جدره الأيمن (الغربي)

باب يدخل منه الى قبة في وسطها (يميل الى الحائط الغربى) مقصورة من الخشب داخلها رخامة قد تقعر جوفها لتعين مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه القبة والفناء الذى خارجها يكونان الدار التى ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (رحلة البتانوى ص ٥٢ طبعة ثانية)، وجاء في تاريخ مكة لأبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي المتوفى فى العقد الثانى من المائة الثالثة فى ص ٤٢٢، طبع ألمانيا : أن البيت الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هو فى دار محمد بن يوسف الثقفى أح الحاج، وكان عقيل بن أبى طالب أخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم داره لما هاجر، وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى عام حجة الوداع لما قيل له : أين تنزل يا رسول الله "وهل ترك لنا عقيل من ظل"؟ ولم تنزل الدار بيد عقيل وولده حتى بعها ولده من محمد بن يوسف الثقفى فأدخلها فى داره التى يقال لها البيضاء وتعرف اليوم بدار آبن يوسف، وبقيت الدار كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفين موسى وهارون سنة ١٧١ هـ . فجعلت دار الرسول مسجدا يصلى فيه وفصلته من دار آبن يوسف وأشرعته فى الزقاق الذى فى أصل تلك الدار ويقال له : زقاق المولد قال أبو الوليد : إنه سمع جده ويوسف بن محمد يثبتان أنه المولد وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة اهـ . ولكن جاء فى المواهب اللدنية أنه اختلف فى مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل : ولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف الثقفى ، ويقال : بالشعب — شعب بنى هاشم — ويقال : بالردم . ويقال : بعسفان اهـ . هذا وقد جاء برحلة العياشى (ص ٢٢٥ ج ١) بعد أن ذكر خلاف أهل السير فى مولده صلى الله عليه وسلم ما يأتى : والعجب أنهم عينوا محلا من الدار مقدار مضجع وقالوا له : موضع ولادته صلى الله عليه وسلم ، ويبعد عندى كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف لما تقدم من الخلاف فى كونه بمكة أو غيرها وعلى القول بأنه فيها ففى أى شعبها وعلى القول بتعيين هذا الشعب فى أى الدور . وعلى القول بتعيين الدار، فبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار والولادة وقعت فى زمن الجاهلية

وليس هناك من يعتنى بحفظ الأمكنة ولا سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، وبعد مجيء الإسلام قد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بتقيد الأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعى لصرفهم اعتنائهم رضوان الله عنهم لما هو أهم من حفظ الشريعة ولذب عنها باللسان واللسان ، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الاسلام من مساجده عليه السلام ومواضع غزواته ومدافن كثير من أصحابه مع وقوع ذلك في المشاعر الجليسة ، فما بالك بما وقع في الجاهلية لا سيما ما لا يكاد يحضره أحد إلا من وقع له كمولد على ومولد عمر ومولد فاطمة رضى الله عن جميعهم . فهذه الأماكن مشهورة عند أهل مكة فيقولون هذا مولد فلان هذا مولد فلان . وفي ذلك من البعد أبعد من تعيين مولده صلى الله عليه وسلم لوقوع كثير من الآيات ليلة مولده صلى الله عليه وسلم فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الآيات وإن كانوا أهل جاهلية ، وأما مولد غيره ممن ولد في ذلك العصر فتكاد العادة تقطع بعدم معرفته إلا أن يرد خبر عن صاحب الواقعة بتنبهه أو أحد من أهل بيته اه . كلامه (يلاحظ أن العياشى كتب رحلته في حجته سنة ١٠٥٩ وسنة ١٠٦٤ هـ) . وقد جاء في كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للثقى الفادى الذى كتبه في العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة وصف مولد الرسول وقال بعد الوصف : وقد خفى علينا كثير من عمارته والذى علمته من ذلك أن الناصر العباسى عمّره في سنة ٥٧٦ هـ . ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٦٦ هـ . ثم حفيده المجاهد سنة ٧٤٠ هـ . وفى سنة ٧٥٨ هـ . من قبل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر ، وفى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بإشارة مديردولته يلبغا الخاسكى سنة ٧٦٦ هـ . وفى آخر سنة ٨٠١ هـ . وفى أول التى بعدها من المال الذى أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة ، وكانت عمارة هذا المولد بعد موته اه . وقد جدّد القبة التى على موضع الولادة السلطان سليمان خان سنة ٩٣٥ هـ . وفى سنة ٩٦٣ هـ . أهدى هو أيضا ثلاثة قناديل ذهباً منها اثنان للمكة والثالث يعلق بالمولد ، وقد علق بيده الشريف أبى نبي .



رسم نظري تقريبي لبيت السيدة خديجة المشهور بمولد السيدة فاطمة (بمكة)



رسم نظري تقريبي لمولد النبي (ص) اودار عبد الله بن عبد المطلب (بمكة)

جول في مكة

وفي سنة ١٠٠٩ هـ . أمر السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان بهارة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبني في أعلاه قبة عظيمة ومنارة ، ووقف عليه وقفا بالديار الرومية ورتب له مؤذنا وخادما وإماما ، وجعل لكل شيء معين يحمل إليه كل عام ، ثم جعلت له السلطنة العثمانية مدرسا يدرس فيه ويتقاضى مرتبا في نظير ذلك أنظر (المثدنة والقبة متجاورتين في وسط الرسم ٦٦ وأنظر الرسم النظري ٧١) .

دار خديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة رضى الله عنهما — هذه الدار بزقاق الحجر بمكة ويقال له أيضا : زقاق العطارين على ما ذكره الأزرق وتعرف بمولد فاطمة رضى الله عنها لكونها ولدت فيها هي وإخوتها أولاد خديجة من النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر الأزرق : أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى بخديجة فيها وأنها توفيت فيها ، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر إلى المدينة وأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا يصلى فيه ، ولكن ذكر في موضع آخر أن معتبا بن أبي لهب أخذ بيت خديجة فباعه من معاوية بمائة ألف درهم وهذا يخالف ما ذكره من أن عقيل أخذ بيتها وباعه من معاوية والله أعلم بالصواب ، وهذه الدار الآن قد ارتفع عنها الطريق فينزل إليها بجملته درحات توصل إلى طرقة على يسارها مسطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ٣٠ سنتيا ومسطحها نحو عشرة أمتار طولاً في أربعة عرضاً ، وفيها مكتب يقرأ فيه الصبيان القرآن الشريف وعلى يمينها باب ضغير يصعد إليه بدرجتين يدخل منه إلى طرقة ضيقة عرضها نحو مترين ، وفيها ثلاثة أبواب الذى على اليسار لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولاً في أقل منها عرضاً ، وهذا المكان كان معداً لعبادته صلى الله عليه وسلم ، وفيه كان ينزل الوحي عليه ، وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض يقال : إنه كان محل وضوئه صلى الله عليه وسلم ، والباب الذى في قبالة الداخل إلى الطرقة يفتح على مكان أوسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار في عرض أربعة وهو المكان الذى كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضى الله عنها ، أما الباب الذى على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار في طول

نحو سبعة أمتار ونصف، وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذى ولدت فيه السيدة فاطمة رضى الله عنها — لا تنس ما أسلفناه فى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم للعياشى — وفى جدار هذه الغرفة الشرقى رف موضوع عليه قطعة من رضى قديمة يقولون : إنها من رضى السيدة فاطمة التى كانت تستعملها فى حياتها، وعلى طول هذا المسكن والطريقة الخارجة والمسطبة من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر مترا، وعرضه سبعة أمتار، وأظن أنه المكان الذى كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها انظر (الرسم ٧١) . هذا وصف الدار على ما جاء برحلة البنانونى (ص ٥٣) وهو ما شاهدناه ثم قال البنانونى بعد ذلك هذه الدار التى كانت مقرا له صلى الله عليه وسلم ومحل إقامته فى مكة ومبعثه إلى الخلق كافة اذا أنعمت بها نظرك وأمعنت فيها فكرك لا تراها إلا «البساطة» بنفسها، دار تحتوى على أربع غرف ؛ ثلاث داخلية منها : واحدة لبناته ، والثانية له ولزوجه ، والثالثة له ولربه ، والرابعة بم عزل عنها له ولعموم الناس ؛ بالله ما هذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع ! اه .

وقد جاء فى كتاب شفاء الغرام للفاسى وصفه لدار خديجة عن مشاهدته وهو مخالف للشكل الذى نراها عليه الآن قال : غالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأن فيها رواقا فيه سبعة عقود على ثمانى أساطين — أعمدة — فى وسط جدره القبلى ثلاثة محاريب وفيه ست وعشرون سلسلة فى صفين وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات، وبين هذين الرواقين صحن، والرواق الثانى أخصر من الرواق المقدم لأن بقربه بعض المواضع التى يقصدها الناس بالزيارة فى هذه الدار وهى ثلاثة مواضع، الموضع الذى يقال له : مولد فاطمة رضى الله عنها، والموضع الذى يقال له : قبة الوحي وهو ملاصق لمولد فاطمة، والموضع الذى يقال له : المختبأ وهو ملاصق لقبة الوحي، زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون والله أعلم بحقيقة ذلك، وذرع الموضع الذى يقال له : المختبأ أربعة أذرع وثلاث ذراع، وذلك من الجدر الذى فيه المحراب الى الجدر المقابل له وهو طرف جدر

قبة الوحي الغربى هذا ذرعه طولا، وذرعه عرضا ثلاثة أذرع وثلثا ذراع، وذلك من الجدر الذى فيه باب به اثنى الجدر المقابل له، وذرع الموضع الذى يقال له : قبة الوحي من الجدر الذى فيه باب به اثنى الجدر المقابل له ثمانية أذرع وثلثا ذراع هذا ذرعه طولا، وأما ذرعه عرضا فثمانية أذرع ونصف بذراع الحديد المقدم ذكره ، والموضع الذى يقال له مولد وضعة طوله خمسة أذرع إلا ثمن، وعرضه من وسط جدره ثلاثة أذرع وثلاثة أثمان الذراع، وفى هذا الموضع موضع صغير يشبه بركة مدورة، وسعتها طولا من داخل الباء نحوط عليها ذراع وعرضها كذلك، وفى وسطها حجر أسود يقال : أنه مسقط رأسه . وذرع الرواق المقدم من هذه الدار من وسط جدره على الاستواء ثمانية وثلاثون ذراعا هذا ذرعه طولا، وذرعه عرضا سبعة أذرع وربع، وذرع ما بين كل اسطوانتين منه خمسة أذرع وربع، وذرع الرواق المؤخر من هذه الدار من جدر قبة الوحي الى الجدر المقابلة له ثلاثة وعشرون ذراعا، هذا ذرعه طولا، وذرعه عرضا عشرة أذرع وكان تحريره ما ذكرنا من ذرع المواضع بذراع الحديد (٥٧ سبتيا تقريبا) كله بمحمورى، وعلى باب هذه الدار مكتوب أنها عمرت فى خلافة الناصر العباسى وفى زمن الملك الأشرف أبى شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون صاحب مصر. وفى الرواق المقدم من هذه الدار أن المقتدى العباسى أمر بعمله، وعمر بعض هذه الدار فى أول دولة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر بقرى من المال الذى أنفذه أبوه لعمارة المسجد الحرام وغيره، ولم يعمر ذلك إلا بعد موته فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها، ومما عمر فى هذا التاريخ من هذه الدار الموضع المعروف بقبة الوحي بعد سقوطه، وبأغنى أن القبة الساقطة كانت من عمارة الملك مظفر صاحب اليمن رحمهم الله تعالى، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير على باب حجر مكتوب فيه : إن هذا الموضع مرقد مولد فاطمة رضى الله عنها، وأن الناصر العباسى عمره ووقفه على مصالح دار خديجة التى إلى جانبه . اه . وهذا الوصف فى العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة . هذا وتجدر مكتوبا بالحروف البارزة على لوح من الرخام وضع فى حائط الطريقة الخارجية على يسار الداخل

ما يأتي (بسم الله الرحمن الرحيم أمر، بعبارة مربد مولد الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيدنا ومولانا الإمام المفترض للطاعة على الخلق أجمعين الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف أقداره وجعل منافعه ومستغلاته وأجره عائدا على مصاحبه ثم على مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوي على ما يرى الناظر المتولى له في ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المربد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك ابتغاء وجه الله تعالى وطلبا لثواب الدار الآخرة، تقبل الله ذلك منه وجره عليه أجر المحسنين، وذلك على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى على بن أبي البركات الدوراني الأنباري في سنة أربع وستمائة، ومن غير ذلك أو بذكره عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين) وقد عمر الدار السلطان سليمان في سنة ٩٣٥ هـ. وفي هذه الدار صفيحة من حجارة مبنى عليها في جدر البيت الذي كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد آخذ أمام الصفيحة مسجدا، وهذه الصفيحة مرتفعة في الجدر عن الأرض قدر ما يجلس تحنها الرجل. وذرعها ذراع في ذراع وشبر، ويقولون: إن هذه الصفيحة كان يستتر بها الرسول من الحجارة التي ترمى عليه من دار أبي لهب ودار عدى بن الحمراء، ولكن هذا لم يسمع من ثقة، وأصح ما انتهى إليه الخبر أن أهل مكة كانوا يتخذون في بيوتهم صفائح من حجارة تكون شبه الرفاف يوضع عليها المتاع والشئ من الصيني والداجن يكون في البيت، فقل بيت يخلو من تلك الرفاف والصفيحة التي في دار خديجة من هذا القبيل (ص ٢٣ أزرق) .

دار الأرقم الشمهيرة بدار الخيزران — هذه الدار في زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا وبابها يفتح إلى الشرق ويدخل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة وعلى يسارها « إيوان » مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار، وفي وسط الحائط التي على يمينها باب يدخل منه إلى غرفة طولها ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير، وفي زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان

أحدهما فوق الآخر مكتوب في أعلاههما بالحرف البارز : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ هذا مختبأ رسول الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الإسلام ، أمر بتجديده الفقير الى مولاه أمين الملك مصلح آتقاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين) ومكتوب في الثاني بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : (هذا مختبأ رسول الله المعروف بدار الخيزران أمر بعمله وإنشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي ابن أبي منصور الأصفهاني وزير الشام والموصل الطالب الوصول الى الله تعالى الراجي لرحمته أطال الله في الطاعة بقائه وأتاله في الدارين مناه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة) « رحلة البتانوني ص ٥٥ » . وقد جاء في شفاء الغرام للفاسي : أن طول المسجد (الحجرة التي على اليمين) الذي في هذه الدار ثمانية أذرع لإقراطين ، وعرضه سبعة أذرع وثلاث وأنه مكتوب فيه ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ : هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الخيزران وفيه مبتدأ الإسلام أمر بتجديده الفقيرة الى الله مولاة أمير الملك مفلح سنة ست وذهب بقية التاريخ) فتجد فرقا في هذه العبارة والعبارة السابقة ، وقال بعد ذلك : وعمره أيضا الوزير الجواد ، وعمرته مجاورة يقال لها : مرة العصمة ، وعمره أيضا في سنة ٨٢١ هـ . والذي أمر بهذه العمارة ما عرفته . والمتولى لصرف النفقة فيها علاء الدين علي بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد . هـ .

ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي كان يجتمع فيها المسلمون سرا يتعلمون الدين ويطيعون الشعاير حتى أسلم عمر رضي الله عنه وعز به الاسلام وجهه المسلمون بدينهم ، وكان إسلام عمر بدار الأرقم : وها نحن أولاء ننقل اليك عن سيرة ابن هشام قصة إسلامه لما فيها من العبر والمواعظ قال ابن اسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام قد أسلم وكان يخفي إسلامه فرقا — خوفا — من قومه ، وكان خباب بن الارت

يختلف — يذهب — الى فاطمة بنت الخطاب يقرأها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبدالمطلب وأبو بكر بن أبي خفافة الصديقي وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة ، فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر؟ فقال : أريد مجدا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد مناف تاركك تمشي على الأرض وقد قتلت مجدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : خَنَكُ^(١) وأبن عمك سعيد بن زيد ابن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فتمد والله أسلما وتابعا مجدا على دينه فعليك بهما ، قال : فرجع عمر : آمدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرأها إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خباب في مخدع لهم أوفى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما ، وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عايبا فلما دخل قال : ما هذه الهينة التي سمعت ؟ قال له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى ! والله لقد أخبرت أنكما تابعتما مجدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضرها فشجها ، فلما فعل ذلك ، قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به مجد وكان عمر كاتبها ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عايبا ، قال : لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخى إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فأغتسل فأعطته الصحيفة وفيها

(طه) فقرأها، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب نخرج اليه فقال له يا عمر: والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب فأن الله يا عمر: فقال له عند ذلك عمر: فدلنى يا خباب على عهد حتى آتية فأسلم، فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا — بيت الأرقم — معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمّد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا بالسيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله: هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف، فقال حمزة ابن عبد المطلب: فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذن له، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ يُحجّزته — حجة الإزار معقده — أو يجمع رداءه ثم جبذه جبذة شديدة — جذبه — وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل نبيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوّهم، فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم . اهـ .

بستان دولة شريف مكة — هو حديقة غناء بجهة جرجول مستطيلة الشكل طول ضلعها البحرى ٢٧٠ مترا، والغربى ١٨٠ مترا وارتفاع سورها المحيط بها متران، وفى وسطها خزان للماء مربع الشكل طول ضلعه ٦١ مترا، وسمك حائطه من الأعلى ثلاثة أمتار وربع، وارتفاعه أربعة أمتار، وهو مبنى بالحجر الأزرق وجدره من

الداخل والخارج مخصصة بالجير المخلوط بسحق الآجر، ويصعد إليه من الجهة الشمالية أولاً على أربع درجات ثم بعدها ١٦ درجة عن اليمين ومثلها عن اليسار، فله سلمان بعد الأربعة الأولى، وفي آخر السلم درجة كبيرة في مستوى أعلى الخزان والسلم مصنوع من حجر متين زادته الصنعة رونقا وجمالا وفي زوايا الخزان الأربع من الداخل درج منتظم على شكل ربع الدائرة، كل زاوية فيها ١٤ درجة طول العليا منها متر والسفلى ستة أمتار ونصف، وهذا الدرج للنزول منه الى قاع الخزان، وفي منتصف كل جدار من جدار الخزان بحذاء الأرض فتحتان ارتفاع كل فتحة ثلاثة أرباع المتر في عرض نصفه وذلك لتصريف المياه منها الى البستان، وهذا الخزان الكبير لا مثيل له في الأقطار الحجازية لهذا عطينا بوصفه . وبالبستان أيضا خزانان بينهما أربعة أمتار ارتفاع كل منهما ستة أمتار وبأعلى كل منهما فتحتان تقذفان المياه الى بركة يشرب منها الناس ويفسلون أو انبيهم وثيابهم ويفتسلون منها، وترى الماء حين نزوله أبيض اللون يمثل قطعاً فضية تلاحق رميها، وإنه لمنظر جميل في بلاد قفرة قلت فيها المياه .

والمزروع من أرض البستان نحو الربع، وفيه شجر الجوافة والجوز الهندي والبرتقال والليمون والتخيل والعنب والورد والبرسيم الحجازي والكرنب والكرات والباذنجان والطاطم الى غير ذلك، ولا يفوتنا ذكر ما فيه من شجر الكادى الذى يستخرج منه عطر الكادى ذو الرائحة الجميلة، وشكل الشجرة كالصبارة إلا أن طولها يفوق المترين ولها جذوع كثيرة ضاربة في الأرض، وورقها عريض أشبه بسعف النخل من جانبه العريض وله شوك كثير .

وقد أذن لنا دولة الشريف بدخوله والاستظلال بشجره في ساعات القيلولة، وكان معسكرنا بمحذاته وشدت طنب بعض الحيام بمحذاره . وقد تناولنا من الجوافة التي كانت به وقت لبثنا بمكة : انظر (الرسم ٧٢) وترى فيه الناس وهم يأخذون المياه ويفتسلون، وقد بلغنى أخيراً أن هذا البستان محى أثره بعد وفاة منشئه الشريف عون

مدینه الشریف عون الرفیق وجامعہ مندرمیا و منبر عین زبیرہ



72. The garden of El Sherif Oun El Rafik with a water-fall from the well of Zobeidah.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَكَ شَاكِرِينَ

الشيخ محمد بن عبد الوهاب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَكَ شَاكِرِينَ

73. El Moshir Osman Pash Noury, the Wali of El Hejaz

الرفيق باشا فتحقق بذلك المثل "الجزء من جنس العمل" وذلك أن والى مكة العادل المشير عثمان نوري^(١) باشا كان قد أنشأ بالقرب من معسكر المحمل بستانا بهجة للناظرين فيه من الأشجار أجملها ومن الثمار أطيبها وأباحه لأهل مكة يتزهون فيه ويستظلون بوارف ظله ، وكان أول ما أنشئ بمكة من متزهات ، فما كان من الشريف إلا أن سعى به لدى الخليفة فعزله ، وأمر بإزالة البستان الذى أنشأه وأنفق عليه الآف الجنيهات .

تأثير السيول فى مباني مكة — إن مكة فى واد تحف به الجبال فاذا هطلت الأمطار بشدة تجمت فى الأودية بسرعة وهرعت الى مكة فكونت فى كثير من أماكنها بحيرات ترى البيوت فيها أشبه بالجزر، وإذا علمت أن المسجد الحرام وطى عن الشوارع بنحو ثلاثة أمتار أدركت أنه عند طغيان السيول يتحول الى بحيرة بعيدة الغور ، لذلك تنبغى العناية بتأسيس البيوت حتى لا يجرفها السيل أو يأتى عليها من قواعدها ، وللسيول بمكة حوادث غريبة دعنا الى أن نستطرك بعضها .

فنى زمن جرم أيام كانوا ولاية البيت جاء سيل جارف هدم الكعبة فبنته جرم على قواعد اسماعيل ، وكان البانى رجلا أزديا يدعى أبا الحارود .

(١) ولأمر الحجاز لأول مرة سنة ١٢٩٩ هـ . وهو رجل ذكرى شهم سياسى تحيل فى القبض على الشريف عبد المطلب الذى هم بالخروج على الدولة فعزلته من إمارة مكة وولت مكانه عون الرفيق باشا وقد وصى هذا بعثمان نوري باشا لما أن غل يده عن المكوس والمظالم التى كان يتقاضاها من العربان والحجاج ، فعزل بالوشاية بعد خمس سنوات وعين واليا على اليمن ثم أعيد الى ولاية الحجاز وقد أصلح مجرى عين زبيدة وعمل فيها صنابير (حنفيات أو بازانات) وهو الذى أنشأ ديوان الحميدة ودار البريد والثكنات العسكرية بمكة وجدة وأنشأ سورينج ، وقد أنشاء الحميدة المذكورة فى ولايته الثانية ولم يكن موضعها مقبرة وإنما كان فضاء واسعا ، ولما أمتلأت نفس عون منه خرج الى المدينة فى جمع من علماء مكة وأشرافها وضم إليه علماء المدينة وأشرافها وكتبوا الى السلطان يطعنون فى والى وأنه يكره الأشراف ويسبهم ويهينهم ويحقرهم وأنه حول مقبرة المسلمين الى متزه ، فما كان من السلطان إلا أن عزل العادل المصلح ، وكان خليقا بأمر المؤمنين أن يتبين فى قول الشريف كما أمر الله فى كتابه وأن لا يحكم على متهم إلا بعد استجوابه واستماع قوله .

(أنظر الوالى فى الرسم ٧٣)

وفي زمن خزاعة جاء سيل عظيم دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ورمى بالشجر وجاء برجل وأمرأة ميتين، فعرفت المرأة وكانت بأعلى مكة يقال لها : قارة وسمى السيل باسمها ولم يعرف الرجل، فبنت خزاعة بناء حول البيت أداروه وأدخلوا الحجر فيه ليحصنوا البيت فلم يزل ذلك البناء الى زمن قريش .

وفي سنة ٨٠ هـ . نزل سيل عظيم دفعة واحدة ذهب ببعض الحجاج وبأمتعتهم وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال والنساء ودخل المسجد فأحاط بالكعبة وبلغ الركن وهدم بيوتا كثيرة انقضت على كثيرين فأما نتمهم، فرقى الناس الجبال واعتصموا بها وسمى ذلك السيل « سيل الجحاف » وفيه يقول عبد الله بن عماره
لم تر عيني مثل يوم الاثنين * أكثر محزوناً وأبكى للعين
اذ خرج الخبيات يسعين * شواردا الى الجبال يرقين

وفي سنة ١٠٤ هـ . وقع سيل يقال له : المخبل لأنه أصاب الناس بعده مثل الخبال من مرض حدث بهم عقبه في أجسامهم وألسنتهم، وكذلك حصل سيل آخر في هذه السنة .

وفي سنة ٢٠٨ هـ . حدث سيل عظيم أحاط بالكعبة وبلغ الباب والحجر الأسود وهدم أكثر من ألف دار ومات به أكثر من ألف مالأ المسجد والوادي بالطين والبطحاء وذهب بصناديق الباعة فألقى بها في المسفلة ، وفي ذلك كتب عبيد الله ابن الحسن الى المأمون يستنجد به : « يا أمير المؤمنين إن أهل حرم الله تعالى وجيران بيته وألأف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكت جرياته في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأموال وجرف الأثقال حتى ما ترك طارفا ولا تالدا للراجع اليها في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والأجداد، فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم وإحسانك اليهم تجدد الله مكافئك عنهم ومثييك نلى الشكر منهم » فوجه المأمون اليهم الأموال الكثيرة وكتب اليه (أما بعد ، فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله الى

أمير المؤمنين فبكاهم بعين رحمته وأنجدهم بصيب نعمته وهو متبع لما أسلف إليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وأجلا ان أذن الله في تثبيت نيته على عزيمته فكان كتابه أسر لأهل مكة مما بعث إليهم .

وفي سنة ٢٥٣ هـ . دخل مكة سيل عظيم أحاط بالكعبة وقارب الحجر الأسود وهدم دورا كثيرة وملا المسجد غثاء حتى جرف بالعجلات .

وفي سنة ٣٤٩ هـ . لما برز الحج قافلا جاءهم سيل فأخذهم عن آخرهم وألقى بهم في البحر وما أتى مصر منهم أحد نسأل الله العافية .

وكذلك حدثت سيول في سني ٥٥٩ و ٥٧٣ و ٦٥٠ و ٦٦٩

وفي سنة ٧٣٣ هـ . في آخر ذي الحجة وقعت أمطار وصواعق منها صاعقة على أبي قبيس قتلت رجلا ، وثانية بالخيف قتلت رجلين ، وثالثة بالجرانة قتلت رجلين أيضا .

وفي سنة ٧٣٨ هـ . وقعت سيول جاء معظمها من وادي إبراهيم ودخلت المسجد وعلت على العتبة قدر شبرين ، ودخل المطر قناديل المطاف وهدم ما يربو على ٨٠٠ دار وغرق ناس ومات آخرون تحت الأنقاض .

وفي سنة ٧٥٠ هـ . نزل مطر وصاعقة وريح سوداء أوقعت جميع الأعمدة المتجددة حول المطاف التي جددتها فارس المدين في سنة ٧٤٩ هـ . ولم يبق منها إلا عمودان .

وفي سنة ٨٠٢ هـ . نزل سيل كأفواه القرب جعل في مكة بجرا زائحا وملا المسجد الحرام حتى كان عمقه خمسة أذرع ودخل الكعبة من شق بابها وأسقط عمودين بما عليهما وهدم دورا كثيرة ومات به نحو ٦٠ شخصا ما بين غرقى وهدمى .

وفي سنة ٨٢٥ هـ . وقع مطر عظيم صحبته صاعقة أمانت أربعة أشخاص .

وكذلك حصلت سيول في سني ٩٧١ و ٩٨٣ و ١٠٢١ و ١٠٢٤ و ١٠٣٣

وفي سنة ١٠٣٩ هـ . نزل مطر شديد أمانت نحو ١٠٠٠ شخص في يوم ليلة ودخل المسجد الحرام وبلغ طوق القناديل وأسقط الجانب الشامي من الكعبة بوجهه

وأخذ معه من الجدار الشرقى الى الباب، ومن الغربى من الوجهين نحو السدس ودخل بيوتا فأخرج منها الأمتعة وذهب بها الى المسفلة .

وفى سنة ١٠٧٣ هـ . نزل مطر شديد وصل من المسجد الحرام الى القناديل .

وفى سنة ١٠٩١ هـ . أمطرت السماء مطرا لم يشاهد مثله نحرّب أكثر البيوت خصوصا ما كان بسوق الليل والمسفلة والأطراف المنحدرة، ودخل المسجد الحرام وبلغ الى نصف الكعبة، وكان ذلك اليوم يوم خروج الحج المصرى ففرق المسافرين، ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل به الى الحرم فلم يزل السيل يدفعه — وقد انقطع حمله — حتى رقى على منبر الخطيب ولم يزل به الى الصبح من اليوم الثانى وقد آرخ بعضهم هذا السيل بقوله (طغى الماء) .

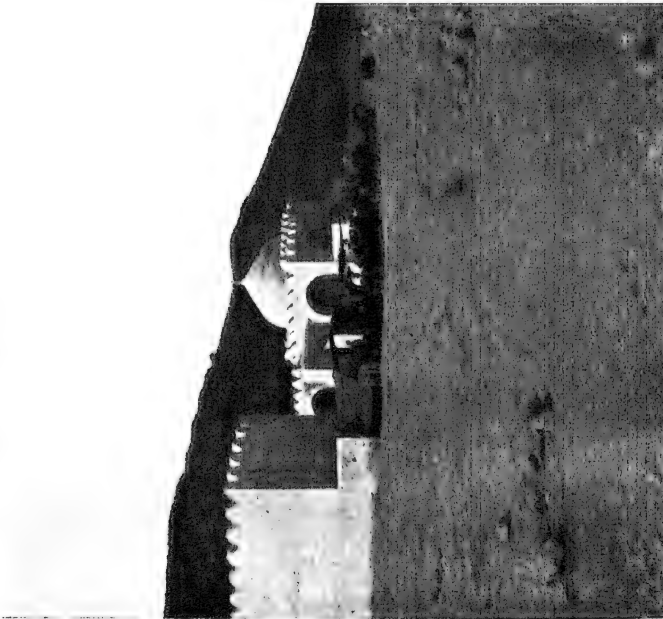
وفى سنة ١٠٩٣ هـ . عملت فى المسفلة (أسفل مكة) قناة عظيمة لتصرف السيل الى بركة ماجن .

وفى يوم السبت ٢١ ذى الحجة من سنة ١٣٢٥ (٢٥ يناير سنة ١٩٠٨) فى حجتى الرابعة نزل مطر شديد وجرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق له مثيل منذ ٣٣ سنة على مابلغنى، وكان السيل أشبه بماء النيل المنحدر وكان عرضه وهو ينحدر من جبال جباد نحو ٥٠ مترا وسمعنا دوى صاعقة بجياد مثلت صوت جملة من المدافع الضخمة أطلقت فى لحظة واحدة، وقد ملأ الشوارع حتى كان عمقه فى شارع وادى ابراهيم مترين تقريبا، ولذلك دخل المسجد الحرام من أبوابه واتقطع المرور من الطرق إلا بالسباحة، وكنت ترى الشقادف ورحال الإبل سابحة فى الماء وتسمع دويا للاء كأنك أمام القناطر الخيرية وقد فتحت عيونها وتجد الناس فى (الرسم ٧٤) وقد خرجوا من المسجد الحرام من باب الرحمة يستعدون لاجتياز هذه المياه وقد كشفوا عن سوقهم ورفعوا ثيابهم الى ركبهم ودون ذلك وأكثر.



74. A photo of the pilgrims passing through El Sabil in Mecca in 1325.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَكَ شَاكِرِينَ



75. Mosque & Mausoleum of El Sayyeda Maymuna, wife of the Prophet Mohamed, at Sarif between Mecca & Medina.

سكان مكة — قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمِّنًا﴾ وقال ﴿سَوَاءٌ أَلَمَّا كُفِّ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(٢) لهذا هرع المسلمون من أقطارهم المختلفة الى الاقامة بمكة المكرمة احتفاءً بحرم الله وابتغاء لفضل الله ورضوانه وقصد التجارة للدنيا والآخرة. وذلك من يوم أن انتشر الاسلام في أطراف المعمورة الى يومنا هذا .

وقد كان من أثر ذلك أن كان المكيون من أجناس مختلفة وأمم متباينة ؛ فمنهم المكيّ الصميم ، ومنهم أعراب البوادي الذين توطنوا مكة يمينين وحضرميين وحجازيين ونجديين ، ومنهم الهنود والجاوة والبخاريون والأفغان والأعجام والشوام والأتراك والمصريون والسودانيون والمغاربة وكثير غيرهم من الأمم الاسلامية ، ولما كان للغربة والهجرة أثر كبير في الحدّ والنشاط كان معظم التجارة بأيدي الأعراب ، فالأشياء الثمينة والبيوت التجارية العظيمة بأيدي أولئك .

قال صديقنا الفاضل لييب بك البتانوني في رحلته : ومن اختلاط هذه الأجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة أو المعاشرة صار أهل مكة خليطاً في خلقهم وخلُقهم . فتراهم قد جمعوا الى طبائعهم وداعة الأناضولى وعظمة التركى واستكانة الجاوى وكبرياء الفارسى ولين المصرى وصلابة الشركسى وسكون الصينى وحدّة المغربى وبساطة الهندى ومكر اليمنى وحركة السورى وكسل الزنجى ولون الحبشى ، بل تراهم جمعوا بين رقة الحضارة وقشf البداوة ، فبينما ترى الرجل منهم قد آتسك برقعة حديثه معك وضعتة بين يديك إذ هو قد استوحش منك وأغلظ في كلامه حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلفه في حضرتك . .

وقد وصل هذا الخلط الى أزيائهم التى تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية : عمامة هندية وقفطان مصرى وجبة شامية ومنطقة تركية فيها خنجر تراه على الخصوص في حزام الأشراف مفضضاً أو مذهباً بشكل جميل جداً ، وكثيراً

(١) مكاناً يثرب الناس إليه ويرجعون .

(٢) المقيم والطارىء .

ما يكون مرصعا بالأحجار الكريمة، وقد ترى الصانع الفقير يلبس القميص وعلى طوقه الوشى المشغول بالحرير وعلى رجل سراويله شئ يشبه « الركامة » وهو حافى القدم غير أنك لا تلاحظ هذا فى طبقة الأشراف التى ترفعت عن هذا الخليط فلم يؤثر فيهم الغريب ولم يتغلب عليهم خلق جديد ، بل أخلاقهم أخلاق عربية بحتة هى التى ورثوها عن آبائهم السالفين .

ثم قال : والذى يؤسف له أن هذا الخلط وصل الى لغتهم فتراهم يتكلمون فى الأكثر بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوهة أو فارسية أو تركية وهم يتوزنون المضاف فيقولون : فى هذا حق فلان مثلاً : هذا حق فلان مع ابدال القاف جيا مصرية ، ومنهم من يمد الحرف المتون فيقول « هذا حقون فلان » أو يؤنث لفظه فيقول « حقة فلان » ولا يحذفون النون من الفعل فى صيغة الأمر للجمع فيقولون : « هيا صلون المغرب واركبون » بدل صلوا وأركبوا ويستعملون الترخيم فى غير المنادى فيقولون : « قم لعنا » أى قم لعندنا ويقولون : فى الإبل « الِبل » بكسر الباء وفى الجبل « البَل » بفتحها ويقولون كمنّا أى كلنا (خلصنا) ويقولون : « وصابى » فى وامصيتى ، والآن فى اليمن ، وما يكثر سماعه منهم قولهم : « دحين » فى هذا الحين و « إزهم فلان » فى ادع فلانا ، ويعبرون عن الرجل بلفظ « زلّة » ويجمعون الرجل على « وأدام » ويقولون « زكّنه » أى فكره أو نبهه وقل كذا أى اعمل كذا ويقولون « أبيض » للاستحسان و « سنّع » فى اصنع أو أقتن و « آتجمعص » فى اجلس و « فصّخ حذاك » أى اخلع نعالك ، ويقولون : « مِشَلح » للعباءة ، و « شاية » للقفطان ، و « امرح » : آجر ، و « الودن » للفدان من الأرض ، و « الصمّادة » للكوفية ، و « زكن عليه » أى أكد عليه ، و « زل » بمعنى مر ، و « آندر » بمعنى أخرج ، و « إلّا » بمعنى نعم ، ويسمون الأولاد « البزورة » فيقولون : بزورة فلان أو بزران فلان أى أولاده ، ويستعملون لفظة « هرّج » فى معنى كلم فيقولون : ما هرّجته أى ما كلمته ، ويستعملون لفظ « صاقن » التركية للتنبيه والاحتراس

و «قربوز» للبطيخ الخ ، وهذا كله مع كثرة أغلاطهم وعدم مراعاة قواعد العربية في النطق والكتابة .

وما كان ينبغي بأم البلاد العربية أن تكون لغة أهلها على هذه الشاكلة ، وكان جديرا بها أن تكون موئل العربية الفصحى ومنهلها العذب كما كانت كذلك في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ، ولكنه الاهمال يذهب بالمجد التليد والعز القديم . وأكثر أهل مكة يعرف التركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مخصوصة كالهندية والأوردية — هندية أيضا — والجاوية والصينية والفارسية وأهل البادية لغتهم عربية بحتة ، ولكن لا تكاد تفهمها ولكل قوم لهجة خاصة ، فمنهم من يقلب القاف زايًا فيقول « زربة » في قرية ، ومنهم من يقلب الكاف سينا فيقول « سواسب » في كواكب و « سبد » في كبد الخ .

وسكان مكة يزيدون على ١٢٠ ألفا كلهم مسلمون إذ قد حرم الاسلام أن يقربها مشرك ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنِ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فلم يسكنها مشرك من ذلك العام ، وذلك ليكون مبعث الاسلام ومشرقه الأول بمنجى ممن يدسون للمسلمين الدسائس ويشيرون الفتن ، بل مازال عمر في خلافته يحد حتى طهر جزيرة العرب ممن يدين بغير الاسلام فكانت للمسلمين حصنا حصينا وحرزا منيعا خلا من مثرات الفتن وأهل الأهواء والريب .

عادات المكيين — جاء في رحلة صديقنا لبيب بك أن من عادات أشرف مكة أن يرسلوا أولادهم وهم في نعومة أظفارهم الى البادية وخصوصا الى قبيلة عدوان التي في شرق الطائف وهي قريبة من سعد التي أوضع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينشئون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الى مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم وأخذوا من عاداتهم وأخلاقهم التي من أحسنها الفروسية والحرية في القول والفعل .

ومن عادة الشريف أن يجلس للحكم في دار الإمارة كل يوم من الساعة الخامسة نهارة الى قبيل العصر فتعرض عليه المسائل العامة .
ومن عادته أن يستقبل صباح الجمعة في دار الإمارة الوالى وكبار الموظفين والأشراف والوجوه .

ومن عادات المكين التأني في المأكل والمشرب واللباس وتكثر في لباسهم الألوان الزاهية خصوصا الأخضر والأحمر والأزرق والوردى ، وترى في مساكنهم كثيرا من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثينة ولا سيما البسط العجمية النادرة المثال .
ومن عاداتهم تقديم الشاي في أى وقت تحية للقادم عليهم وإقامة المآدب في حفلة يسمونها قيلةً ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام ، وليس لأطعمتهم نظام مخصوص ، فمنها : الهندى والمغربى والشامى والتركى والمصرى ويقعد المدعوون في هذه الولائم على سماط يمد على الأرض ويقدم اليهم الطعام لونا فلونا ، وبعد ذلك يجلسون للسمر أو سماع بعض الأغاني وآلات الطرب كالعود والقانون والرباب ثم ينصرفون وفي الأكثر تكون هذه الحفلات في ضواحي مكة كالزاهر والشهداء ، وهناك يبيكون اليها ويقضون يومهم في سرور وألعاب رياضية كالمسابقة بالجرى أو لعب الكرة أو الترد أو الشطرنج .

ولأهل كل حارة من حارات مكة وليمة يقيمونها للشريف كل سنة في أحد متزهاتهم خارج البلد ، فيحضر مع خاصته في موكبه ويتناولون الطعام وتقام الألعاب حتى آخر النهار وبعد فترة من الليل يعود في موكبه الى مكة .

ومن عاداتهم أن يتناولوا الطعام مرتين في اليوم في الضحوة وبعد صلاة العصر ، ويتظاهرون بالكرم والشجاعة خصوصا في شهر رمضان وقد كانوا يفترون في المسجد الحرام بعد صلاة المغرب فيمتدون الموائد هناك ولكن أبطل عون الرفيق باشا هذه العادة لما يتبعها من تقذير المسجد وقد أمرنا بنظافة المساجد وتطهيرها ، ومن عادة كثير منهم شرط وجنات الصبيان ثلاث شرطات في كل وجنة .

ونسأؤهم يدخن بالزرجيلة (الشيشة) ويفشو بينهن الزار ويخرجن الى الأسواق بملاءات واسعة سوداوات في الأكثر وبرقع كثيف فيه ثقبان صغيران في محاذة العينين ، وفي أقدامهن خفاف ضخمة أغلبها ذو لون أصفر .

ومن عاداتهم في عرسهم أن يدعوا الأهل والأصدقاء رجالا ونساء ويجلس الرجال خارج البيت في المكان المعد لهم ، ويمتد لهم في العشاء سباط طويل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون وينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب القاعة التي يجلسن فيها قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء ، فتصنغ المرأة منها إحدى يديها ثم تدخل الى قاعة الجلوس وبعد السلام تجلس مع الجالسات يتجاذبن أطراف الحديث حتى منتصف الليل ، واذ ذاك يزفّن العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد أن يطوّفن عنقها بعقود من زهر الفل أو ثمر التفاح وهو في قدر البندق .

ومن عاداتهم في مآتمهم أنه حينما تفيض الروح الى بارئها تصرخ امرأة من أقرب الناس اليه صرخة أو صرختين إعلاما بالمصيبة ، فيتوارد اليها النساء فيجدن قصعة على باب القاعة التي يجلسن فيها ملئت بمعجون الحناء فيخضبن منها إحدى اليدين ثم يدخلن القاعة معزيات صاحبة المصيبة ثم يجلسن ويأخذن في الأحاديث المختلفة ثم ينصرفن والميت يأخذه بعض أقاربه الى محل يسمى الشرشوره يغسل فيه ثم يسرعون به الى المقبرة ، ويدفنونه بدون احتفال كبير ثم يتوارد الرجال على أهله معزين ثم ينصرفون لوقتهم .

ومن عاداتهم أنهم يعملون حفلة كبيرة عند ختم أولادهم للقرآن ، فيسيرون بهم في موكب يقطع طرق مكة . ويحتفلون في منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بسرف (الرسم ٧٥) على مسير ثلاث ساعات من مكة على طريق المدينة ، فينصبون خيامهم في تلك الصحراء ويتفاحرون بكثرة الطعام والشراب . ويحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ويعبرون عن المولد بالحول فيقولون حول النبي وحول ميمونة ، وما تعودوه الاصطياف

فى الطائف وفى جبل الھدۃ فوق جبال كرا، لطیب ہوائہما وكثرة بساۓنہما ویرتفع الطائف عن بحر جدۃ ١٥٤٥ مترا ویرتفع الھدۃ عنہ ١٧٥٨ مترا والكرا ٨٢٢ مترا^(١) وأشہر مصیف فى الطائف یسمى شبرا وهو لأشراف ذوى عون، أنشاء الشریف عبد اللہ باشا وسماء باسم شبرا مصر ثم حدائق المشاة وهى لذوى غالب وهى أحسن حدائق الطائف ومشہورة بنخوخها وعنبها، وماؤها أعذب مياہ تلك الجهة .

جؤمكة — جؤھا جاف وحار وتختلف درجة الحرارة فى بعض الشہور عن بعض ، ففى یناير تكون ١٨° وفى فبراير ٢٠° وفى مارس ٢٣° وفى أبريل ٢٤° وفى مايو ٢٧° وفى یونیه ٢٩° وكذلك فى یولیہ وفى أغسطس ٣٠° وفى سبتمبر ٢٨° وفى أكتوبر ٢٥° وفى نوفمبر ٢٤° وفى ديسمبر ٢٠° ، هذا هو الجؤ الاعتيادى وقد تصل الحرارة الى ٣٩°^(٢) ، والأمطار بها قليلة وقد تتحدّر اليها سيول عظيمة تحؤل مكة الى بحيرات وتأتى من الأمطار التى تنزل بالجبال المطيفة بالطائف، وقد وصفنا لك سابقا السيل الذى كان فى سنة ١٣٢٥ هـ . والرياح فى مكة مختلفة المهاب فتارة تهب من الشمال وأخرى من الغرب وثالثة من الجنوب ورابعة من الشرق ، ومنشأ ذلك أن الجبال تطيف بمكة والهواء يعمل فيما بينها شبه دوامات الماء فتأتى الرياح من جميع الجهات وألطف الأهوية عندهم ماجاء من جهة البحر الأحمر، ثم من جهة الشام، أما ما يهب من الشرق أو الجنوب فخار .

تجارة مكة — أكثر الأشياء التى يتجر بها فى هذا البلد يأتى من الخارج : كالבصرة ومصر وبومباى واليمن والشام وغيرها ، وأكثر التجار من الأجانب الذين سكنوا مكة ، ومن الأصناف التى يتجرون فيها العطريات والسبح والسجاجيد والأنسجة الحريرية الهندية والشامية وأنواع الحلى وتأتى اليها الخضراوات والفواكه كالغنب والموز والجؤز والسفرجل وغيرها من جهة الطائف ومن بركة ماجن التى تبعد

(١) دليل الحج لصاؤق باشا ولكن فى «سلنامة» — تقويم — الحجاز أن ارتفاع الطائف ١٧٧٥ متر

(٢) سلنامة ١٣٠٥ ص ١٤٩

عن مكة مسير نصف ساعة وكذلك من مزارع جنوبى جبل ثور تبعد عن مكة مسير ساعتين وتأتى أيضا من بساتين وادى فاطمة على بعد خمس ساعات، ومن سولة ووادى الليمون على بعد أربع عشرة ساعة من مكة، وأهم سوق للتخضرات واللحوم السوق الصغير غربى المسجد الحرام أمام باب إبراهيم، والمجوهرات والأشياء الثمينة فى سوق الشامية، ولوازم الحجاج فى سوق الليل شرق المسجد الحرام . وهاك جدولاً بالنقود المستعملة فى مكة وجدة وقيمتها بالقروش العثمانية فى زمن الحج وبعده نقلناه عن رحلة المرحوم محمد صادق باشا .

من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة	من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة
١٧١	١٦٩	الجنيه المصرى	٢٩	٢٨	الريال الشيكوا
١٧٠	١٦٨	» الانجليزى	٢٨	٢٦	» المجيدى
١٥١	١٤٨	» العثمانى	١٣	١٣	الروبية
١٣٣	١٢٨	البنتسو	—	٥	الفراق
٢٨ ¼	٢٨	الريال طافة	—	١ ½	القرش المصرى

وأكثر النقود استعمالا النقود العثمانية وغيرها أكثر ما يتعامل به فى أوان الحج بحسب قيمته .

مياه الشرب فى مكة — قدما لك نبذة عن الصهاريج فى مكة ولم نين إذ ذاك موارد مياهها وهانحن نشبع الكلام فى ذلك إشباعا ونقفك على سر من أسرار القدر وعمل من أجل الأعمال ربما شق مثله فى عصرنا عصر الاختراعات والتقدم الباهر فى الصناعات، ولكنها الهمة لا يقف دونها شىء ولا يصدها عن تنفيذ عزماتها صاد ولا سيما اذا صفت النية وخلصت السريرة، فاستمع وفقك الله لخير العمل وأبره، فى طريق الطائف على بعد نحو أربعين كيلومترا من مكة جبال تسمى جبال الثقبه تنبع من عندها عين تسير فى قناة بنيت لها من منبعها حتى عرفة فالزبدلفة فى مكة، وهذه العين تعرف بعين زبيدة، وهذه القناة عرضها من الأعلى متروقد تزيد، وفراغها.

من ٥٠ الى ٦٠ سنتيمترا، وعمقها متر ونصفه، وارتفاع الماء في قاعها ٧٠ سنتيمترا وقد يزيد وقد ينقص وهي مغطاة بأبنية الحجارة، وبالغطاء فتحات لأخذ الماء منها، عرضها ستون سنتيمترا وتنقص أو تزيد، والفتحات يتباعد بعضها عن بعض بمسافات مختلفة حسب الحاجة، ويجانب الفتحات أحواض لشرب الآدميين وأخرى لشرب الحيوان، وسطح القناة تارة يكون مساويا لسطح الأرض وتارة يرتفع عنها وقد يصل الارتفاع الى ٧ أمتار، وتارة تسير في تخوم الأرض على مقربة من سطحها أو أبعد، ومن هذه القناة تأخذ كل صهاريج مكة فيشرب أهلها عذبا فراتا، وهذه القناة تدور في سفح جبل عرفات من ثلاث جهات كما ترى ذلك بخريطة عرفة (رسم ٧٨)، وفيها هنالك فتحات كثيرة بين الفتحة وأختها ٤٥٥ أمتار، وعرض الفتحة ٦٨ سنتيا في عرض ٨٠، وقد يزيد الطول والعرض على ذلك الى متر، وعمق القناة ١,٣٢ متر، وعرضها ١,٤٦ متر من الأعلى، ويصعد الى الفتحات بسلام قد تصل درجات السلم الى ١٥، وعلو الدرجة من ٢٥ سنتيا الى ٣٥ سنتيا، وعرضها ٣٠ سنتيا وهذا المقاس إنما كان في المجرى جنوبى جبل الرحمة فقط، وهذه الحياض ترم وتنظف كل سنة قبل موسم الحج بقليل . ومما لاحظته أن هذه الحياض بعرفة دون حاجة الحجيج ودوابهم، فان الحجيج زادوا على ١٥٠٠٠٠ شخص، ومعهم من الحيوان ما لا يقل عن ٣٠٠٠٠ حيوان، فترى الناس في زحام شديد على هذه الحياض، وليس هناك جند يقبضهم صدمات بعض أو يقدمهم الى الأحواض بنظام، وبسبب هذا التزاحم نتقذر المياه حتى لا تصلح لشرب الحيوان فضلا عن الانسان، وبسببه أيضا يعمد الناس الى أخذ المياه من الفتحات التي في المجرى والتي يصعد اليها الناس بسلم ذى أربع عشرة درجة، وهنالك يتوضأون أو يغتسلون من نفس المجرى أو ينظفون ثيابهم وأوعيتهم فيقذرون المياه ولو من أرجلهم على الأقل . ولولا جريان الماء لكان من ذلك أضرار محققة بصحة الحاج .

وكان خليقا بالحكومة أن تنظف الحيطان وتجدد ماءها كل يوم من أيام عرفة، التي لا تعدو الأربعة وتقيم بجانبها حراسا ينظمون حركة الشاربين ويحفظون المياه

احواض المياة بميدان عرفات

١٩٠٧

37

١٥٠



ملفوظات

كل حوض درجة بأَسفله ليقف عليه طالب الماء ليستقي

خود



31



۲۰۰



حوض ۷



33

عمرو الاحواض الكائن جنوبي جبل الرحمة عرفات
الخاصة بماء الشرب وغير للحجاج

عبد الله بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن علي بن ابي طالب	١٠٠	١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠	١١١	١١٢	١١٣	١١٤	١١٥	١١٦	١١٧	١١٨	١١٩	١٢٠	١٢١	١٢٢	١٢٣	١٢٤	١٢٥	١٢٦	١٢٧	١٢٨	١٢٩	١٣٠	١٣١	١٣٢	١٣٣	١٣٤	١٣٥	١٣٦	١٣٧	١٣٨	١٣٩	١٤٠	١٤١	١٤٢	١٤٣	١٤٤	١٤٥	١٤٦	١٤٧	١٤٨	١٤٩	١٥٠	١٥١	١٥٢	١٥٣	١٥٤	١٥٥	١٥٦	١٥٧	١٥٨	١٥٩	١٦٠	١٦١	١٦٢	١٦٣	١٦٤	١٦٥	١٦٦	١٦٧	١٦٨	١٦٩	١٧٠	١٧١	١٧٢	١٧٣	١٧٤	١٧٥	١٧٦	١٧٧	١٧٨	١٧٩	١٨٠	١٨١	١٨٢	١٨٣	١٨٤	١٨٥	١٨٦	١٨٧	١٨٨	١٨٩	١٩٠	١٩١	١٩٢	١٩٣	١٩٤	١٩٥	١٩٦	١٩٧	١٩٨	١٩٩	٢٠٠	٢٠١	٢٠٢	٢٠٣	٢٠٤	٢٠٥	٢٠٦	٢٠٧	٢٠٨	٢٠٩	٢١٠	٢١١	٢١٢	٢١٣	٢١٤	٢١٥	٢١٦	٢١٧	٢١٨	٢١٩	٢٢٠	٢٢١	٢٢٢	٢٢٣	٢٢٤	٢٢٥	٢٢٦	٢٢٧	٢٢٨	٢٢٩	٢٣٠	٢٣١	٢٣٢	٢٣٣	٢٣٤	٢٣٥	٢٣٦	٢٣٧	٢٣٨	٢٣٩	٢٤٠	٢٤١	٢٤٢	٢٤٣	٢٤٤	٢٤٥	٢٤٦	٢٤٧	٢٤٨	٢٤٩	٢٥٠	٢٥١	٢٥٢	٢٥٣	٢٥٤	٢٥٥	٢٥٦	٢٥٧	٢٥٨	٢٥٩	٢٦٠	٢٦١	٢٦٢	٢٦٣	٢٦٤	٢٦٥	٢٦٦	٢٦٧	٢٦٨	٢٦٩	٢٧٠	٢٧١	٢٧٢	٢٧٣	٢٧٤	٢٧٥	٢٧٦	٢٧٧	٢٧٨	٢٧٩	٢٨٠	٢٨١	٢٨٢	٢٨٣	٢٨٤	٢٨٥	٢٨٦	٢٨٧	٢٨٨	٢٨٩	٢٩٠	٢٩١	٢٩٢	٢٩٣	٢٩٤	٢٩٥	٢٩٦	٢٩٧	٢٩٨	٢٩٩	٣٠٠	٣٠١	٣٠٢	٣٠٣	٣٠٤	٣٠٥	٣٠٦	٣٠٧	٣٠٨	٣٠٩	٣١٠	٣١١	٣١٢	٣١٣	٣١٤	٣١٥	٣١٦	٣١٧	٣١٨	٣١٩	٣٢٠	٣٢١	٣٢٢	٣٢٣	٣٢٤	٣٢٥	٣٢٦	٣٢٧	٣٢٨	٣٢٩	٣٣٠	٣٣١	٣٣٢	٣٣٣	٣٣٤	٣٣٥	٣٣٦	٣٣٧	٣٣٨	٣٣٩	٣٤٠	٣٤١	٣٤٢	٣٤٣	٣٤٤	٣٤٥	٣٤٦	٣٤٧	٣٤٨	٣٤٩	٣٥٠	٣٥١	٣٥٢	٣٥٣	٣٥٤	٣٥٥	٣٥٦	٣٥٧	٣٥٨	٣٥٩	٣٦٠	٣٦١	٣٦٢	٣٦٣	٣٦٤	٣٦٥	٣٦٦	٣٦٧	٣٦٨	٣٦٩	٣٧٠	٣٧١	٣٧٢	٣٧٣	٣٧٤	٣٧٥	٣٧٦	٣٧٧	٣٧٨	٣٧٩	٣٨٠	٣٨١	٣٨٢	٣٨٣	٣٨٤	٣٨٥	٣٨٦	٣٨٧	٣٨٨	٣٨٩	٣٩٠	٣٩١	٣٩٢	٣٩٣	٣٩٤	٣٩٥	٣٩٦	٣٩٧	٣٩٨	٣٩٩	٤٠٠	٤٠١	٤٠٢	٤٠٣	٤٠٤	٤٠٥	٤٠٦	٤٠٧	٤٠٨	٤٠٩	٤١٠	٤١١	٤١٢	٤١٣	٤١٤	٤١٥	٤١٦	٤١٧	٤١٨	٤١٩	٤٢٠	٤٢١	٤٢٢	٤٢٣	٤٢٤	٤٢٥	٤٢٦	٤٢٧	٤٢٨	٤٢٩	٤٣٠	٤٣١	٤٣٢	٤٣٣	٤٣٤	٤٣٥	٤٣٦	٤٣٧	٤٣٨	٤٣٩	٤٤٠	٤٤١	٤٤٢	٤٤٣	٤٤٤	٤٤٥	٤٤٦	٤٤٧	٤٤٨	٤٤٩	٤٥٠	٤٥١	٤٥٢	٤٥٣	٤٥٤	٤٥٥	٤٥٦	٤٥٧	٤٥٨	٤٥٩	٤٦٠	٤٦١	٤٦٢	٤٦٣	٤٦٤	٤٦٥	٤٦٦	٤٦٧	٤٦٨	٤٦٩	٤٧٠	٤٧١	٤٧٢	٤٧٣	٤٧٤	٤٧٥	٤٧٦	٤٧٧	٤٧٨	٤٧٩	٤٨٠	٤٨١	٤٨٢	٤٨٣	٤٨٤	٤٨٥	٤٨٦	٤٨٧	٤٨٨	٤٨٩	٤٩٠	٤٩١	٤٩٢	٤٩٣	٤٩٤	٤٩٥	٤٩٦	٤٩٧	٤٩٨	٤٩٩	٥٠٠	٥٠١	٥٠٢	٥٠٣	٥٠٤	٥٠٥	٥٠٦	٥٠٧	٥٠٨	٥٠٩	٥١٠	٥١١	٥١٢	٥١٣	٥١٤	٥١٥	٥١٦	٥١٧	٥١٨	٥١٩	٥٢٠	٥٢١	٥٢٢	٥٢٣	٥٢٤	٥٢٥	٥٢٦	٥٢٧	٥٢٨	٥٢٩	٥٣٠	٥٣١	٥٣٢	٥٣٣	٥٣٤	٥٣٥	٥٣٦	٥٣٧	٥٣٨	٥٣٩	٥٤٠	٥٤١	٥٤٢	٥٤٣	٥٤٤	٥٤٥	٥٤٦	٥٤٧	٥٤٨	٥٤٩	٥٥٠	٥٥١	٥٥٢	٥٥٣	٥٥٤	٥٥٥	٥٥٦	٥٥٧	٥٥٨	٥٥٩	٥٦٠	٥٦١	٥٦٢	٥٦٣	٥٦٤	٥٦٥	٥٦٦	٥٦٧	٥٦٨	٥٦٩	٥٧٠	٥٧١	٥٧٢	٥٧٣	٥٧٤	٥٧٥	٥٧٦	٥٧٧	٥٧٨	٥٧٩	٥٨٠	٥٨١	٥٨٢	٥٨٣	٥٨٤	٥٨٥	٥٨٦	٥٨٧	٥٨٨	٥٨٩	٥٩٠	٥٩١	٥٩٢	٥٩٣	٥٩٤	٥٩٥	٥٩٦	٥٩٧	٥٩٨	٥٩٩	٦٠٠	٦٠١	٦٠٢	٦٠٣	٦٠٤	٦٠٥	٦٠٦	٦٠٧	٦٠٨	٦٠٩	٦١٠	٦١١	٦١٢	٦١٣	٦١٤	٦١٥	٦١٦	٦١٧	٦١٨	٦١٩	٦٢٠	٦٢١	٦٢٢	٦٢٣	٦٢٤	٦٢٥	٦٢٦	٦٢٧	٦٢٨	٦٢٩	٦٣٠	٦٣١	٦٣٢	٦٣٣	٦٣٤	٦٣٥	٦٣٦	٦٣٧	٦٣٨	٦٣٩	٦٤٠	٦٤١	٦٤٢	٦٤٣	٦٤٤	٦٤٥	٦٤٦	٦٤٧	٦٤٨	٦٤٩	٦٥٠	٦٥١	٦٥٢	٦٥٣	٦٥٤	٦٥٥	٦٥٦	٦٥٧	٦٥٨	٦٥٩	٦٦٠	٦٦١	٦٦٢	٦٦٣	٦٦٤	٦٦٥	٦٦٦	٦٦٧	٦٦٨	٦٦٩	٦٧٠	٦٧١	٦٧٢	٦٧٣	٦٧٤	٦٧٥	٦٧٦	٦٧٧	٦٧٨	٦٧٩	٦٨٠	٦٨١	٦٨٢	٦٨٣	٦٨٤	٦٨٥	٦٨٦	٦٨٧	٦٨٨	٦٨٩	٦٩٠	٦٩١	٦٩٢	٦٩٣	٦٩٤	٦٩٥	٦٩٦	٦٩٧	٦٩٨	٦٩٩	٧٠٠	٧٠١	٧٠٢	٧٠٣	٧٠٤	٧٠٥	٧٠٦	٧٠٧	٧٠٨	٧٠٩	٧١٠	٧١١	٧١٢	٧١٣	٧١٤	٧١٥	٧١٦	٧١٧	٧١٨	٧١٩	٧٢٠	٧٢١	٧٢٢	٧٢٣	٧٢٤	٧٢٥	٧٢٦	٧٢٧	٧٢٨	٧٢٩	٧٣٠	٧٣١	٧٣٢	٧٣٣	٧٣٤	٧٣٥	٧٣٦	٧٣٧	٧٣٨	٧٣٩	٧٤٠	٧٤١	٧٤٢	٧٤٣	٧٤٤	٧٤٥	٧٤٦	٧٤٧	٧٤٨	٧٤٩	٧٥٠	٧٥١	٧٥٢	٧٥٣	٧٥٤	٧٥٥	٧٥٦	٧٥٧	٧٥٨	٧٥٩	٧٦٠	٧٦١	٧٦٢	٧٦٣	٧٦٤	٧٦٥	٧٦٦	٧٦٧	٧٦٨	٧٦٩	٧٧٠	٧٧١	٧٧٢	٧٧٣	٧٧٤	٧٧٥	٧٧٦	٧٧٧	٧٧٨	٧٧٩	٧٨٠	٧٨١	٧٨٢	٧٨٣	٧٨٤	٧٨٥	٧٨٦	٧٨٧	٧٨٨	٧٨٩	٧٩٠	٧٩١	٧٩٢	٧٩٣	٧٩٤	٧٩٥	٧٩٦	٧٩٧	٧٩٨	٧٩٩	٨٠٠	٨٠١	٨٠٢	٨٠٣	٨٠٤	٨٠٥	٨٠٦	٨٠٧	٨٠٨	٨٠٩	٨١٠	٨١١	٨١٢	٨١٣	٨١٤	٨١٥	٨١٦	٨١٧	٨١٨	٨١٩	٨٢٠	٨٢١	٨٢٢	٨٢٣	٨٢٤	٨٢٥	٨٢٦	٨٢٧	٨٢٨	٨٢٩	٨٣٠	٨٣١	٨٣٢	٨٣٣	٨٣٤	٨٣٥	٨٣٦	٨٣٧	٨٣٨	٨٣٩	٨٤٠	٨٤١	٨٤٢	٨٤٣	٨٤٤	٨٤٥	٨٤٦	٨٤٧	٨٤٨	٨٤٩	٨٥٠	٨٥١	٨٥٢	٨٥٣	٨٥٤	٨٥٥	٨٥٦	٨٥٧	٨٥٨	٨٥٩	٨٦٠	٨٦١	٨٦٢	٨٦٣	٨٦٤	٨٦٥	٨٦٦	٨٦٧	٨٦٨	٨٦٩	٨٧٠	٨٧١	٨٧٢	٨٧٣	٨٧٤	٨٧٥	٨٧٦	٨٧٧	٨٧٨	٨٧٩	٨٨٠	٨٨١	٨٨٢	٨٨٣	٨٨٤	٨٨٥	٨٨٦	٨٨٧	٨٨٨	٨٨٩	٨٩٠	٨٩١	٨٩٢	٨٩٣	٨٩٤	٨٩٥	٨٩٦	٨٩٧	٨٩٨	٨٩٩	٩٠٠	٩٠١	٩٠٢	٩٠٣	٩٠٤	٩٠٥	٩٠٦	٩٠٧	٩٠٨	٩٠٩	٩١٠	٩١١	٩١٢	٩١٣	٩١٤	٩١٥	٩١٦	٩١٧	٩١٨	٩١٩	٩٢٠	٩٢١	٩٢٢	٩٢٣	٩٢٤	٩٢٥	٩٢٦	٩٢٧	٩٢٨	٩٢٩	٩٣٠	٩٣١	٩٣٢	٩٣٣	٩٣٤	٩٣٥	٩٣٦	٩٣٧	٩٣٨	٩٣٩	٩٤٠	٩٤١	٩٤٢	٩٤٣	٩٤٤	٩٤٥	٩٤٦	٩٤٧	٩٤٨	٩٤٩	٩٥٠	٩٥١	٩٥٢	٩٥٣	٩٥٤	٩٥٥	٩٥٦	٩٥٧	٩٥٨	٩٥٩	٩٦٠	٩٦١	٩٦٢	٩٦٣	٩٦٤	٩٦٥	٩٦٦	٩٦٧	٩٦٨	٩٦٩	٩٧٠	٩٧١	٩٧٢	٩٧٣	٩٧٤	٩٧٥	٩٧٦	٩٧٧	٩٧٨	٩٧٩	٩٨٠	٩٨١	٩٨٢	٩٨٣	٩٨٤	٩٨٥	٩٨٦	٩٨٧	٩٨٨	٩٨٩	٩٩٠	٩٩١	٩٩٢	٩٩٣	٩٩٤	٩٩٥	٩٩٦	٩٩٧	٩٩٨	٩٩٩	١٠٠٠
--	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	------

وَالْمُحَرَّمَاتُ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْيَانِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ

من الأقدار، وأن دولة الشريف والوالى يصحبهما بعرفة الحراس الكثيرون فما عليهم لو جعلوا من أولئك حراسا على الحياض ؟ ولا يكلفهم ذلك فتىلا ولا نقيرا، بل ماذا عليهم لو أقاما جنودا فى ميدان عرفة الفسيح يحافظون على الأمن ويضربون على أيدي اللصوص الذين تفاقم شرهم يترصون غرة من الحاج ليسلبوه ماله ومتاعه ؟ بل مما يضمن راحة الحاج فى ذلك الميدان أن يقسم الى شوارع وحارات يوضع عليها أعلام ، فان الحاج كثيرا ما يضلون خيامهم لسعة الميدان فانه ميلان فى ميلين تقريبا وذلك لا يكلف الحكومة إلا تخطيط الأرض ووضع أسماء الجهات بالخط العريض على رؤوس الشوارع وإنه لأمر يسير .

ومما لاحظته أن ليس هناك بيوت خلاء فترى الناس يقضون الحاجة فى الفضاء متدائنين ومتباعدين فتتصاد الروائح الكريهة ، فلو أقيمت بيوت أدب على مبعدة من الخيام وأنضاف الى ذلك العناية بالماء لكان الناس فى صحة وهناء، ومن الحسن جدا أن تغطى الحياض بغطاء من الصاج ويجعل فيها صنادير « حنفيات » فبذلك يُجَنَّبُ الماء القذر ولا يغيره طول المكث ، وكذلك ينبغى أن يجعل للفتحات التى فى مجرى العين أغطية حتى تمتنع عن العين الأتربة وآستقاء الناس وتطهرهم منها وغسل ثيابهم وأوانيهم ، وإن ما تتفقه الحكومة فى تنظيف الحياض وترميمها فى سنتين ليكنى عمل الأغطية والصنادير فيوفر عليها النفقات الطائلة التى تنفقها كل سنة .

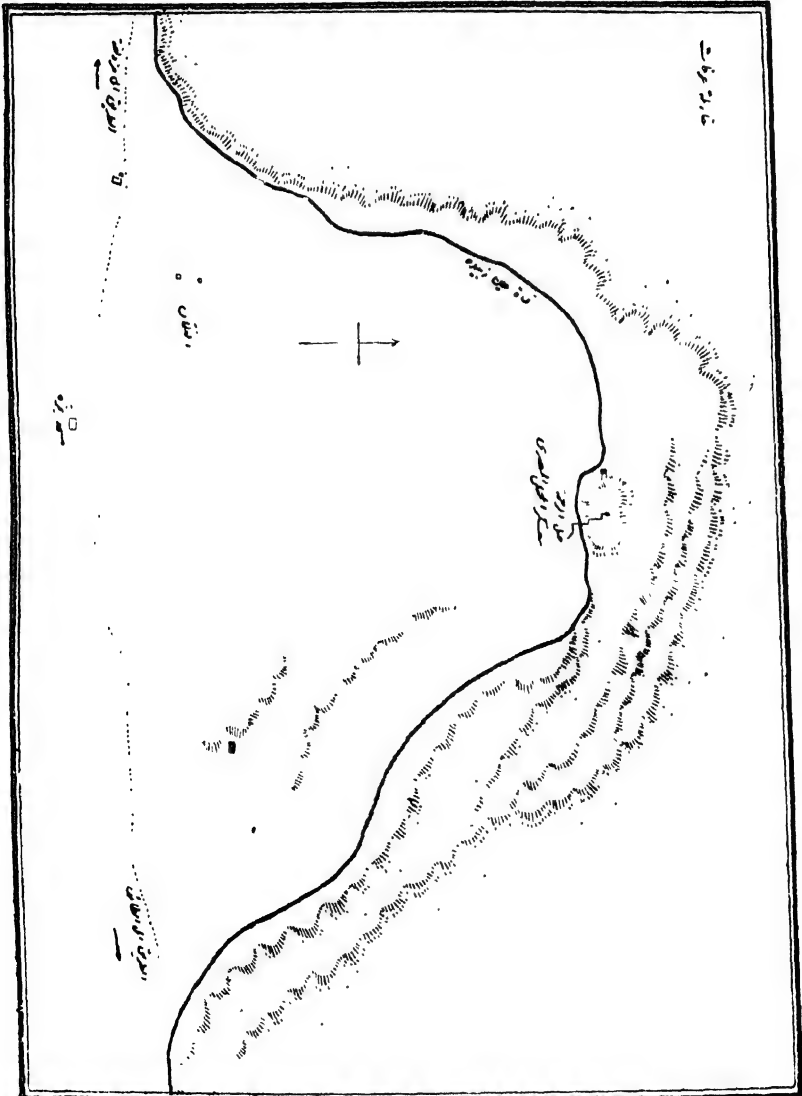
أهمية عين زبيدة — وبما أن عين زبيدة تعتبر كنهر يجرى على مسافة ٤ كيلو مترا يستقى منه سكان البلد الحرام والحجيج الوافدون من جميع الأقطار بل وينبتون به المزروعات ويخطون منه البساتين، كان من الواجب علينا أن نقدم بين يديك نبذة تاريخية عن عين زبيدة خاصة والمياه بمكة عامة، ومنها تعرف أن الاسلام أمتزج حبه بلحوم المسلمين ودمائهم وأنه تأصل فى نفوسهم وازرع الخيرات والرحمة بِقُطْآن الوادى المبارك كما تعرف أن الحج لم يفرضه الله عبثا — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — ولكن أنقذ به أمة فى صحراء جرداء ومكن به الروابط بين المسلمين فى جميع الاقطار : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

المياه في مكة وضواحيها وتاريخها — كان أهل مكة فيما سلف يشربون من الآبار التي بداخل البلدة وخارجها، فلما كانت خلافة معاوية أجرى إلى مكة عيوناً عشرة في قنوات عملها لذلك؛ ولما حج عبد الله بن عامر جمع العيون وصرفها في عين واحدة واتخذ حياضاً بميدان عرفة أجرى إليها ماء العين فبقى الناس في راحة من جهة الماء بمكة وعرفة، وفي آخر دولة بني أمية — ١٣٢ — تخربت العيون التي كانت تمتد العين الكبيرة فانقطعت المياه عن أهل مكة وأصابهم كما أصاب الحجاج من جراء ذلك جهد شديد حتى كانت القرية تباع بعشرة دراهم — ٢٥ قرشاً مصرياً — وأكثر، ورجع الناس إلى مياه الآبار كما بدءوا واستمروا على ذلك إلى خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣) فأمر بإصلاح ما تخرب من العيون، ولكن ما لبثت أن تقطع ماؤها وأصاب الناس من جراء ذلك شدة شديدة؛ فلما بلغ ذلك أم جعفر زبيدة زوجة هارون الرشيد وكانت رغبة في الأعمال الخيرية أمرت بإجراء عين حنين — عين زبيدة — إلى مكة بعد أن استأذنت في ذلك أمير المؤمنين، ومنع هذه العين في ذيل جبل شاهق يقال له «طاد» بين جبال سود عاليات تسمى جبال (الثقبة) في طريق الطائف من مكة، وكانت عين حنين يسقى بها نخل ومزارع للناس إليها ينتهي جريان الماء وكانت تسمى هذه البقعة حائط حنين وهو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه وسلم غزوة حنين، فاشترت زبيدة هذه الأراضي وأبطلت ما فيها من النخيل والمزارع وبنت لئاء قناة يجري فيها شقت لها الجبال وجعلت لها شحاحيد (بركا) في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند هطول الأمطار، وجعلت فيها قناة متصلة إلى مجرى هذه العين فصارت كل شحاذ عينا يساعد عين حنين، وهي سبعة تصب فيها ومياها تارة تزداد وتارة تنقص حسب الأمطار التي تنزل على أمهات تلك الشحاحيد، ولا زالت تمتد تلك القناة حتى وصلت بها إلى مكة؛ وكذلك أمرت بإجراء عين وادى النعمان إلى عرفة وهي عين منبعها في ذيل جبل كرا وهو جبل شاخ صعب المرتقى، من أسفله إلى أعلاه مسيرة نصف يوم وبعده أرض الطائف، وتحد المياه من ذيل الجبل في قناة إلى

موضع يقال له «الأوجر» بوادى النعمان ثم يجرى منه الماء الى موضع بين جبلين شاهقين فى علو أرض عرفات فيه مزارع وفى ذلك يقول القائل :

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

ثم أجرى الماء فى قنوات الى عرفات فاتصلت عين النعمان بها ثم أدير
القنوات فى سفح جبل عرفات كما تراه فى الخريطة (نمرة ٧٨) وجعل منها طرق



(الخريطة نمرة ٧٨)

الى البرك التى بأرض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الجماع يوم عرفة ثم سير بالقناة نحو الشمال وعلى بعد ١٣٧٨ مترا عمل بازان — بئر فى الأرض قاعه مجرى العين وينزل اليه بدرج ، وقد يكون عميقا وقد يكون قريب الغور حسب بعد القناة عن سطح الأرض أو قربها وهذه البئر تعمل ليستقى منها الناس — اسمه « فقير الذئب الأعلى » وعلى بعد ٤٠٥ متر من هذا البازان بازان « فقير الذئب الثانى » ثم تتعطف القناة نحو الغرب داخلية فى وادى المغمس وتنتهى الى « حوض البقر » على بعد ١٤٢٠ مترا من البازان الثانى ، وفى هذا الحوض ٢٥ خرزة ثم تسير فى باطن الجبل الى موضع يقال له « الخاصرة » بقربه أراض زراعية يقال لها الحمدانية ، ثم ترجع منه يمينا الى « بازان الحقابة » الذى على يمين الآتى من عرفات ، ثم تتوجه يمينا الى « بازان المعترضة » وبعد ذلك تسير القناة فى سفح المازمين على يسار القادم من عرفات ، ثم تسير الى مزدلفة وتتوجه منها فى وادى النار وفيه عند رأس جبل على يسار الذهاب الى مكة بازان يقال له « فم الوبر » ومنه يكون المجرى متعلقا فى الجبل الى « المنفجر » خلف منى ، وعنده أقيم الآن على المجرى آلة بخارية (ما كينة) عند الربع (المكان العالى) الذى يرده أهل منى وهذه الآلة ترفع المياه من المجرى وتوصلها فى أنابيب حديدية الى أحواض بمنى أنشئت أخيرا فى عهد صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الأول والمحتاج يستقون من هذه الأحواض . (انظر الرسم ٧٩) الذى إذا تأملته رأيت فيه المجرى والأنابيب ، ثم يتوجه المجرى منحدرًا خلف جبل منى الى فتحات موازية لمدرج منى بجانبها مسجد وحوض لسقيا الدواب يسمى « حوض البقر الثانى » ومنه تسير القناة تحت الأرض الى بئر عظيمة طويت بأحجار كبيرة جدًا تسمى « بئر زبيدة » اليها تنتهى القناة ؛ وهى من الأبنية العظيمة (انظر مجرى عين زبيدة فى الرسم ٨٠) ولعله كان فى العزم توصيل تلك القناة الى مكة لتختلط بمجرى عين حنين ، ولكن حال دون ذلك ما لا نعلمه ؛ والمسافة بين هذه البئر وبين المنبع ٣٣٠٠ متر (رحلة صادق باشا ص ٦١) وبينها وبين منى مسيرة ساعة ركوبًا ؛ ومن هذه البئر يشرب الآن الشريف والوالى وموظفو المحملين وسراة الجماع بواسطة نقل الماء فى قرب على ظهور الحيوانات .



76. Pilgrims on Mount Ararat where a cistern of water from the well of Zobeida is found.



79. A water engine in El Maŕgar, behind a hill at Mina, to supply the pilgrims with water by means of pipes

وصارت عين نعمان خاصة بعرفة ومنى في ذلك الزمن، وقد أنفقت زبيدة على ذلك العمل ١٧٠.٠٠٠ دينار أو منقل من الذهب، ويروى أنه لما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأحضروا دفاترهم لأجل الحساب ليبرئوا ذمتهم ويخرجوا من عهدة ما تسلموه من الخزينة لهذا العمل، وكانت زبيدة ساعة ذلك في قصر عال مطل على الدجلة فأمرت بالدفاتر يلقي بها في الدجلة وقالت: (تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقى عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقى له عندنا شيء أعطيناه) وألبستهم الخلع الثينة — شكرًا لله لها سعيها ورحمها الرحمة الواسعة —

ثم أخذت عين مكة ينقطع ماؤها لفقلة الأمطار وتهدم بعض من قنواتها وطغيان السيول عليها، فأمر صالح بن العباس في سنة ٢١٠ هـ أن يتخذ لها جملة برك في نواحي مكة تصل إليها مياهها، ويذهب الفائض إلى بركة ماجن أسفل مكة؛ وقد كان الخلفاء والسلاطين كلما بلغهم حدوث خراب في هذه العيون أو قنواتها يرسلون من يعمرها، ومن أولئك جعفر بن المعتصم (المتوكل على الله) أرسل مائة ألف دينار ذهباً إلى مكة لاجراء ماء عين عرفات إليها، وكان ذلك لما أن حصلت زلازل في سنة ٢٤١ هـ غارت منها عيون مكة، ومنهم إبراهيم بن خلكان عمّر عين زبيدة في سنة ٥٠٠ هـ وقد وجدت في لوحة بجبل الرحمة على يمين الصاعد إليه هذه الكتابة: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إمام الله ظل مولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره؛ أمر الإمام الاصفهيتار الكبير نصير الدين بن زين الدين صاحب اربل — ولم أعرف ما بعد ذلك — سنة ٥٥٠ هـ لأبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله تعالى ببقائه الإسلام» .

ووجدت لوحة أخرى تدل على عمارة لأبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين سنة ٥٨٤ هـ ونصها: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر سيدنا ومولانا الإمام خليفة الله على كافة أهل الإسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحرام،

أجزل الله ثوابه آمين؛ وذلك على يد الأمير الأصفهتيلار الكبير مجير الدين أمير الحاج والحرمين طاستكين نصر أمير المؤمنين أدام الله توفيقه، وذلك في سنة أربع وثمانين وخمسمائة» .

وهناك لوحة ثالثة تدل على عمارة لأمر المؤمنين السابق وفيها « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله، أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التي بها ملتفة مولانا أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلغه سؤله ومنه وأمله ومبتغاه في سلالته الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الاصفهتيلار الكبير مظفر الدين بكيري بن علي صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد الله سلطانه وأعلى أبدا شأنه سنة ٥٩٤هـ. تقبل الله عن يد عبد الرحمن بن أبي جرمي عفا الله عنه» .

ورأيت لوحة رابعة فيها ما في اللوحة السابقة بالتاريخ عينه . والمستنصر العباسي عمر بن عرفات في سنة ٥٦٢٥هـ . وفي سنة ٥٦٢٧هـ . وفي سنة ٥٦٣٣هـ . وبجبل الرحمة كتابة تدل على تعمير المستنصر العباسي هاكها [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ] شرع لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيفه المباهي هم الملائكة صلى الله تعالى ورجاء عفوهم ﴿يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ بالاربل الأشرف النبوي الامامي المستنصرى زاده الله تعالى شرفا، وقد شاده حالالا المطوع بعمارة عين عرفة والبرك التي بها ملتفة بعد عطلها خرابا عشرين سنة، المولى الأمير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد شرف الدين جلال الدولة عبيد الخلافة المعظم محيي الإمامة المكرمة ملك الملك ومليك المعالي زعيم الجيوش ملك الملك الإمام الأعز أبو الفضائل والمكارم اقبال النخاس النبوى المستنصرى خاص أمير المؤمنين مملوك سيدنا ومولانا الامام الأعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الأمم عبد الله خليفة الله في أرضه المستنصر بالله أمير المؤمنين] .

ومنهم جوبان أمير العراقيين من قبل السلطان أبي سعيد بن خربندا ملك التتار فانه أمر رسوله الأمير بازان بتعمير عين عرفة وزوقه بنجسين ألف دينار في سنة ٥٧٢٥هـ . فلما انتهى موسم هذه السنة نادى في الناس بمكة من أراد العمل في العين فله ثلاثة دراهم يوميا، فخرج اليه العمال وخرج بهم الى العمل وما زالوا يعملون أربعة أشهر

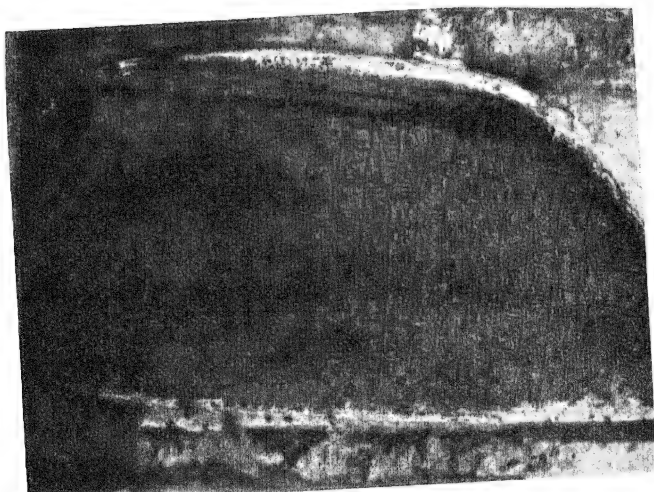
حتى جرى الماء الى مكة وظهر بين الصفا والمروة في ١٠ جمادى الأولى من سنة ٧٢٦ هـ . وقد زادت المياه عن الحاجة فصرفها الناس في زرع الخضراوات ، وبلغت نفقات ذلك ١٥٠٠٠ درهم ، قال الفاسي : والسبب في كفاية ذلك القدر ما وجد فيها حين عمارتها من القناة المعمولة المهيأة من قديم الزمن ، وهي أكثر من الثلث وأقل من النصف — ومن هنا نعرف أن بازان اسم لرجل سميت به الأحواض والآبار التي على مجرى العين لقيامه بإصلاحها — وفي سنة ٧٢٨ هـ أجرى الملك الناصر محمد ابن قلاوون عينا الى مكة سارت في مجرى عين بازان . وفي سنة ٧٤٤ هـ أجرى نائب السلطنة بمصر عينا من منى إلى بركة السلم ، وذلك من طريق منى وعمرت بعد ذلك مرارا ، وفي سنة ٨١٨ هـ عمرت عين بازان — حين — حتى وصل مأوها إلى مكة بعد انقطاعه عنها . وفي سنة ٨٢٠ هـ انقطع الماء فانتدب الملك المؤيد صاحب مصر والشام والحرمين قائده علاء الدين لعمارة العين في سنة ٨٢١ هـ وزوده بألهى مثقال ذهبا ، فشرع في عمارتها في جمادى الآخرة وتممها في شعبان حيث وصل الماء الى مكة ، ولما انقضى موسم هذا العام قل الماء وارتفع سعده فانتدب علاء الدين ثانية في سنة ٨٢٢ هـ بعض العمال والمهندسين لتعمير الملم يعمر منها وإصلاح ما خرب من عمارته الأولى ، فتم ذلك وبلغت المياه مكة في آخر صفر ، وفي سنة ٨٥٢ هـ . عمرت عين حنين بمعرفة «يبرم خواجة» ناظر الحرمين الشريفين ، ثم خربت العيون بعد ذلك وأصاب الناس جهد جهيد . وبلغ ذلك الملك الأشرف قايتباى ، فأمر بتعمير عين مكة وعين عرفات سنة ٨٧٥ هـ . وبدأت العمارة في عين عرفات من جبل الرحمة الى وادى النعان حيث وجدوا الماء هنالك بكثرة فخللوا سبيله الى عرفة فوصلها بعد أن انقطع عنها مائة وخمسين سنة ، كان الحجاج يقاسون فيها يوم عرفة الظمأ الشديد وقد أصلح البرك التي بعرفت وملأها بالماء ، وكذلك عمر عين حنين حتى وصلت مياهها إلى مكة وعمر أيضا عين خليص وأجراها وبني قبتها .

وقد رأيت للشريف قايتباى خطبة نقش في لوح من الحجر وضع بجبل الرحمة على مقربة من القناة فنقلتها بالقلم الرصاص في ٩ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ في مدة أربع

ساعات، وذلك لصعوبة قراءتها وشدّة الزحام، ولولا من يدفع عنى المزارعين جهدهم ما تمكنت من نقلها، وفى ٩ ذى الحجة سنة ١٣٣٠ هـ. تمكنت من أخذ صورتها بالألّة الشمسية (الفتوغرافيا) وقد كتبها الشيخ على بدوى بخطه الجميل لتكون صورة واضحة للأصل الذى لوّثه بعض الدماء. (انظر الرسم ٨١).

من الله تعالى ما يشي به نعيم العبادات ، كبره فيصير بخلاف الآيات
 وتوفيقه فيصير مغفرت ، فكل من لم يكن راضيا عن ذلك كان قد ضل سبيلهم
 على سبيل ما كان له من الحق الذي لا يزل يتجدد ، ولأنه قد علمنا ما كان له من الحق
 من الله تعالى ما يشي به نعيم العبادات ، كبره فيصير بخلاف الآيات
 وتوفيقه فيصير مغفرت ، فكل من لم يكن راضيا عن ذلك كان قد ضل سبيلهم
 على سبيل ما كان له من الحق الذي لا يزل يتجدد ، ولأنه قد علمنا ما كان له من الحق

نفس خطب قایما علی حجر کجای فرات مع میرزا محمد
بمناصرت سیدیه سطر ایچا الی الشرفی فی ۱۸۵۶ هجری



حقوق النقل والطبع والنشر محفوظة وسجلت باسم رسمه اللو ابراهيم مفتي باسمه ابراهيم

Inscription on a stone at Arafât of Kait Bey's speech concerning the repairs to the well of Zobeida, under taken by his brother Sunkur El Gamali in the year 875.

(الرسم ٨١)

[2130 3000 3000 3000]

وفى سنة ٩١٦هـ. عمر قانصوه الغورى آخر ملوك الجراكسة بمصر عين حنين حتى جرت وهأت بركة المعلى وبركة ماجن فى درب الين من أسفل مكة، وارشفق الناس بذلك؛ وفى أوائل ملك الدولة العثمانية للأقطار الحجازية بطات العيون لقلة الأمطار وتهدمت القنوات وانقطعت عين حنين عن مكة، وصار أهلها يستقون من آبار حولها يقال لها العسيلات فى علو مكة قرية من المنحنى، ومن آبار فى أسفل مكة يقال لها الزاهر فى طريق التنعيم، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها حتى كان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الأمكنة النازحة، وكان فقراء الحجاج لا يطلبون يوم عرفة غير الماء لعزته، وكان بعض الأقوياء يستحضره من الأماكن النائية ليبيعه فيربح فيه الأرباح الطائلة، قال العلامة قطب الدين الحنفى: وكنت يومئذ مراهقا فى خدمة والدى رحمه الله وفرغ الماء الذى حملناه من مكة واشترت قربة صغيرة جذا يحملها الانسان بأصبعيه بدينار ذهبا، والفقراء يضجون من العطش يطلبون من الماء مايلون به لحوقهم فى ذلك اليوم الشريف، فشرب أهلنا منها وتصدقوا بباقي القربة على من كان مضطرا اليها من الفقراء، ثم عطشنا جميعا عقب ذلك وجاء وقت الوقوف والناس فى شدة الظمأ يلهفون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله ورحمته والناس إذ ذاك واقفون تحت جبل الرحمة، فصاروا يشربون من السيل تحت أرجلهم ويسقون دوابهم، وحصل البكاء الشديد من الحجاج لما رأوا من رحمة الله بهم وإحسانه اليهم، ثم صدرت الأوامر السلطانية السليمانية باصلاح عين مكة (عين حنين) وعين عرفات، وعين للعيون ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى، وكان مجاورا بمكة فبذل جهده فى العمارة حتى جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها إلى بركة ماجن، وأصلح عين عرفات حتى صارت تملأ البرك بعرفات وكان ذلك فى سنة ٩٣١هـ. ثم اشترى «مصلح الدين» عبدا سودا وأجرى عليهم الأطعمة من خزائن السلطنة وأناط بهم خدمة العين وإخراج أثربتها من الدبرل - جمع دبل وهو الجدول أى النهر - والقنوات، ثم قلت الأمطار وبست العيون ونزحت الآبار فى سنين متعددة من سنة ٩٦٥هـ. وما بعدها حتى كانت سنوات تقارب سنى يوسف

شدادا عجافا، ولم يبق من العيون إلا عين عرفات ولكن قل جريانها. ولما عرضت أحوال العيون على السدة السلطانية السليمانية صدر الأمر بتصليح ذلك، فاجتمع بمكة قاضيها عبد الباقي المغربي وحاكم جدة خير الدين وغيرهما من الأعيان وتشاوروا في الإصلاح، فاجمع أمرهم على أن أقوى العيون عين عرفات وعقدوا النية على توصيل الماء من بئر بيده خلف منى إلى مكة وحسبوا أن تحت الأرض مجرى قديما إلى مكة وانهدم، وطلبوا من السلطنة ٣٠٠٠ دينار للتعمير سنة ١٠٩٦هـ. فالتفتت صاحبة الخيرات فاطمة هانم كريمة السلطان سليمان من أيها أن يأذن لها في القيام بهذا العمل الخيري فأذن لها، وانتدبت لذلك بعد استشارة الوزراء الأمير إبراهيم بن تكرين أمين الدفاتر بديوان مصر وأعطته ٥٠٠٠٠ دينار للقيام بالعمل، وقد وصل إلى جدة لثمان بقين من ذى القعدة سنة ١٠٩٦هـ. ثم برحها إلى مكة فقابلته شريفها محمد بن نبي مقابلة جميلة وأكرم وفادته، وجاء للسلام عليه قاضي مكة حسين الحسني فعرض عليها مهنته وزوداه بالآراء الصائبة وبحث عين عرفة بنفسه حتى أحاط بها خبرا، واستدعى من مصر والشام وحلب والأستانة واليمن طوائف المهندسين والخبراء بالعيون والآبار والحدادين والبائين والمجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج إليه في العمارة واستحضر آلائها من مصر، وشرع بمعونة هؤلاء ومعونة ممالكه الأربعة المائة في إصلاح القناة مبتدئين من الأوجر حتى وصلوا إلى بئر بيده، وهناك بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون إذ لم يجدوا بعد البئر دبلا تحت الأرض وعلموا أن ذلك أن زبيدة اضطرت إلى ترك التوصيل إلى مكة اضطارا لصلاية الحجر وصعوبة قطعه وطول مسافته، وأن لاسبيل إلى ذلك ألا بتقريب دبل تحت الأرض في الحجر الصوان طولها ألفا ذراع بذراع البنائين — ٧٥ سنتيمترا — حتى يتصل بدبل عين حنين وتتصل عين عرفة بمكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الأرض، فانه يحتاج إلى النزول في تخوم الأرض ٥٠ ذراعا عمقا فتجاذب الأمير إبراهيم عاملا اليأس والأمل، ولكن عامل اليأس قضى عليه صادق عزيمته فحفر وجه الأرض حتى إذا ما وصل إلى الحجر الصوان أوقف عليه ليلة كاملة ما يقارب مائة حمل من الحطب الجزل في مكان

طوله سبعة أذرع في عرض خمسة من وجه الأرض حتى تأكل من الحجر الصوان
 ١٢ من الذراع، ثم أعمل المعاول حتى صادف الحجر الصلب فأوقد عليه النيران كما فعل
 أولا حتى وصل الى عمق ٥٠ ذراعا، وبذلك حفر من القناة خمسة أذرع من ألفى ذراع
 ثم سار على هذا النمط حتى أتم ١٥٠٠ ذراع، وقد نفذ الخطب من الجهات الدانية
 والثانية وذهب خدمه وأولاده ومماليكه في سبيل ذلك، وأنفق ٥٠٠,٠٠٠ دينار ذهباً
 من الخزائن السلطانية واخترمه أجله بعد ذلك في رجب سنة ٩٧٤ هـ فشيعة القلوب
 وأغدقت عليه صيب الدعوات ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح، وخلفه
 على العمل أمير جدّة قاسم بك ولم يقدّم بغير عمل لتقصير فهمه ومثله وتشيته برأيه
 وتوفى، خلفه الأمير محمد بك فعاجلته المنية في رجب سنة ٩٧٩ هـ ثم تولى العمل
 فاضى القضاة وناظر المسجد الحرام السيد حسين الحسنى، بفدّ جدّه ونشط نشاطه
 حتى أتم القناة في خمسة أشهر بعد أن قضى الأمراء السابقون في ذلك عشرة أعوام،
 فخرت عين عرفات الى مكة وتفجرت ينابيعها في نواحيها لعشر بقين من ذى القعدة
 سنة ٩٧٩ هـ. وكان هذا اليوم عيداً أكبر للناس مدّت فيه الموائد للأكابر وخلعت
 الحلل الفاخرة على المهندسين والبائين، وتصدّق على الفقراء والمساكين وزفت
 البشائر الى السلطان سليم وكرّمه ذات المجد الأثيل والخير العميم فاطمة هانم،
 فأقيمت الأفراح بالأستانة وأغدقت العطايا على فاضى القضاة الذى تم على يده ذلك
 المشروع العظيم الذى أحيا أم القرى بماء الحياة كما حيت من قبل بإشراق النبوة
 من نواحيها وجج الناس اليها من أدانى الأرض وأقصاها، وتلك مأثرة للسلطان
 سليم تقرر بالحمد والثناء وتسطر في سجل أعماله الطيبة بحروف من نور ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
 أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

وقد حصل بعد ذلك في العين ومجاريها تعميرات في سنى ١٠٢٠ و ١٠١٩ هـ
 و ١٠٢٥ هـ. ورأيت في لوحة هذه الكتابة «أمر بتعمير عين عرفات مولانا
 السلطان الأعظم والخاصان الأنعم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان

ابن السلطان محمد خان أيد الله سلطته الى آخر الزمان سنة ١٠٢٥ هـ . بمباشرة الفقير اليه سبحانه حسن باشا عفى عنه وكذلك عمرت في سنى ١٠٦٦ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ هـ . وقد رأيت مكتوبا على حجر رخام ثبت بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه العبارة الآتية : « يا محمد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده على إفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أمر حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأنخم مولى ملوك العرب والعجم السلطان الغازى محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان عز نصره أجرى عين عرفات وتعمير أبنيتها واتصاله الى الحرم المينف ، بفضله تعمريت سنة أربع وثمانين وألف ١٠٨٤ من هجرة من له العز والشرف على يد عمدة أعيان الدولة الحاج على أغا بن مصلى قهوجى باشا السلطان كان الله له ووفقه لمرضاة الله (وفى الآخر كلمتان لم أعرفهما) » .

وعمرت في سنة ١٠٨٩ و ١٠٩٢ هـ . وعملت إصلاحات هامة في سنة ١٠٩٣ هـ . بأمر السلطان محمد خان فنظفت البرك التى بالمعلى وزيد في ارتفاعها مقدار قامة وأقيم في وادى النعول سدّ عظيم يمنع طغيان السيول على المجارى ، وبني على رأس القنوات الحواجز المسماة بالخرازات فبنى نحو عشرين خرزة وعمل قناة في أسفل مكة تذهب بمياه السيل الى بركة ماجن ، وفي يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٠٩٩ هـ . كسر من قنوات العين نحو ثلاثين ذراعا فبعث الشريف من فوره بالمهندسين فأصلحوا ذلك .

وفي سنة ١١٤٣ هـ . انقطع ماؤها أجمع وصار الناس يستقون من آبار العسيلات والزاهر وغيرهما ، وقد أصابحت من طرف السلطنة وكذلك عمرت في سنة ١١٨١ هـ . وفي سنة ١٢١٩ هـ . بعد قطع الوهابيين المياه عن مكة حينما حاصروها وتخرب بعض قنواتها فأصلحت ذلك الدولة العثمانية ، وكذلك أصلحها السلطان محمود سنة ١٢٣٥ هـ . وفي سنة ١٢٤٢ هـ . انقطع الماء من مكة لخراب حياث بالقنوات بسبب السيول فأرسل الى مصر محمد على باشا من عمر القنارات ، وبناء ذلك بقيت عين مكة يقل

ماؤها بقلّة الأمطار ويكثر بكثرتها حتى كانت سنة ١٢٧٨ هـ . إذ حدث سيل عظيم
 حرب بعض مجاريها فأصلح . وفي سنة ١٢٩١ هـ . كاد ينقطع ماؤها عن مكة فأصلح
 المجارى والى الحجاز من قبل السلطنة السيد محمد الشروانى باشا مع جماعة من أهل البر.
 وفى سنة ١٢٩٥ هـ . شكلت بمكة لجنة بسعى بعض الهنود لجمع الإعانات من كافة
 الأقطار الإسلامية خصوصا مصر والهند وإنفاقها فى إصلاح العيون ، وكان من
 أعضاء تلك اللجنة الشيخ رحمة الله الهندى صاحب كتاب إظهار الحق ، فجمعت
 أموالا كثيرة واستقدمت من الهند المهندسين والصناع وخرجت بهم الى عرفة
 نذرعوا المسافة بين مكة ومنبع عين زبيدة من وادى النعمان فاذا هى تنيف على
 ١٧٠٠٠ متر ^(١) ورأوا أن يبدؤوا العمل فى عين زبيدة من جهة عرفة ، فأصلحوا نحو
 ٦٠٠ ذراع فى المجرى من بعد حدود عرفة الى وادى النعمان ، وبنوا فيها عدّة خرزات
 سترو بعضها وكشفوا باقىها ليستقى منها العربان ، وكان شروعاتهم فى العمل من جهة
 مكة بتنظيف الدبول وتعمير ما تخرب منها حتى وصلوا الى المفجر ، ووصلوا الماء
 منه الى منى بآلة بخارية أقاموها هنالك ، ونحتوا لأجل ذلك بعض الجبال ولم يزالوا
 فى عملهم حتى وصلوا الى عرفة ، وبنوا فى عملهم هذا عدّة خرزات فى طريق مكة ،
 وبازانات بمكة منها : بازان الشعب ، وبازان سوق الليل ، وبازان القشاشية ،
 وبازان جياذ ، وبازانان بحارة المسفلة ، وبازان بحارة الباب ، وبازان الشبكة ،
 وبازان الشامية ، وبازان بسوق المعلى يسمى بازان التّمارة ، وعمروا ما كان خرابا
 وزادوا موارد الماء بالبلدة وقطعوا الجبل الطويل الذى بأول مكة وبنوا به دبلا
 يجرى فيه الماء الى حارة جروال التى بنوا فيها بازانا عظيما يستقى منه الناس ، وكذلك

(١) هذا ما فى رسالة الرواوى وهو يخالف ما فى رحلة وادق باشا من أن المسافة بين المنبع وبين بئر
 زبيدة ٣٣ كيلومترا فاذا هى بين مكة والمنبع أكثر من ذلك وهذا هو الصحيح ، فان صادق باشا لما رجع
 من الطائف مر بمبدأ المجرى وقطع المسافة بين البدأ وبين على الحرم من جهة عرفة فى ٢ س و ١٦ ق
 وطمع المسافة بين العلهين ومكة فى ساعة و ٥٠ ق ، اذا لاحظنا أن المجرى يسير هذا الطريق فى الأكثر وأن
 المسافة بين مكة وعلى الحرم ١٨ كيلومترا تقريبا كانت المسافة بين العلهين وبدأ المجرى ٢٢ كيلومترا أى أن
 المجرى طوله ٤٠ كيلومترا من مبدئه الى مكة فهذه المسافة التى نسبها الزواوى الى المهندسين تخالف الواقع .

عمروا بعض التعمير في العين الأصلية (عين حنين) بعد أن أهملت منذ وصلت عين عرفة إلى مكة. وفي سنة ١٢٩٧هـ. أرسل إلى اللجنة من مصر ٢٥٠٠ جنيه مع أحد معاوني الداخلية وكان برفقته أحد المهندسين لمباشرة العمارة الحارثية مع المعمرين ، وقد مكثت اللجنة تشغل ثلاث سنين دأبا تحت رئاسة الحاج عبد الواحد الميمنى ثم أخذ الفتور يدب في أعضائها وتنازلت الحكومة بعض مال اللجنة من صندوقها وأنفقته في غير مصالح العين فأساء ذلك أهل الهند وقطعوا الإعانات ، فوقفّت اللجنة عملها وأستغنى رئيسها وأكثر أعضائها وتشكلت لجنة أخرى آستولت على ما بقى بصندوق العين ويقال : إنه كان ٥٧٠٠٠ جنيه ، وسارت في العمل كسابقتهما ولكن هذه وجهت كبير عايتها الى إصلاح عين حنين وكانوا يرون أنها عين مكة الأصلية ثم آتقطع العمل في العينين فآتقطع ماء عين حنين وقل ماء عين زبيدة وكاد يتقطع في سنة ١٣٢٤هـ. فكنّوت لجنة تحت رئاسة الشريف وجمعت إعانات جبرية من مكة والطائف وجدة وكتبت إلى الدولة مستجدية بجمعت عشرات الألوف من الخنيمات ، وقدم من الإستانة مهندسون فقاموا بإصلاح كبير خصوصا في منابع العين من جهة وادى النعمان ، وفي سنة ١٣٢٦هـ. قدم مهندس ومفتش من قبل الدولة لتعرف أحوال عين زبيدة فوضها لها خريطة عظيمة من منبعها الى مكة تركا صورة منها في مقر اللجنة وأخذوا أخرى الى الإستانة ، وفي أوائل شهر المحرم سنة ١٣٢٧هـ. شكل أمير مكة الشريف الحسين باشا بن على هيئة جديدة لإصلاح العيون أعضاؤها من أجناس مختلفة ووكّل إليها الإصلاح وجعلها حرة في عملها ناستنضت هم المسلمين في الأقطار المختلفة فغمروها بالبرعات ولا سيما الهند ومصر وجاوة وبدأت في الإصلاح ، وفي آخر سنة ١٣٢٨هـ . جاء سيل عظيم ملأ المجارى حتى طفت وهدم كثيرا منها فقل الماء ولجأ الناس الى الآبار القديمة وإنها لكثيرة ، فقام شريف مكة وأنجاله وأهل مكة بالإصلاح بأموال من صندوق اللجنة حتى وردت المياه مكة . وفي ١٨ المحرم سنة ١٣٣٠هـ . هجم سيل شديد من وادى نعمان وهيجان وسدّ دبرل عين زبيدة بالتراب ، وقطع الماء عن عرفات ، فقامت اللجنة بتعمير المتخرب حتى عاد الماء الى مجراه.

وأنشأت مستغلات جديدة، وقد مكثت هذه اللجنة ثلاث سنين مجدة في عملها فظهرت المجارى وكشفت عن عيون محتبئة وبنت خريزات كثيرة وأصلحت عدة بازانات وعمرت مستغلات عين زبيدة وأحدثت لها مستغلات أخرى فلها شكرنا الوافر وثاؤها المستطاب .

وقد أطلعنا عليك أيها القارئ الكلام مع تعمدا الاختصار ولكنها النفوس الطيبة والأعمال الخيرة تأبى إلا أن تنقش على صفحات كل كتاب سيار حتى يكون للناس منها قدوة حسنة فيكون لغاؤها — زيادة الى أجره — أجر من عمل بها الى يوم القيامة .

وإننا نبتل الى جميع المسلمين في أن يتقدموا بأموالهم ورجالهم الى تلك العيون التي يستقى منها سكان بيت الله والوفود عليه من كل فجٍ والتي تعب سلفنا الصالح في إنشائها وتعميرها ولم يضمنوا عليها بمال أو رجال ندعوهم ليقوموا نحو هذه العيون بعمل خالد يأمن معه صدمات الليالي وهجوم السيول ويطمئن به أهل مكة ومحاجها على الماء الذي به حياة كل شيء قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْرِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١)

الحرم

قال تعالى ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ اعلم أنه يحيط بالكعبة ثلاث دوائر: الأولى دائرة المسجد، والثانية دائرة الحرم، والثالثة دائرة المواقيت فلا يعدو أمرؤ الدائرة الثالثة قاصدا دخول مكة إلا إذا أحرم — لبس ثياب الإحرام وأهل بالتلبية فحرمت بذلك عليه محرمات الإحرام — وهى ذو الحليفة لأهل المدينة، والمخيمفة لأهل الشام، وقرن لأهل نجد، ويلملم لأهل اليمن، وذات

(١) روجع في كتابة المياه بمكة الى الأصل ص ٤٢ والرحلة صادق باشا ص ٦١ والى شفاء الغرام ص ٢٥٩ والى رسالة السيد محمد صالح الزواوى مفتى المالكية بمكة المكرمة .

عِرق للعراقيين . وذو الخليفة على عشر مراحل من مكة ، والجحفة على ثلاث ، وقبلها بقليل رابع ، وذات عِرق على مرحلتين ، وكذلك قرن المنازل . ويلهم . والدائرة الثانية دائرة الحرم وقد نصبت عليها أعلام في جهاتها الأربع ، وقد ذكر المسافات بينها وبين المسجد الحرام التي القاسى في كتابه شفاء الغرام ، ونحن نذكرها نقلا عنه مبينين مقاديرها بالأمتار ، فحد الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن عُرنة $\frac{2}{7}$ ٣٧٢١٠ ذراع بذراع اليد ، أى ١٨٣٣٣ متر وذلك من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم من جهة عرفة ، وحدّه من جهة العراق من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم في طريق العراق واللذين هما بجادة وادى نخلة — ٢٧٢٥٢ ذراع بذراع اليد ، وتعادل $\frac{13353}{5}$ متر . وحدّه من جهة التنعيم وهى طريق المدينة وما يليها ١٢٤٢٠ ذراع بذراع اليد ، أى ٦١٤٨ متر وذلك من جدر باب العمرة إلى أعلام الحرم التى فى الأرض من هذه الجهة لا التى على الجبل . وحد الحرم من جهة اليمن من جدر باب إبراهيم إلى علامة حد الحرم فى هذه الجهة $\frac{4}{5}$ ٢٤٥٠٩ ذراع بذراع اليد ، وتعادل ذلك $\frac{12009}{5}$ متر ، وعلى حد الحرم من جهة الجنوب مكان يقال له : أضاة ، ومن الغرب بميل قليل إلى الشمال قرية الحديدية وهى التى تمت بها بيعة الرضوان ، ومن الشرق على طريق الطائف مكان يقال له : الجعرانة ^(٢) أحرم منه النبى صلى الله عليه وسلم مرجعه من الطائف بعد فتح مكة (انظر الرسم ٨٢) وهذه الدائرة جعلها الله مثابة للناس وأمنا بل أمن فيها الحيوان والنبات فحرم التعرض لصيدها ومنع أن يُحتَلَى خَلاها (حشيشها) أو يعضد شوكها .

وأول من نصب علامات على حدود الحرم إبراهيم عليه السلام بإرشاد جبريل تعظيما للبيت وتشريفا ، ثم قصى بن كلاب ، وقيل : قبله اسماعيل ، ويروى هذا عن

(١) ذراع الحديد $\frac{1}{7}$ ٥٦ سنيا كما حررت من قياس جدر الكعبة بالمتر ، ومقارنتها بقياس القامسى ،

وذراع اليد ٤٩ سنيا بالتقريب استنتجته من قياسه لبعض الأماكن بالذراعين ذراع الحديد وذراع اليد .

(٢) الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وبكسرهما وكسر العين وتشديد الراء .



(الخبرية نمرة ٨٢)

أبن عباس، وقيل: إن عدنان بن أذ أول من وضع أنصاب الحرم، ونصبتهما قريش بعد ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل هجرته، ونصبها النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح، ثم عمر بن الخطاب في سنة ١٧ هـ، ثم عثمان بن عفان في سنة ٢٦ هـ، ثم معاوية رضى الله عنهم ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، ثم أمر الرازي بعمارة العلمين الكيرين اللذين بالتنعيم في سنة ٣٢٥ هـ. قال الفاسي: وأسمه عليهما مكتوب ثم أمر المظفر صاحب إربل بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة سنة ٦١٦ هـ، ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٨٣ هـ^(١).

المسجد الحرام

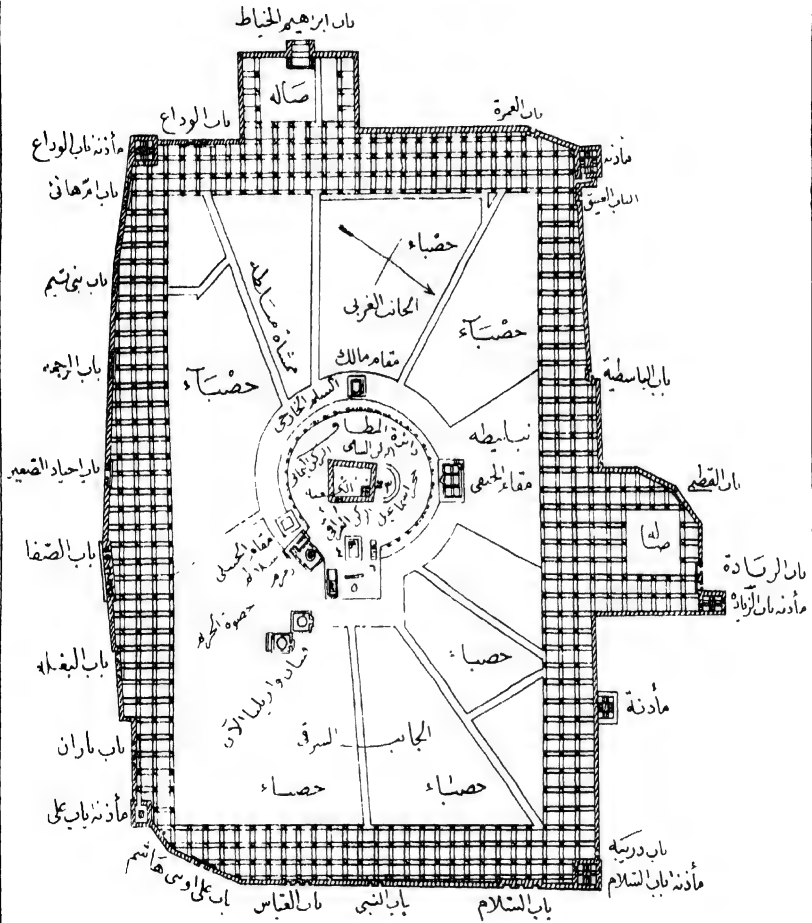
وصف عام للمسجد — أبواب المسجد — مآذنه — توسعته وعماراته وتاريخ ذلك — مواقف الأئمة في المسجد الحرام — كيفية الصلاة فيها — مقام إبراهيم عليه السلام — منبر المسجد الحرام وتاريخه — بئر زمزم — سقاية العباس — المشاشي الأربع — مزاويل المسجد — قناديله — موظفوه — أعمدة المطاف .

وصف عام للمسجد الحرام — المسجد الحرام وسط مكة وشكله مربع تقريبا . وضلعه الشمالية المقابلة للحطيم ١٦٤ مترا وطول الضلع الجنوبية المقابلة للأولى ١٦٦ مترا، وضلعه الشرقية التي فيها باب السلام ١٠٨ مترا، والغربية طولها ١٠٩ مترا، فيكون مسطحه من الداخل ١٧٩٠٢ متر أى أربعة أفدنة وربع تقريبا أما من الخارج فتوسط طوله ١٩٢ مترا وعرضه ١٣٢ مترا، وفي وسط المسجد بميل إلى الجنوب بيت الله أى الكعبة المكرمة . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع ثلاثة أروقة (بواكى) فى الأكثر، يفصل بين كل رواق وآخر صف من الأعمدة مواز لجدر المسجد، ووصل بين كل عمودين بعقد من البناء المتين وأقيم على كل أربعة

(١) لم نثر على تاريخ الأعلام بعد ذلك مع شدة حرصنا على الوقوف عليه مع أنه لا بد أن تكون عمرت بعد ذلك مرارا فان بناها القائم ليس بناء سبعة قرون أو تزيد .

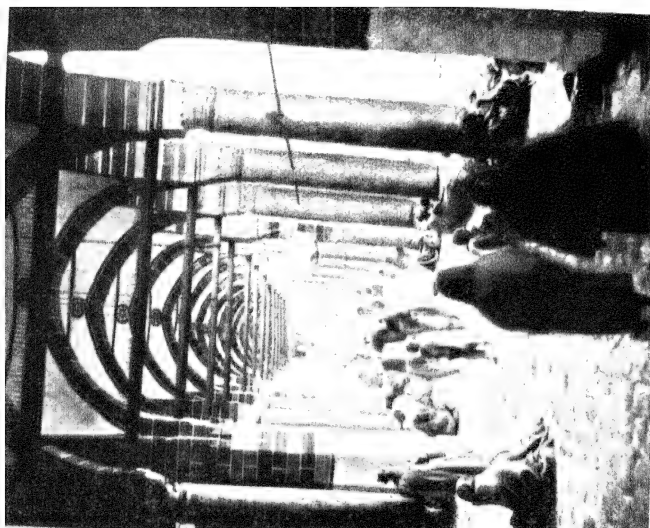
أعمدة قبة محكمة البناء فنشأ من ذلك قباب متجاورة منها تكون سقف تلك الأروقة ، وعدد العقود في الجهة الشمالية من الجدار الشرق الى الغربى ٤٢ عقدا في كل صف على استقامة واحدة ، أما العقود العرضية في هذه الجهة فتلاثة ثلاثة إلا في الطرفين فان العرض عقدان ، وعدد العقود طولا في الجهة الجنوبية ٤٠ في أطول صف من الجدار الشرق الى الغربى ، وعددها عرضا ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة في الوسط ، وفي الطرف اثنان وواحد ، وعددها من الجهة الشرقية طولا بطول الصحن فقط ٢٤ عقدا في كل صف ، والعرضية ثلاثة ثلاثة إلا في الطرف الجنوبى فاثنا لاختراف الجدار ، وفي الجهة الغربية قبالة الصحن فقط ٢٤ طولا في كل صف ، والعقود العرضية أربعة أربعة وقليل ثلاثة ثلاثة ، وتجد عقودا أخرى في الجهة الشمالية في مدخل باب الزيادة وكذلك في الجهة الغربية في مدخل باب إبراهيم ، وجملة الأعمدة المقامة عليها تلك العقود ٥٤٥ عمودا منها ٣٠١ من الرخام ومنها ٢٤٤ من الحجر الشميسى الأحمر ، ومعلق بين كل عمودين خمسة قناديل بكار - فناير - توضع فيها المصابيح ، وفي صرة كل قبة قنديل فاذا ما أضيئت كل هذه مع ما حول الكعبة أحدثت منظرا يملأ النفس بهجة وسرورا . (أنظر المسجد الحرام فى الرسم ٨٣) والجهة الشمالية فى الرسم ما فيها باب الزيادة والشرقية ما فيها باب النبى صلى الله عليه وسلم الخ ، وانظر العقود (البواكى) فى (الرسم ٨٤) وترى فى العوارض الخشبية مسامير لمنع وقوف العصافير والحمام عليها آتقاء لقذرها ، وما عدا هذه الأروقة من المسجد فصحن واسع توسطته الكعبة (الرسم ٨٥) يحيط بها المطاف المرصوف بالرخام قد أقيم عليه صف من الأعمدة المصنوعة من النحاس الأصفر وصل بينها بعوارض الحديد تعلق فيها المصابيح وأقيم بخارج المطاف تجاه كل ضلع من أضلاع البيت - عدا الضلع الشرقية - سقيفة قامت على أعمدة الرخام يصلى فى الشمالية منها إمام الحنفية وهى ذات طبقتين وفى الغربية إمام المالكية وفى الجنوبية إمام الحنبلية أما إمام الشافعية فيصلى خلف مقام إبراهيم شرق الكعبة أوفوق البناء المقام على زمزم . ويجوار المطاف فى الجهة الشرقية المنبر وفى جنوبه قبة أقيمت على بئر زمزم ، وبشمالى البئر باب

الخريطة الحرام في مكة



- ١ باب المعين
- ٢ المحجر الأسود
- ٣ قبر اسماعيل والذئبة
- ٤ مقام ابراهيم
- ٥ باب السلام او بني سمية
- ٦ منبر

الخريطة الحرام في مكة



84. Arcades of El Haram Mosque as seen from the Interior.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا إِذْ بَعَثْتَ فِيهِ الْمُرْسَلِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا إِذْ بَعَثْتَ فِيهِ الْمُرْسَلِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا إِذْ بَعَثْتَ فِيهِ الْمُرْسَلِينَ

85. The Southern, Western and Northern view of the Mosque of Mecca.

اجتماع الحجاج لصلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

بهذا الرسم على الشمال زعم وهى البيضاء ذات القبة وبها ظاهري وبين الباب والكعبة سلم للصعود عليه داخل الكعبة من افخر الصناعات العربية وبعدها الكعبة والخزام القصب والستارة ظاهرة وفي وجه الكعبة باب بنى شبيه وقناديل الانارة في وسطه وبعده المنبر وعليه البيق واثنان اغوات وبعده البواكي وبعده مقام الحنفى ذو الطبقتين والحجاج جلوس



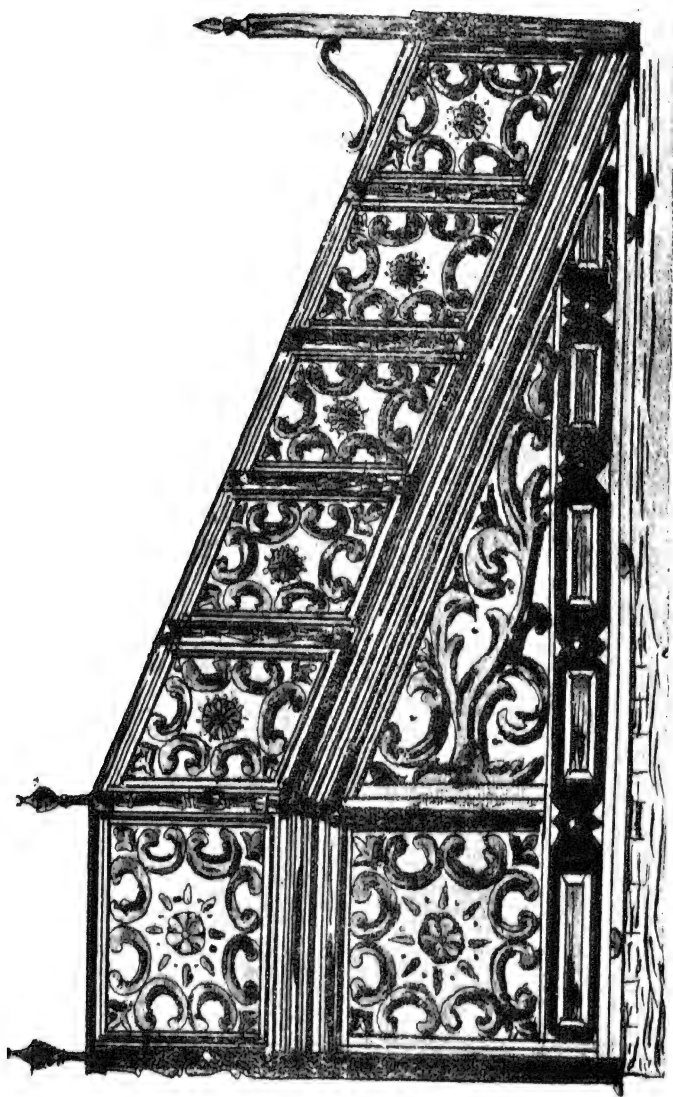
اجتماع الحجاج لصلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

86. The meeting of the pilgrims round the Kaaba for the Friday prayers.

اجتماع الحجاج لصلاة الجمعة



87. The Pigeons of Hema in Haram Mosque in Mecca



سَلَامٌ عَلَى الْعَرَبِ وَسَلَامٌ عَلَى الْأَنْعَامِ

87. Stairs to ascend to the Interior of Kaaba.

بنى شيبة يعلوه عقد أقيم على عمودين من الرخام، وقد كتب على باب بنى شيبة تحت الهلال ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ وكتب على العقد ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ وذلك بماء الذهب، وكتب في الجهة المقابلة لمقام إبراهيم والكعبة «الله جل جلاله» ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ «محمد عليه السلام» (انظر باب بنى شيبة في الرسم ٨٦ الذي أخذته سنة ١٣٢٥ هـ . والحجاج مجتمعون بالمسجد لصلاة الجمعة) وأرض المسجد منخفضة عن الأرض المحدقة به بنحو ثلاثة أمتار ويصعد من أرضه إلى الأبواب التي على الشوارع بسلام، والبيت منحدر تدريجاً عن هذه الأرض بنحو متر، وصحن المسجد سقفه السماء وفرشه الحصباء إلا ما تخلله من الماشى التي تصل بين الأبواب والأروقة من جهة والمطاف وما يليه من ناحية الكعبة من جهة أخرى فإنها مرصوفة بحجارة الحصص كالأروقة ليسلكها الناس ويتجنبوا الحصباء التي كثيراً ما تكون مبللة بمياه الوضوء، ولذلك فإن المطوفين إذا ما دنت صلاة العصر بسطوا «الأكلمة» والسجادات على هذه الحصباء ليجلس عليها الحجاج، على أن كثيراً من الناس يفترش الحصباء الساعتين والثلاث انتظاراً للصلاة خصوصاً في يوم الجمعة فتراهم ييكون ويجلسون على الحصباء وقد أشتد القيظ وتسلط على الأدمغة طيب الشمس كل هذا حرصاً على سماع الخطبة، وعرض تلك الماشى قريب من متر ويجلس عليها بعض النساء الفقيرات يبعن الحبوب للحجاج ليقدموها إلى حمام الحمى الذي يوجد بكثرة في المسجد ولونه أزرق غامق به نقط رمادية وخطوط سود وهو مطوق بالخضرة الحمرة، والقواط مسطرة عليه تصطاده، وكذلك يوجد بالمسجد طير الأبايل كما يسميه المكيون — وهو أشبه بما نسميه عصفور الجنة — وهذه الطيور لا تنفر من الحجاج لأن الله كتب لها الأمن في حرمة كما كتبه للناس (انظر الرسم ٨٧) تجد الحمام وهو يلتقط الحب .

وللمسجد خمسة وعشرون باباً، منها بالشمال ثمانية أبواب وبالشرق خمسة وبالجنوب سبعة والغرب خمسة، من هذه ستة أبواب صغيرة (خوخت) والباقي

أبواب كبيرة منها ذو الفتحة والفتحتين والثلاث والخمس ، وفي المسجد سبع منارات في كل زاوية منارة ، وثنان في الشمال وواحدة في الشرق .

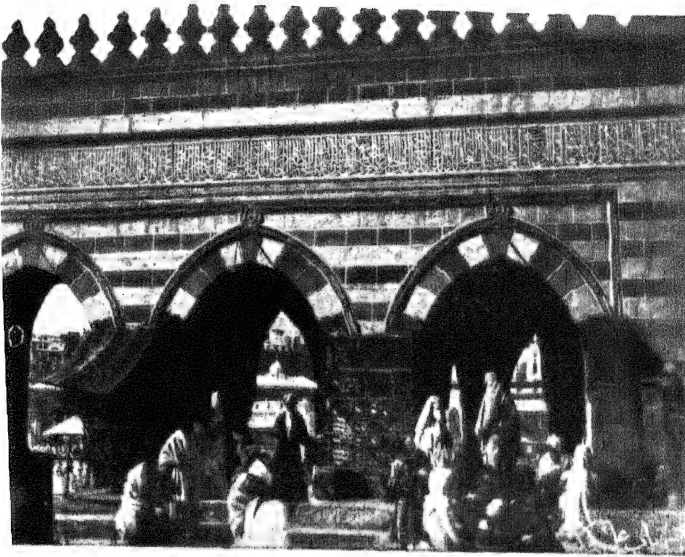
أبواب المسجد الحرام ووصفها

في الشرق : (١) باب السلام — ويعرف بباب بنى شيبة وبباب بنى عبد شمس وهو ذو فتحات ثلاث ، وكتب عليه ما يأتي : أمر بإنشاء هذا البيت الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمود خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أرخان بن السلطان عثمان خان ، وكتابة ذلك في سنة ٩٣١ هـ . وهي منقوشة على الحجر الأبيض ، وهذا الباب يدخل منه الحجاج لأداء طواف القدوم .

(٢) باب قايتباي — وهو خوخة ولا سلم له .

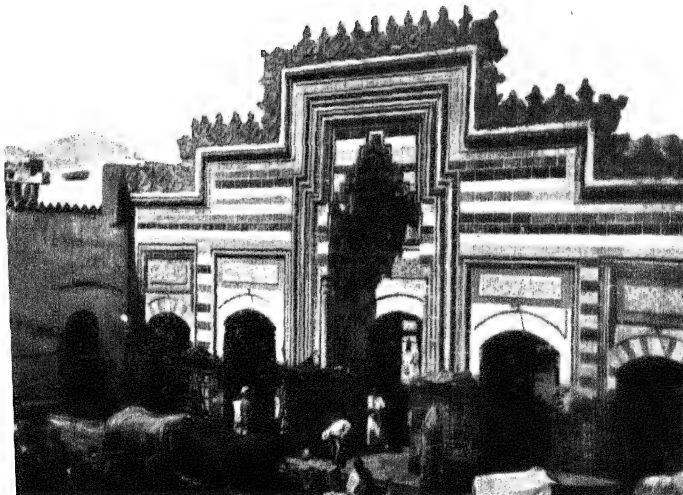
(٣) باب الجنائز — سمي بذلك لأن الجنائز تخرج منه في الغالب الى مقبرة المعلى ، وذكر الأزرقي : أنه باب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج منه ويدخل الى منزله دار خديجة رضى الله عنها في زقاق العطارين ، ولهذا الباب فتحتان وينزل منه الى مستوى المسجد بثلاث عشرة درجة ارتفاع الدرجة ربع المتر .

(٤) باب العباس بن عبد المطلب — سمي بذلك لأنه يقابل داره بالمسعى وسماه ابن الحاج في منسكه باب الجنائز ولعل ذلك لأنه كان يصلى فيه على الجنائز ، وهذا الباب ذو فتحات ثلاث للدخول منها ، وله إحدى عشرة درجة ومكتوب على يسار الداخل منه على الحائط بخط الثالث الجميل (الله . محمد . أبو بكر . عمر . عثمان) رضوان الله عليهم أجمعين سنة ١٢٩٩ هـ . وفوق ذلك كتب بالخط الثلث الدقيق (قد وقع هذا الانشاء الشريف بإشارة السلطان الأعظم السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان أيد الله ملكه سنة ٩٨٨ هـ) .



88. Door of Aly in Mecca Mosque.

مذاب الصفا بالحرم المكي



89. View of the door of El Safa at Mecca.

(٥) باب على — ويعرف بباب بنى هاشم ، قال الأزرقى : وباب البطحاء أيضا وفيه ثلاث فتحات وارتفاعه عن أرض المسجد ١٣ درجة ارتفاع الواحدة منها ٢٨ سنتيمترا وعليه كتابة جميلة للسلطان مراد سنة ٩٨٤ هـ . (انظر الرسم ٨٨ الذى أستعمرناه من خليل افندى قازانلى المصور بالمدينة) .

وبالجهة الجنوبية : (١) باب بازان — سمي بذلك لأن عين مكة المعروفة ببازان قربه — كل محل ينزل اليه بدرج ويكون مستطيلا يسمى بازان — قاله جمال الدين محمد بن محمد نور الدين فى كتابه الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف — وسماه الأزرقى باب بنى عائد ويسمى الآن أيضا باب القره قول (المخفر) لأنه أمامه ، وهذا الباب ذو فتحتين ، وله ١٣ درجة ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُؤُفُّونَ أَلِنًا وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ سنة ٩٨٤ هـ . للسلطان مراد بن السلطان سليم خان .

(٢) باب البغلة — وهو ذو فتحتين قال الفاسى : ولم أدر ما سبب هذه الشهرة ، وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان ، وله إحدى عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَانْظُرْ إِلَىٰ آثارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُخْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ صدق الله العظيم . والحمد لله رب العالمين . وذلك بالخط الثلث .

(٣) باب الصفا — سمي بذلك لأنه على الصفا وعرفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم وكذا عرفه الأزرقى وهو ذو خمس فتحات أو طاقات أو أبواب وله أربع عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَارِ اللَّهِ فَسَنَ حَجَّ أَلْبَيْتٍ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (انظر الرسم ٨٩) وترى فيه أقباصا تحفظ فيها أحذية الداخلين .

(٤) باب إحياء الصغير — كذا سماه ابن جبير وسماه أيضا باب الخلفين ولا يعرف السبب في هذا وسماه الأزرق أيضا باب بنى مخزوم وهذا الباب له طاقان وينزل منه الى المسجد بتسع درجات .

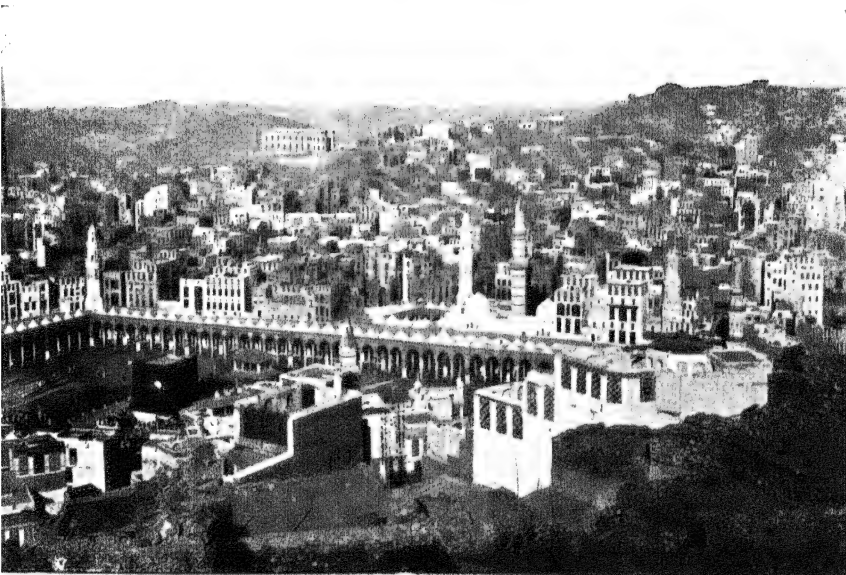
(٥) باب المجاهدية — وأطلق ذلك عليه لأن عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن كذا عرّفه الفاسى ويقال له : باب الرحمة ولم يعرف سبب هذه التسمية (انظر الرسم ٧٤) ، وذكر الأزرق : أنه من أبواب بنى مخزوم فتلك أبواب ثلاثة متجاورة يطلق على كل منها باب بنى مخزوم لكونهم كانوا ساكنين بتلك الجهة .

(٦) باب مدرسة الشريف عجلان — سمي بذلك لأنها بجانبه كذا عرّفه الفاسى وعرفه الفاسى بباب بنى تيم ويقال له : باب التكية لأن أمامه التكية المصرية وله فتحتان وينزل منه الى أرض المسجد بأحد عشر سلما ، ومكتوب عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الْأَصْفَانِ الْإِخْيَادَ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

(٧) باب أم هانئ — بنت أبي طالب وبذلك عرّفه الأزرق وذكر الفاسى أنه يسمى بباب الملاعبة لأنه بجذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعنى في زمنه ، وعرفه الأفشهرى بباب الفرج ويطلق عليه الآن باب الحميدية (دار الحكومة التركية) لأنها أمامه وأشهر أسمائه الأسم الأول لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانئ زوج هيرة بن عمرو المخزومي ، وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر في المسجد في زيادة المهدي الثانية ، وحفر المهدي عوضها بئرا عند باب الوداع (الحزورة) ولهذا الباب منفذان أو طاقتان وله سلم ١٢ درجة ينزل منه الى أرض



90. The Great Mosque at Mecca as seen from Ibrahim's Mausoleum.



91. The Northern Western view of the Mosque of Mecca.

المسجد الحرام ، ومكتوب عليه باللون الأصفر بالخط الثلث الجميل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝ ۰

وبالجانب الغربي : (١) باب الحزورة — قال الفاسي : المصحف الآن بباب عزورة والحزورة أسم لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان ودخلت في المسجد الحرام عند توسعته ويسمى باب البقالية ، قال الأزرقى : ويقال له باب بنى حكيم بن خزام وبنى الزبير بن العوام ، والغالب عليه باب الخزامية لأنه يلي خط الخزامية ، ويقال له الآن : باب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم ، ولهذا الباب فتحتان وسلم من الداخل ذو درجات عشر وعليه بين البابين تاريخ للملك الناصر فرج بن السلطان الشهيد الظاهر أبو سعيد برقوق سنة ٨٠٤ هـ . ومكتوب على الباب يا مبدئ يا معيد . ﴿ إِنَّ الَّذِي قَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ۝ ۰ ﴾ إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۝ ۰

(٢) باب إبراهيم — قال الفاسي : وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب كان خياطاً بحاس عنده على ما قيل كما ذكره البكري في كتاب المسالك والممالك ، وإن العوام نسبوه إليه . ووقع للخافظ أبي القاسم بن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له اهـ . وهذا الباب في الزيادة التي في هذا الجانب ، وهو ذو فتحة واحدة كبيرة وهو أكبر أبواب المسجد ، ومكتوب على يمين هذا الباب ﴿ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وعلى اليسار « أمر بعمارة هذا الباب المعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى » بدون تاريخ ، انظر داخل المسجد الحرام من جهة باب إبراهيم في (الرسم ٩٠) الذى ترى فيه قباب المسجد وشرافته .

(٣) باب صغير — بمدرسة الشريف عبد المطلب .

(٤) باب الداودية — صغير أيضا وله ١٣ سلما .

(٥) باب العمرة — وسمى بذلك لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون ويدخلون منه في الغالب وسماه الأزرق باب بنى سهم ، وهو ذو طاق واحد ويتزل منه الى مستوى المسجد بثنتي عشرة درجة .

وفي الجانب الشمالى : (١) باب عمرو بن العاص — ويقال له : باب السدة لكونه سد ثم فتح ، ويقال له : الباب العتيق ، وهو ذو فتحة واحدة صغيرة ويعلو أرض المسجد بنحس عشرة درجة .

(٢) باب الزمامية — وهو باب صغير ذو فتحة واحدة وله تسع درجاء تصل بك الى أرض المسجد .

(٣) باب العجلة — لكونه عند دار العجلة ولا يدرى ما هذه العجلة ، ويقال له باب الباسطية لأنه مجاور لمدرسة عبد الباسط وله فتحة واحدة واثننا عشرة درجة .

(٤) باب القطبي — ويقال له : باب الزيادة لكونه غربى الزيادة التى فى شمالى المسجد ، وهو ذو فتحة واحدة وله ١٣ درجة .

(٥) باب سويقة — وهو فى صدر زيادة دار الندوة أى فى شمالها ، ويعرف الآن بباب الزيادة ، وكان يقال هذا على باب القطبي ، ولباب سويقة ثلاث فتحات ويتزل منه الى أرض المسجد بثلاث عشرة درجة .

(٦) باب المحكمة — وهو صغير ذو فتحة واحدة ولا سلم له .

(٧) باب الكتبخانة — ويقال له : باب المدرسة ذو فتحة واحدة .

(٨) باب دريبة — وهو فى الطرف الشمالى الشرقى وذو فتحة واحدة .

مآذن المسجد الحرام — له سبع مآذن : (الأولى) مئذنة باب العمرة فى ركن المسجد الشمالى الغربى ، وقد بناها المنصور العباسى فى عمارته للمسجد سنة ١٣٩ هـ .

وجدها وزير صاحب الموصل سنة ٥٥١ هـ . وأصلحت في سنة ٨٤٣ هـ .
 في ولاية السلطان جقمق ، وفي سنة ٩٣١ هـ . أمر السلطان سايمان بهدم هذه
 المنارة وإعادة بنائها محكما ، (الثانية) مئذنة باب السلام عمرها المهدي العباسي
 سنة ١٦٨ هـ . (الثالثة) مئذنة باب عليّ عمرها المهدي أيضا في التاريخ السالف ،
 وجددت بالحجر الأصفر في عمارة السلطان سليمان للمسجد . (الرابعة) مئذنة باب
 الخزورة (باب الوداع) عمرها المهدي أيضا ، ثم عمرت زمن الأشرف شعبان صاحب
 مصر ، وكانت سقطت سنة ٧٧١ هـ . فعمرت في السنة التالية . (الخامسة) مئذنة
 باب الزيادة عمرها المعتضد العباسي لما بنى الزيادة سنة ٢٨٤ هـ . ثم جددها
 الأشرف برسبأي في سنة ٨٢٦ هـ . (السادسة) مئذنة قايتباي بالمدرسة المعروفة
 باسمه ، وهي مجاورة لباب السلام على يسار الداخل الى المسجد وقد عمرت في حدود
 سنة ٨٨٠ هـ . (السابعة) مئذنة السلجانية في المدرسة المعروفة باسمها ، وكل هذه
 المآذن حصلت فيها زيادات وترميمات في العمارة الكبيرة التي قام بها السلطان سليم
 الثاني وأبوه في المسجد كما ستقف على ذلك بعد ، وكذلك رمت في سنة ١٠٧٢ هـ .
 على يد سليمان بك والى جدة والحرم من قبل السلطان محمد كزلار الأغا وكل هذه
 المآذن يؤذن عليها الآن في الأوقات الخمس وشيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن على قبة
 زمزم فيتبعه باقي المؤذنين على المآذن ومثبت في الحائط الجنوبي لهذه القبة مزولة
 أهداها رجل مراكشي الى المسجد وهي في غاية الضبط والإحكام وعليها ميقاتهم
 في النهار . أنظر في (الرسم ٩١) ست مآذن من السبع .

توسعة المسجد الحرام وعمارته وتاريخ ذلك — ذكر الأزرق والامام
 أبو الحسن الماوردي وغيرهما أن المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
 وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ليس عليه جدار يحيط به ، وكانت الدور محذقة به
 من كل جانب وبين الدور أزقة يدخل منها الناس ، وكانت حدوده حدود المطاف
 الآن وهو على ذلك من عهد إبراهيم عليه السلام ، فلما أن استخلف عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه اشترى دورا هدمها ووسع بها المسجد — وكانت تلك أول زيادة —

وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع من البيع فوضع أثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك ، وقال لهم عمر : إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم تنزل الكعبة عليكم ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطا به دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه فكان عمر أول من اتخذ للمسجد جدارا ووضع له المصابيح ، وذكر القاضي في جامعه : أن أول من استصبح لأهل الطواف عتبة بن الأزرق وكانت داره لاصقة بالمسجد فكان يضع في جداره مصباحا كبيرا يضيء لمن يطوف بالبيت . ولما كان زمن عثمان وكثر الناس اشترى دورا وسع بها المسجد وقد أبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به فقال لهم : إنما جرأكم على حامي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد ثم أسر بهم إلى الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم . وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له وكانت توسعة عمر في سنة ١٧ هـ . وتوسعة عثمان في سنة ٢٦ هـ . وفي سنة ٦٤ هـ . اشترى عبد الله بن الزبير دورا وسع بها المسجد من جانبيه الشرق والجنوب توسعة كبيرة ، ومن جملة ما اشتراه بعض دار الأزرق جد الأزرق صاحب تاريخ مكة وكانت شرق المسجد ، وقد اشترى بعضها هذا ببضعة عشر ألف دينار ، وفي سنة ٧٥ هـ . حج عبد الملك بن مروان وعمر المسجد ولم يزد فيه ولكن رفع جدره وسقفه بالساج ، وجعل في رأس كل أسطوانة ٥٠ مثقالا من الذهب ثم وسعه ابنه الوليد ونقض عمل أبيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وأزّر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفا ، وجعل على رأس الأساطين الذهب على صفائح الشبه من الصفر (الشَّبه والشَّبه نوع من النحاس) وجعل في وجوه الطيقان من أعلاها النسيفساء وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل إليه أساطين الرخام . وفي ولاية زياد بن عبد الله الحارثي على مكة أمره أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس

(١) تفعل حكومتنا مثل هذا . فن أخذت منه شيئا للصاحبة العامة وأبى أخذ ثمنه أودعته خزينة

بزيادة المسجد الحرام فوسعه من جانبه الشمالى ومن جانبه الغربى، ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقا واحدا ، وكان ابتداء عمل ذلك فى المحرم سنة ١٣٧ هـ . والفراغ منه فى ذى الحجة سنة ١٤٠ هـ . وكانت زيادته ضعف ما كان عليه المسجد وقد زينه بالذهب وأنواع النقوش وبني مثذنة بنى سهم . ولما حج المنصور سنة ١٤٠ هـ . رأى حجارة الحجر بادية فأمر عامله زيادا المذكور بتغطيتها بالرخام ليلا حتى اذا أصبح لا يراها إلا مغطاة وقد فعل ما أمر به على السراج قبل أن يصبح الصبح ثم إن المهدي بن أبى جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليمانى ومن الموضع الذى انتهى إليه أبوه فى الجانب الغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم ما عدا الزياتين فانهما أحدثتا بعده كما سيأتى . وكانت عمارة المهدي فى يوبتين الأولى فى سنة ١٦١ هـ . وزاد فيما زاده أبوه رواقين ، والثانية فى سنة ١٦٧ هـ . وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة ١٦٤ هـ . ورأى الكعبة فى شق من المسجد ففكره ذلك وأحب أن تكون فى وسطه ، فدعا المهندسين وشاورهم فى ذلك فقتدروا ذلك فاذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادى والسيل ، وقالوا : إن وادى مكة له سيول قوية العزم ونخشى ان حوّلنا الوادى عن مكانه أن لا يتم لنا ما نريد ، فقال المهدي : لا بد لى من سعة المسجد حتى تكون الكعبة فى وسطه ولو أنفقت فيه جميع ما فى بيوت المال وعظمت نيته فى ذلك وقوى عزمه ، فقتدروا ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل فى المسجد من ذلك وما يبقى فى الوادى ، ثم خرج المهدي الى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد ولم يكمل ذلك إلا فى خلافة أبنه موسى الهادى لمعالجة المنية للمهدي ، وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليمانى وبعض الغربى ، وأنفق المهدي رحمه الله فى ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن الذراع المربع مما دخل فى المسجد الحرام خمسة وعشرين دينارا — اثنى عشر جنيها ونصفا — وثمنه مما دخل فى الوادى خمسة عشر دينارا ، ونقل الى المسجد الحرام أساطين الرخام

من مصر وغيرها في السفن حتى أُنزلت بِمِحْدَةٍ وحملت منها على العجل الى مكة ، قال الأزرقى : ووسع المهندسون باب بنى هاشم الذى يستقبل الوادى وجعلوا إزاءه بابا في الجهة الأخرى يقابل خط الخزامية — وهو باب الخزورة أو البقالين — وقالوا إذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد خرج من ذلك الباب .

وفى خلافة هارون الرشيد عمل أمير مكة عبد الله بن محمد بن عمران الطلحى مظلة للمؤذنين التى على سطح المسجد ليؤذنوا فيها يوم الجمعة وكانوا يؤذنون قبل ذلك فى يومها على سطح المسجد صيفا وشتاء .

ولم يزد فى المسجد الحرام بعد عمارة المهدي سوى زيادة دار الندوة فى الجانب الشامى (الشمالى) وزيادة باب إبراهيم فى الجانب الغربى ، وكان سبب الزيادة الأولى كما فصله الفاسى عن إسحاق الخزاعى أن بعض أهل الخير كتب الى وزير الخليفة المعتضد العباسى يحسن له جعل ما بقى من دار الندوة مسجدا ويقول له : إن هذه مكربة لم تنهأ لأحد من الخلفاء بعد المهدي ، فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيما فأخرجت القمام — جمع قمامة وهى الكئاسة — من دار الندوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير وعمره بأساطين وطاقات وأروقة مستقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها فى جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابا بعقود ستة كبار، تحت كل عقد منها باب سعته خمسة أذرع فى ارتفاع أحد عشر، وبين العقود الكبيرة ستة صغيرة تحت كل عقد باب سعته ذراعان ونصف فى ارتفاع ثمانية أذرع وثلاث ، وجعل فى هذه الزيادة من الخارج ثلاثة أبواب ، بابان طاقان وباب طاق واحد شارعة الى الطريق التى حولها وجعل سقفا مسامتا لسقف المسجد الكبير وبنى فيها مثذنة وشرفا ، وفرغ من ذلك فى ثلاث سنين ، وذرع هذه الزيادة طولا أربعة وستون ذراعا من الشمال الى الجنوب ، وذرعها عرضا من وسط الجدار الشرقى الى وسط الغربى سبعون ذراعا بذراع الحديد . ولم يبين إسحاق الخزاعى السنة التى فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة ولعل ذلك كان فى سنة ٢٨٤ هـ . على مقتضى ما ذكره إسحاق من أن الكتابة الى المعتضد بسبب إنشائها كانت فى سنة ٢٨١ هـ . ثم ذكر

أن القاضي محمد بن موسى لما كان إليه أمر البلد غير الطاقات (الأبواب) التي كانت في جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدوّرة عليها ملاين - كتل خشبية في نهاية الأعمدة ومبدأ العقود - ساج بعقود من الآجر والحص الأبيض ، فوصل الزيادة بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من الأول حتى صار من في دار الندوة من مصلى ومستقبل يرى القبلة كلها وكان ذلك في سنة ٣٠٦ هـ . وقد كانت دار الندوة منزلاً للخلفاء والأمراء في صدر الإسلام إذا حجوا ، ولكن أهمل أمرها في منتصف القرن الثالث فأخذ يتهدم بناؤها وألقيت فيها القمام حتى أضيفت إلى المسجد .

وأما الزيادة التي في الجانب الغربي المعروفة بزيادة باب إبراهيم فنقل القاضي رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجداً ويوصل بالمسجد الكبير ، فعمل على ما هو عليه اليوم فاتسع الناس به وصلوا فيه وكان ذلك سنة ٣٧٦ هـ . والمسق الذي بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون وكان إنشاؤه في حدود سنة ٧٥٩ هـ . أو في السنة التي بعدها ، وطول هذه الزيادة ٥٧ ذراعاً إلا ربعاً وعرضها اثنان وخمسون ذراعاً ورابع .

وفي سنة ٦٤١ هـ . أجرى صاحب اليمن على بن عمر عمارة داخل باب السلام ووقف كثيراً من الكتب للمسجد الحرام . وفي سنة ٧٨١ هـ . أرسل الأمير زين الدين العثماني من مصر مملوكه سودون باشا لعمارة المسجد الحرام وكان مما عمله تحلية الباب والميزاب وتبييض سطح الكعبة .

وفي ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة ٨٠٢ هـ . ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخالص عند باب الحزورة المعروف بباب عزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرام ، فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت النار بسقف المسجد وعمّ الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المتقدمين من الجانب

الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعاً وانتهى الحريق إلى محاذاة باب العجلة وصار ما احترق أكواماً عظيمة تمنع من الصلاة فى موضعها ومن رؤية البيت الشريف ثم من الله بعمارة ذلك فى مدّة يسيرة على يد الأمير يسق الظاهرى ، وكان قدومه لذلك سنة ٨٠٣ هـ . فلما رحل الحاج من مكة شرع فى رفع الأكوام حتى فرغ منها ، ثم ابتدأ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان ، وكان الفراغ من ذلك فى أواخر شعبان سنة ٨٠٤ هـ . وعجب الناس كثيراً من سرعة العمارة فى هذه المدّة لأن من رأى ذلك قبل العمارة يقطع بأن هذه العمارة إنما تم فى مدّة سنتين باعتبار العادة فى العمارات ، فسهل الله فراغها فى تلك المدّة وجعلت الأساطين فى الجانب الغربى كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامى ما خلا أساطين يسيرة فى مقدمه فانها رخام مكسر ملصق بالحديد ، ولم يبق من ذلك محتاجاً للعمارة إلا سقف الجانب الغربى وما أخرجه عن إتمام ذلك إلا فقده خشب الساج ولو وجدته لأتم ذلك قبل موسم سنة ٨٠٤ هـ . ولما كان المحرم مفتتح شهور سنة ٨٠٧ هـ . قدم الى مكة الأمير يسق فأخذ يجمع الخشب ويعده للسقف ثم وضعه فى محاله بسرعة ، وكان ذلك الخشب من العرعر جىء به من الطائف الى مكة ، وقد عمر فى تلك السنة مواضع من المسجد كانت متشعبة وسقوفا فيه ونقشه وكان ذلك فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق . وفى هذه السنة عمرت سقاية العباس بالبحر وكانت بالخشب عمرها الجواد الأصهبانى وزير صاحب الموصل .

وفى سنة ٨١٥ هـ . عمرت أماكن بالمسجد ، وفى سقفه وكان القائم بذلك قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة من مال تطوع به أهل الخير .

وقد كثر بعد ذلك الخلل والتشعب فى جدر المسجد وعمده وأبوابه وسقفه فقيض الله لإصلاح ذلك الأمير زين الدين مقبلاً القديدى موفداً من قبل ملك مصر وصاحبها الأشرف برسباى ، فقام بعمارة كبيرة فى كل المسجد فأقام عشرات العقود وجدّد كثيراً من أبواب المسجد وعمرت سقفه وطلبت بالنورة وكان ذلك فى سنتى ٢٥ و ٢٦ بعد الثمانمائة .

وفي سنة ٨٤٢ هـ . عمر الأمير سيدوم سقف المسجد ، وفي سنة ٨٥٢ هـ .
رم بعض أماكنه بـيرم خواجه ناظر الحرمين من قبل السلطان چقمق .

وفي سنة ٧٧٨ هـ . عمر السلطان الغورى باب إبراهيم لجعل له عقدا بعد أن
لم يكن ، وجعل في أعلاه قصرا وفي جانبيه سكنين وبيوتا تغل بالكراء وبني ميساة
خارج باب إبراهيم .

وفي سنة ٩٧٩ هـ . صدر أمر السلطان سليم خان ببناء المسجد الحرام على
أكمل درجات الاتقان وأن يعتاض عن السقف بقبب دائرية وأرسل الى سان باشا
صاحب مصر ليعث من يقوم بهذا العمل من الكبار ، فعين الباشا أحمد بك فكان
تعييننا صادف أهله فإنه طبع على حب الخير وعدم الاكتراث بالدنيا وشدة العطف
على الفقراء ، وقد وصل مكة سلخ ذى الحجة سنة ٩٧٩ هـ . ومعه الإجازات السلطانية
بمباشرة البناء على أن يكون تحت إشراف القاضى حسين مدبر المملكة الحسنية وسفير
الأقطار المجازية ، واستصحب أحمد بك شيخ المهندسين بمصر المعلم محمد المصرى ،
وقد بدأ بالهدم يتلوه التعمير من باب السلام وكان ذلك فى الرابع عشر من ربيع الأول
سنة ٩٨٠ هـ . ولم يزل يبنى على الشكل الذى نراه الآن حتى أتم الجانين الشرق
واليمانى . وقد أتى نعى السلطان سليم خان وتولية ابنه السلطان مراد ، وورد منه أمر
لأحمد بك بأن يستمر فى عمارة المسجد ويستتجزه الا تمام ، بخد جدّه فى العمارة حتى
أتم المسجد فى أواخر سنة ٩٨٤ هـ . فكان نزهة الناظر وجلاء الخاطر وبلغ ما أنفق
فى هذه العمارة ١١٠٠٠٠ دينار (٥٥٠٠٠٠ جنيه تقريبا) ومائة ألف من الذهب
الإبريز ، وذلك عدا ما وصل من مصر من مواد البناء مثل الخشب والحديد وأهلة
القباب المطالية بالذهب ، وهذا الشكل هو الذى تراه بالمسجد الى يومنا هذا وقد
وصفناه لك قبلا .

وفى هذه العمارة خفض العمال أرض الشارع الموصل الى المسفلة بحيث صار
يصرف ماعساه يدخل الى المسجد من مياه السيول التى كثيرا ما كانت سببا فى نقض

أركانه وهدم بنيانه وقد رُم المسجد الحرام في سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جدة وشيخ المسجد الحرام بمال زوده به سلطان مصر محمد كزلار الأعا .

هذا وقد كانت الزيادات التي تُتخلف من الدور التي دخلت في تربع المسجد في كل عماراته يبنى بعضها مدارس وبعضها أروقة يسكن فيها فقراء طلبه العلم في المسجد، وكان لها أوقاف جمّة ولكن كثيرا ما تغيرت أوقافها واستبدل بها غيرها أو خرجت من يد واقف الى يد آخر أقوى منه ، ومن ذلك مدرسة قايتباي التي لا تزال لآن على يسار الداخل الى المسجد من باب السلام فانها بعد أن كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها شيئا فشيئا فنقلوها من دار علم الى دار ضيافة كان ينزل فيها أمراء الحج المصري ثم سار يسكنها بعض أشرف بنى غالب .

مقام ابراهيم عليه السلام — (١) ما المراد به . قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقال تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره اختلف أهل التأويل في مقام ابراهيم فقال بعضهم : مقامه هو الحج كله (أى مشاعره)، وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعطاء، وقال آخرون : مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار، وحكى ذلك عن هؤلاء الثلاثة أيضا، وقال آخرون : مقام ابراهيم الحجر الذى قام عليه ابراهيم حين ارتفع بناؤه وضعف عن رفع الحجارة وأسندته الى ابن عباس، وقالت طائفة رابعة : بل مقام ابراهيم هو مقامه المعروف في المسجد الحرام وعزا ذلك الى قتادة وعمار والسدى، ثم قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون إن مقام ابراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذى هو في المسجد الحرام، لما روينا عن عمر بن الخطاب أنه قال : قلت يا رسول الله ! لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ولما حدثنا يوسف بن سليمان قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا

ثم تقدم الى مقام ابراهيم فقرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين ، فهذان الخبران يثبتان أن الله تعالى ذكره إنما عني بمقام ابراهيم الذى أمرنا الله باتخاذ مصلى هو الذى وصفنا ، ولو لم يكن على صحة ما اخترنا فى تأويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الواجب فيه من القول ما قلنا ، وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتى ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له ، ولا شك أن المعروف فى الناس بمقام ابراهيم هو المصلى الذى فيه قال الله تعالى ذكره ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقد روى الخبرين اللذين ذكرهما ابن جرير البخارى فى صحيحه الأول فى كتاب التفسير والثانى فى كتاب الحج ونرى أن الآية صريحة فى أن المصلى بعض من المقام أى موضع التيام والحجر لا يصلح أن يكون مصلى لصغره فالمقام مكان غيره أكبر منه ولعل الحجر المعروف الآن بمقام ابراهيم كان موضوعا فى مكان قيامه علامة عليه .

(٢) قياس المقام — (الحجر) وتحليله . قال القاضى عز الدين بن جماعة :

حررت لما كنت مجاورا بمكة سنة ٧٥٣ هـ . مقدار ارتفاع المقام عن الأرض فكان $\frac{7}{8}$ الذراع ، وأعلى المقام مربع من كل جهة $\frac{3}{4}$ الذراع ، وموضع غوص القدمين ملبس بالفضة ، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش المستعمل فى مصر . اهـ .

وأول ما حلّى المقام فى خلافة المهدي العباسى لأنه رفع فانشئ لرخاوة حجره ، فكتب الحجة الى المهدي يعرفونه بذلك وأنهم يخشون عليه أن يتفتت ، فبعث المهدي فى سنة ١٦١ هـ . بألف دينار أو أكثر فضببوا بذلك المقام من أعلاه وأسفله ، فلما كان فى خلافة المتوكل زاد فى تضبيب المقام سنة ٢٣٦ هـ . ومقدار ما زاده ٨٠٠٠ مثقال من الذهب و ٧٠٠٠٠ درهم من الفضة وكان ذلك فوق حليته الأولى ثم أن جعفر بن الفضل تامل مكة ومحمد بن حاتم قلعا حلية المتوكل وضرباها دنائير ليستعينا بها على ما قيل فى حرب إسماعيل بن يوسف العلوى الذى خرج وأفسد بمكة والحجاز فى سنة ٢٥١ هـ . ولم تزل حلية المهدي على المقام الى أن قلعت عنه

في محرم سنة ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه لأن الحجبة ذكروا لعامل مكة علي بن الحسن العباسي أن المقام وهي وتسالت أحجاره ويخشى عليه ، وسألوه في تجديد عمله وتضييبه حتى يشتد أجابهم لسؤالهم وزادهم ذهباً وفضة الى حلته الأولى ، فعمل له طوقان من ذهب فيهما ١٩٩٢ مثقال ، وطوق من فضة ، وأحضر المقام الى دار الإمارة وأديت له العقاقير بالربق وشد بها شداً جيداً حتى التصق ، وكان قبل ذلك سبع قطع زال عنها الالتصاق لما قلعت الحلية عنه سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه ، وكان الذي شدّه بيده في هذه السنة بشر الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسي وحمل المقام بعد لصقه وتركيب الحلية عليه لشده الى موضعه وكان ذلك في يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ٢٥٦ هـ .

(٣) موضع المقام والمصلى خلفه — قال التقي القاسي : روى الأزرق

— توفي سنة ٢١٧ هـ — عن ابن أبي مليكة أن موضع المقام الآن هو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفيين بعده إلا أن السيل — سيل أم نهشل سنة ١٧ هـ — ذهب به في خلافة عمر رضى الله عنه فجعل في وجه الكعبة — الجهة الشرقية التي فيها الباب — حتى قدم عمر فردّه الى مكانه بمحضر من الصحابة . ونقل المحب الطبري عن مالك في مدوّنته أنه قال : كان المقام في عهد ابراهيم عليه السلام في مكانه اليوم وكانت أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السيل ، فكان كذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، فلما ولي عمر ردّه بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حتى أخروه ، قال التقي القاسي : وهذا يخالف قول الأزرق وحديث جابر الصحيح ، ثم قال بعد كلام طويل : فيتحصل فيمن ردّه الى موضعه الآن — سنة ٨١٢ هـ — ثلاثة أقوال : أحدها أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، والثاني أنه عمر ، والثالث أنه غيرهما ، ثم قال : موضع المقام الآن هو موضعه في عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف أعلمه في ذلك ، وأما الخلاف في موضعه اليوم هل هو

موضعه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن أبي مليكة أو لا كما قال مالك ، ثم قال وكان ردّ عمر للمقام الى موضعه هذا لما غيره عنه السيل سنة ١٧ هـ .

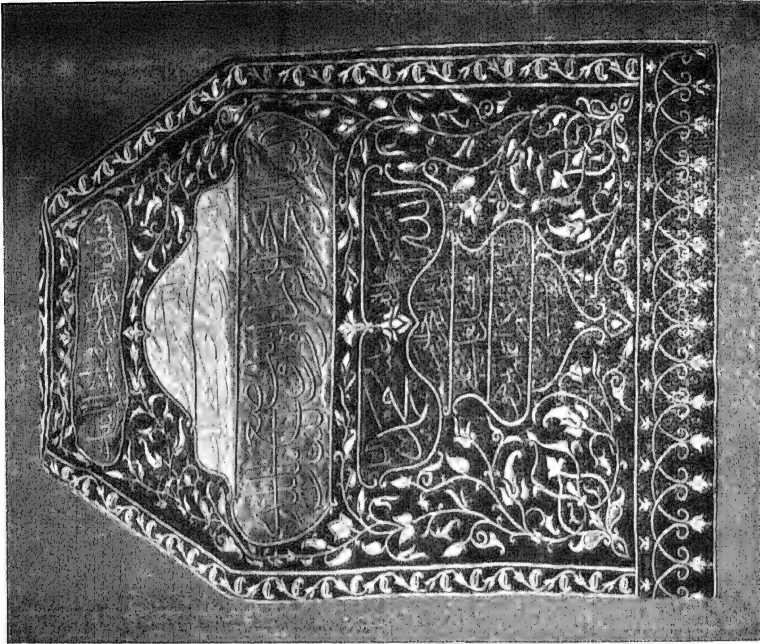
قال التقي الفاسي : المقام الآن تحت قبة عالية من خشب قائمة على أربعة أعمدة دقيقة من حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد بين كل عمودين شباك ، ومن الجهة الشرقية يدخل الى المقام ، والقبة مزخرفة من باطنها بالذهب ، ومما يلي السماء مبيضة بالنورة ، وأما المصلى الذي هو خلف المقام فعليه ظلة قائمة على أربعة أعمدة منها عمودان عليهما القبة إذ هي متصلة بالقبة ، والظلة مزخرف سقفها من الباطن بالذهب ومبيض من أعلاه بالنورة ، وأحدث وقت صنع فيه ذلك شهر رجب سنة ٨١٠ هـ . واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه بسبب هذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر مكتوب في الشباك الشرقي بسبب عمارته له سنة ٧٢٨ هـ . ومقام ابراهيم في وسط القبة بين شبابيكها الأربعة الحديدية ، ويحيط بالمقام قبة من الحديد — مقصورة — مثبتة في الأرض برصاص مصبوب بحيث لا يستطيع قلع القبة التي فوقه إلا بالمعاول وشبهها ، ولعل هذه القبة الحديدية هي التي كانت توضع فوقه عند قدوم الحاج الى مكة صونا له لكونها أشدّ تحملا للازدحام والاستلام على ما ذكر ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٩ هـ . وقد ذكر ما يدل على أن المقام لم يكن ثابتا بل كان تارة يجعل في الكعبة وتارة في موضعه الآن في قبة من خشب ، فاذا كان الموسم أبدل بها القبة الحديدية ، قال التقي الفاسي وما عرفت متى جعل المقام ثابتا في القبة على صفته التي هو عليها الآن ، وأما القبة التي فوق القبة الحديدية التي في جوفها المقام فاطن أن الملك المسعود صاحب ايمن ومكة أول من بناها . اهـ .

وقد جددت قبة المقام في سنة ٩٠٠ هـ . وكذلك في سنة ١٠٤٩ هـ . ونقشها بالذهب في سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جدّة ومكة من قبل سلطان مصر محمد

كرلار ، وقد رأيت مكتوبا على القبة من الجهة الجنوبية « أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير الى الله تعالى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر فأنصوه الغورى عز نصره في ١٥ شهر رجب الفرد سنة ٩٠٠ هـ . ومكتوبا عليها في الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة « أمر بتجديد هذا المقام المعظم سيدنا ومولانا السلطان المظفر سليم خان بن السلطان بايزيد خان — وعلى الجهة الشمالية بقية أجداده — سنة ١٠٤٩ هـ » . وقد قست المسافة بين المقصورة التي على المقام وجدار الكعبة الذى فيه الباب من الوسط فاذا هى ١٥٤٠ مترا، ودخلت المقصورة مع المطوف فوضع من ماء زمزم على أثر القدمين وشربنا منه فى حجتنا هذه سنة ١٣١٨ هـ . وكان خليقا بى وبالمطوف أن نتجنب التبرك بالآثار والشرب من مواطئ الاقدام وأن ندع هذه البدعة جانبا ولا نفعل عند هذا الأثر سوى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة عنده أمثالاً لأمر الله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ولكنى كنت فى هذا الوقت لما تتضج معلوماتى الدينية فى الحج ومشاعره ولم أكن وقفت تمام الوقوف على تأثير البدع السيئ فى الدين ، وقد دعانى الإنصاف الى ذكر الواقع ودعانى البصر بالدين الى انكار ما حصل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ .

وقد رسمت المقام فى حجتى سنة ١٣٢٥ هـ . وهو الذى تراه فى (الرسم ٣٣) بجوار الكعبة والمنبر ، وبالتأمل فى الرسم تجد فى كل جهة شباكين وترى فى وسط المقام القبة . وفى (الرسم ٩٣) الجانب الأمامى من كسوة المقام التى تصنعها مصر ، وفى الجدول الآتى ما سطر على كسوة المقام :

رَسْمُ كِنُوزِ مَمَّا اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

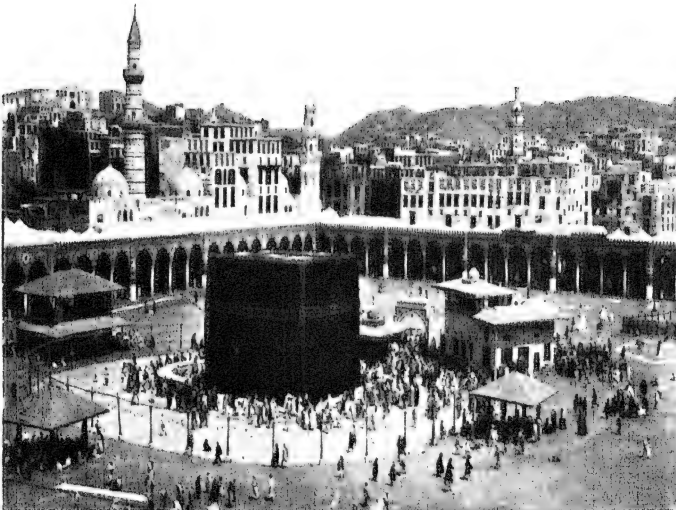


53. The Carpet on Ibrahim's mausoleum.

هَذَا السُّجْدَةُ الَّتِي فِيهَا رَسْمُ كِنُوزِ مَمَّا اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي سَطْحِ الْمَسْجِدِ الْكَبِيرِ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ

رَسْمُ كِنُوزِ مَمَّا اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ



92. The Northern-Eastern view of the Kaaba and the Praying Places of the four caliphs in the Mosque of Mecca.

ما سطر على كسوة مقام إبراهيم عليه السلام

الوجه الرابع	الوجه الثالث	الوجه الثاني	الوجه الأول
للمؤمنين والمؤمنات الكافين والركع السجود	وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن ظهورا بتي	مناية الناس وأما واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى	بسم الله الرحمن الرحيم . وإن جعلنا البيت
واعلم أن الله عزير حكيم . صدق الله ربنا وخالفنا العزيز الرحيم	إليك ثم اجعل على كل جبل منين جزاء ثم ادعوهن يا أيهاكم سميا	قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمنن قلبي قال غدا أربعة من الظاهر فصرهن	بسم الله الرحمن الرحيم . وإن قال إبراهيم
إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين	دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع	ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن	بسم الله الرحمن الرحيم . إن أول بيت
حسن رضى الله عنه حسين رضى الله عنه	عنان رضى الله عنه على رضى الله عنه	أبو بكر رضى الله عنه عمر رضى الله عنه	الله جل جلاله . محمد صلى الله عليه وسلم
ابن السلطان	السلطان محمد خان الخامس ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان	بسم الله الرحمن الرحيم هو الذي أرسل رسوله بالهدى	بسم الله الرحمن الرحيم قل كل يعمل على
أحمد خان خلد الله خلافته	ابن السلطان محمود خان بن السلطان عبد المجيد خان	ودين الحق يظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا	شاكلته فربكم أعلم بن هو
ونهاية الدوران سنة ١٣٢٧ هـ			أهدى سبيلا

المقامات الأربع أو مواقف الأئمة في الصلوات المفروضة

قال التقي الفاسي في كتابه شفاء الغرام :

مقام الشافعي خلف مقام إبراهيم بينه وبين جدار الكعبة الشرقي - ٣٩ ذراعا بذراع الحديد وبينه وبين الأسطوانتين المؤخرتين من سباط مقام إبراهيم - ٩٠ أذرع - وأقول إن هذا المقام لا وجود له الآن وإمام الشافعية يصلي في مقام إبراهيم أو على سطح زمزم قال : ومقام الحنفي بين جدار محرابه الى وسط جدار الحجر ٣١ ذراعا ، ومن جدار محرابه الى حد حاشية المطاف - ١٠ أذرع بالعتبة ، وعرض العتبة نصف ذراع وقيراطان ، ومقام المالكي من جدار محرابه الى وسط جدار الكعبة الغربي ٣٧ ذراعا ومن جدار المحراب الى حاشية المطاف بالعتبة - ١٠ أذرع ، ومقام الحنبلي من جدار المحراب الى الحجر الأسود في الجنوب ٢٧ ذراعا بعتبة الحاشية « ذراع الحديد - ٥٦ سنتيا كما سيأتي بيانه » .

(١) مقام الحنفي قال التقي الفاسي : في أواخر سنة ٨٠١ هـ . وأوائل سنة ٨٠٢ هـ . بنى مقام السادة الحنفية وهو قائم على أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف ، وأعلاه مما يلي السماء مطلى بالنورة وبين الأسطوانتين المقتدتين محراب مرخم ، ثم قال : وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكوري الشافعي وألف في ذلك تأليفا حسنا ، والشيخ سراج الدين البلقيني وولده جلال الدين قاضي القضاة بالديار المصرية وكذلك القضاة وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة ، ورسم ولى الأمر بهدمه فعارض في ذلك بعض ذوى الهوى فلم يتم الأمر ، وسبب الإنكار ما حصل من شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من إفساد أهل اللهوفيه لأجل سترته لهم ، وسبب المعارضة أن بعض علماء الحنفية إذ ذاك أفتى بجواز بقائه لما فيه من تظليل المسلمين من الحر ووقايتهم من البرد والمطر ، وحكمه في ذلك حكم الأروقة والأساطين التي في المسجد ، وفي سنة ٨٣٦ هـ . كشف الأمير سودون

المحمدي سقف المقام المذكور وعمره وزخرفته أحسن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة خشب مبيضة ترى من فوق ولا أثر لها داخل المقام، وفرش فيه حجارة حمراء من حجر الماء ثم جدد مرارا بعد ذلك، وآخر مرة في سنة ٩١٧ هـ واستقر على ذلك الى سنة ٩٢٤ هـ. فلما حج الأمير مصالح الدين الرومي في موسم سنة ٩٢٣ هـ بدا له أن يهدمه فهدمه في مفتح سنة ٩٢٤ هـ. وجعله قبة كبيرة شاحخة على أربع بتر (قوائم مبنية) عراض جدًا بأربعة عقود، وكل ذلك عمل بحجر الماء المنحوت ذي اللون الأحمر فالأصفر، وهذا الحجر يؤتى به من جهة الحديبية ويقال له: الشميسي، وزاد في طول المقام وعرضه وانتهى بحرابه الى إفريز حاشية المطاف وبقيت هذه القبة حتى سنة ٩٤٩ هـ. فأمر بهدمها السلطان لأنها أخذت ببناء كبيراً من المسجد، فنفذ الأمر الأمير خشقلدي نائب جدّة ومباشر العماير السلطانية فهدم هذه القبة في أوائل شهر رجب سنة ٩٣٩ هـ. ثم شرع في بناء مقام عظيم للحنفية، وشكله أربع بتر جميلة في الأركان أخذت من أنقاض القبة الأولى وهي من حجر الماء، وستة أعمدة مثمثة من حجر الصوان كل عمود قطعة واحدة، فمن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين وآخران بين المؤخرتين وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة وآخرين البترتين من جهة باب السلام مقابل للأول، وعلى ذلك عشرة عقود لطاف، وعلى ذلك سقف مزخرف من خشب الساج مصنوع صناعة ظريفة، وفوق هذا السقف ظلة للبلغين بأربع بتر، وستة أعمدة ألطف من الأعمدة التحتية وعلى شكلها في الوضع، وعلى جميعها سقف مزخرف فوقه جملي (جملون) غطى بالرصاص لدفع المطر وفي وسط السقف الأول طاقة يرى المبلغ منها الإمام، وفي المقام سلم جميل يصعد عليه المبلغ الى الظلة في أوقات المكتوبة وقد أتم هذا البناء في ١٣ رمضان من السنة المذكورة، وفي سنة ٩٧٤ هـ رخم مقام الحنفية بأمر السلطان أحمد خان، وفي سنة ١٠١٠ هـ رخم محراب هذا المقام وفي سنة ١٠٧٢ هـ بنى سليمان بك والي جدّة وشيخ الحرم وناظر عمارته من قبل السلطان محمد كزلار الأغا — المقام الحنفى بالحجر الصوان المنحوت وبالحجر الأصفر وصفح أعلى سقفه بالرصاص المطلى

بالذهب ، وجعل عليه رصافتين طليتا بالذهب كما جعل أمامه أربع رصافيات مطلية بالذهب ونقش نقوشا جميلة بماء الذهب والأصباغ البديعة انظر (الرسم ٩٢) وفيه ترى الجهة الشمالية والشرقية من المسجد والكعبة في وسط الصحن ، والذي في يسار الرسم مقام الحنفى ذو الطبقتين ومقام المالكي ثم أعمدة المطاف ثم الحجر على شكل نصف دائرة بجوار الكعبة ، والذي على يمينها مقام إبراهيم فالقبة فباب بنى شعبة فزمرم عليها قبة أيضا ، ويلاصقها سقاية العباس ، والذي في جنوب السقاية مقام الحنبلى .

(٢ و ٣ و ٤) مقامات الشافعى والمالكي والحنبلى . عمر الأمير يسبق هذه المقامات الثلاث فى سنة ٨٠٧ هـ . وكان كل مقام منها عبارة عن بترتين عليهما عقد لطيف فى أعلاه ثلاث شراريف وفيه خشبة معترضة علقت فيها الخطاطيف للقناديل ، وبين البترتين من أسفل جدار لطيف بنى من حجارة ونورة فيه محراب لإمام الشافعى فانه لا محراب فيه ، قال الفاسى فى كتابه شفاء الغرام : وقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب ولكن هذا الأصل لم يوجد بعد الفاسى ولا عثر عليه قال ابن ظهيرة فى كتابه الجامع اللطيف : مقام الشافعى كذلك الى يومنا هذا ، وأما مقام المالكي والحنبل فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد سنة ٩٣٠ هـ . بأحسن مما كانا عليه فى أيام السلطان سليمان خان ، قال : ووصفهما الآن كل مقام بأربع أساطين مئمة الشكل ، كل أسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكي ، وتحت كل أسطوانة قاعدة منحوته بتربيع وتمين ، وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان فوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف فوقه أخشاب بهيئة جملى (جملون) عليها صفائح الرصاص لدفع المطر ، وفى كل مقام محراب فيما بين الأسطوانتين المتقدمتين الى جهة القبلة ، وهما كذلك الى هذا التاريخ وكان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجى الرومى ، وفى سنة ٩٧٤ هـ . رمت المقامات الثلاث بأمر السلطان أحمد خان .

وفي سنة ١٠٧٢ هـ . نقشت الثلاثة بماء الذهب والأصباغ الجميلة وذلك بأمر سليمان بك والى جدّة السابق ذكره، وكذلك جعل في أعلى كل مقام منها رصافية مطلية بالذهب وأمام كل منها ثلاث كذلك .

كيفية الصلاة في المقامات الأربع — قال ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف : أما كيفية الصلاة فانهم في زماننا — منتصف القرن العاشر — يصلون مرتين الشافعي في مقام الخليل عليه السلام ، ثم إمام الحنفية بعده في مقامه ، ثم إمام المالكية بعده في مقامه ، ثم إمام الحنبلية بعدهم في مقامه ، وهذا في الفجر والظهر والعصر والعشاء ؛ وأما في صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريبا يصلي الحنفى والشافعى في وقت واحد فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنهى ذلك الى مولانا السلطان سليمان فبرز أمره بالنظر في ذلك وإزالة هذا التخليط ، فاجتمع القضاة والأمير على بك نائب جدّه في الحطيم وقضوا بأن يتقدّم الحنفى في صلاة المغرب وعند التشهد يدخل إمام الشافعى وكان هذا في حدود سنة ٩٣١ هـ . واستمر الى وقتنا هذا — عام ٩٤٩ هـ — بخرى الله الساعى في ذلك خيرا ؛ وأما المالكى والحنبلى فلا يصلون المغرب أئمة فيما أدركناه ؛ وأما كيفية الصلاة فيما تقدّم من الزمان فكانوا يصلون مرتين كما في الأربع الفروض المتقدمة إلا أن المالكى كان يصلى قبل الحنفى مدة ، ثم تقدّم عليه الحنفى بعد سنة ٧٩٠ هـ . ونقل الفاسى عن ابن جبير أنه اضطرب كلامه في الحنفى والحنبلى ، لأنه ذكر ما يقتضى أن كلا منهما كان يصلى قبل الآخر ، أما صلاة المغرب فكان الأئمة الأربعة يصلونها جميعا في وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كبير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الجركسى صاحب مصر فبرز أمره في موسم سنة ٨١١ هـ . بأن إمام الشافعية بالمسجد الحرام يصلى المغرب وحده فنفسذ أمره بذلك ، واستمر الى أن تولى الملك المؤيد صاحب

مصر فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا فنفذوا ذلك في ليلة السادس من ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ . وكذلك يجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعي على صلاة العشاء في رمضان ويجتمع الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة بالمسجد الحرام في صلاة التراويح ويحصل بسبب اجتماعهم التشويش على المصلين الذي كان يقع دائماً في صلاة المغرب وأعظم لكثرة الأئمة .

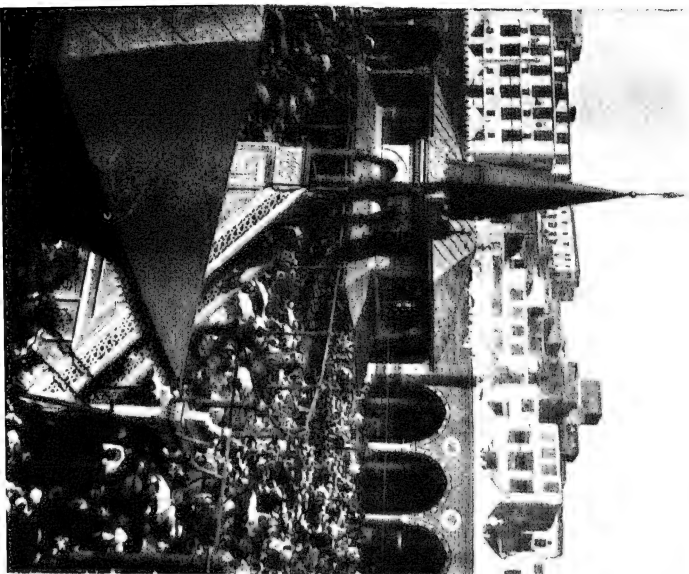
هذا وقد أنكر العلماء من كل المذاهب تعدد لأئمة في الصلوات الخمس ، واستشنعوا ذلك خصوصاً في صلاة المغرب إذ يصلي الكل دفعة واحدة أنظر (شفاء الغرام) أ.أ. في وقتنا هذا (سنة ١٣١٨ هـ) . فالحنفي يتدئ بالصلاة في جميع الأوقات ويتلوه المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي إلا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعي ويتأخر بها عنهم الحنفي .

وأما الوقت الذي حدث فيه تعدد الأئمة في الصلوات المفروضة فقال القاسمي : لم أعرفه تحقيقاً ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا مع الشافعي في سنة ٤٩٧ هـ . وأن الحنبلي لم يكن في ذلك الوقت وإنما كان إمام الزيدية ، ثم قال : ووجدت ما يدل على أن إمام الحنبلية كان موجوداً في عشر الأربعين وخمسمائة راجع الرسالة التي كتبها الشيخ جمال الدين القاسمي في بدعة تعدد الأئمة .

منبر المسجد الحرام — كان الخطباء من الخلفاء والولاة يخطبون بالمسجد الحرام يوم الجمعة قياماً على الأرض في وجه الكعبة وفي الحجر حتى كانت سنة ٤٤٤ هـ . إذ قدم معاوية بن أبي سفيان من الشام حاجاً وصحبته منبر من خشب ذو درجات ثلاث خطب عليه بالمسجد الحرام وتركه وكان كلما تحرب عمر ، ولم يزل يخطب عليه حتى حج هارون الرشيد فأهدى له عامله على مصر موسى بن عيسى منبراً من خشب ذا درجات تسع ونقش بديع ، فكان منبر المسجد ونقل الأول الى عرفة ، ثم أمر الوائق العباسي بعمل منبر للمسجد وأنزلني وثالث لعرفة ولما حج المتصربن المتوكل العباسي في خلافة أبيه جعل له منبر عظيم فخطب عليه بمكة ثم خرج وخلفه بها

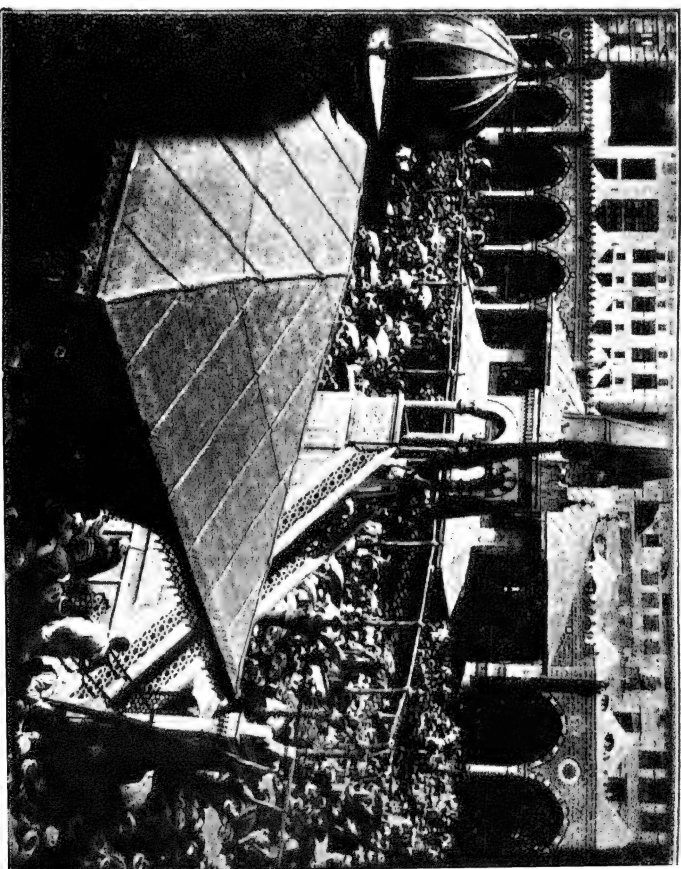
منظر الخليفة يولي على المنبر في صلاة الجمعة بجزء من مكة

صحة ٢٠٣



المنبر بالمسجد الحرام والحجاج مجتمعون لصلاة الجمعة

صحة ٢٠٣



44. The praecher in the Pulpit during Friday Prays at Mecca Mosque.



95. The pulpit of the Mosque of Mecca 1325 A. H.

وجعل للمسجد بعد ذلك عدّة منابر؛ فمن ذلك منبر عمله وزير المقتدى العباسي وأرسله من بغداد وكان منقوشا عليه بالذهب « لا إله إلا الله محمد رسول الله الإمام المقتدى بالله أمير المؤمنين » وقد بلغت نفقاته ألف دينار (٥٠٠ جنيه) ولما وصل الى مكة أحرقه المصريون ولم يبد اعتراضا على ذلك أمير مكة محمد بن جعفر، وأول من قطع الخطبة للملوك مصر وخطب للملوك بنى العباس بعد أن قطعت الخطبة لهم نحو مائة سنة وأبى أهل مصر إلا أن تكون الخطبة للمستنصر العبيدي صاحب مصر فخطب له . ثم كان بعد ذلك يخطب حيناً لبنى العباس وحيناً للملوك مصر يقدم منهم من يجزل له العطاء ، وكانت عادة الخطباء بمكة أن تكيّل الشاء للملوك كيلاً من ذلك ما كان يقال لذلك الكامل في الخطبة (صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزائر ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين) . ومنها منبر عمل في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر في سنة ٧٦٦ هـ . وقد أصلح مراراً ، قال التقي الفاسي هو باق يخطب عليه الآن — سنة ٨١٥ هـ . وما حوالها — ومنها منبر حسن أنفذه الملك المؤيد صاحب مصر في موسم سنة ٨١٨ هـ . وخطب عليه في سابع ذي الحجة وهجرت الخطبة على الذي قبله، وفي السنة السابقة أرسل شيخو صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه في يوم التروية .

وفي سنة ٨٦٦ هـ . أرسل الملك الناصر « خوشقدم » صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه بالمسجد في ثاني ذي الحجة من السنة المذكورة ، وفي سنة ٨٧٧ هـ . أرسل الملك الأشرف قايتباي الظاهري منبرا من خشب خطب عليه في أول ذي الحجة سنة ٨٨١ هـ . وفي سنة ٩٦٦ هـ . بعث السلطان سليمان خان بالمنبر الرخام القائم الآن بفناء المسجد وهو آية في الاحكام ودقة الصناعة ودليل على ما للصناع من البراعة، وتراه في (الرسم ٩٤) كاملا، وفي (الرسم ٩٥) إذا دقت النظر رأيت الخطيب على المنبر يلبس جبة وقباء (قفطانا) وقد لف على صدره مع رأسه « شالا » .

وقد كتب على المنبر من جهة الكعبة « الحمد لله رب العالمين قد بنى سليمان منبرا
لبلد أمين » وعلى الجهة المقابلة لها « إنه من سليمان وإنه بسم الله صدق الله جل
اسمه سنة ٩٦٦ هـ . » وقد أרך القاضي صلاح الدين بن ظهيرة القرشي المكي سنة
ورود هذا المنبر بقوله :

شيد الله ملك من * أسبغ الله ظله
وبأم القرى لقد * ضاعف الله نزله
إن ذا المنبر الذى * قدحوى الحسن كله
هاك تاريخه الذى * شهد الخلق فضله
لسليمان منبر * بالدعا شاهد له

سنة ٩٦٦ هـ

وأول خطبة خطبت عليه خطبة عيد الفطر قالها السيد أبو حامد التجارى ،
وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ١٠٢٠ هـ . شرع فى تركيب هلال المنبر
الذى أرسله السلطان وكان أعلى المنبر مبنيًا بالأجر فهدم ذلك وجعل له ألواح ركبت
فيها الفضة المطلية بالذهب .

وقد كان الخطباء إذا أرادوا الخطبة فى المسجد وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة
بين الركن الأسود والركن اليمانى ، فإذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر أولا ،
ثم دعا وصعد المنبر ، وبعد الخطبة كان ينقل المنبر الى مكانه بجوار زمزم ، فلما
أهدى السلطان سليمان الى المسجد الحرام منبره المذكور بقى مكانه واستمرت الخطبة
عليه الى اليوم ، وترى فى (الرسم ٩٦) الستارة التى تسدل على باب المنبر وهى من صنع
مصر .

والعادة الآن بل ومن قديم الزمان أنه اذا أراد الخطيب أن يخطب للجمعة يقبل
بين شخصين من الأغوات يتهدى بينهما بيد كل منهما راية ، ثم يعمد الى الحجر
الأسود فيقبله ويدعو عنده ، ثم يقصد الى المنبر بين الأغوين وأمامه شخص يضرب
بالفرقة — عود به جلد رقيق — فى الهواء فيسمع من فى داخل المسجد وخارجه

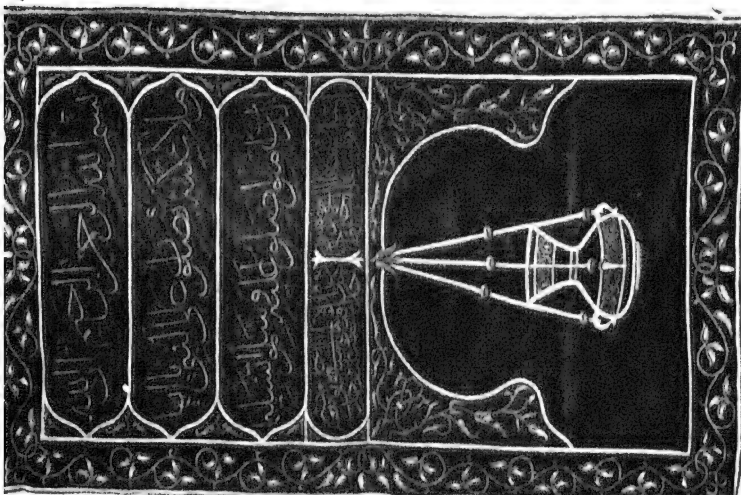
صلاه اجمع حول الكعبة المشرفة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل مكة منتهى الحج والعمرة
وجعل الكعبة المشرفة بيتاً للناس كافة
و جعل حرمها حراماً على الكافرين والمنافقين
و جعل من حوله مناراً للهدى ونوراً للبين
و جعل من حوله مناراً للهدى ونوراً للبين

97. Pilgrims attending the Friday Prayers round the Kaaba.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل مكة منتهى الحج والعمرة
وجعل الكعبة المشرفة بيتاً للناس كافة
و جعل حرمها حراماً على الكافرين والمنافقين
و جعل من حوله مناراً للهدى ونوراً للبين
و جعل من حوله مناراً للهدى ونوراً للبين



96. A view of the curtain of the door of the pulpit in the Mosque of Mecca.

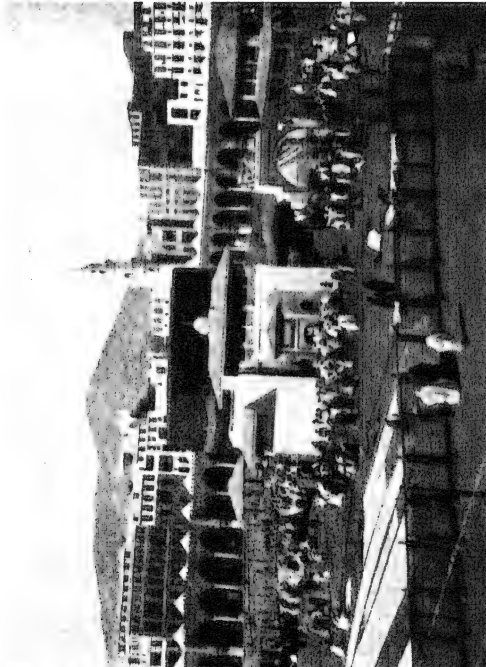
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل مكة منتهى الحج والعمرة
وجعل الكعبة المشرفة بيتاً للناس كافة
و جعل حرمها حراماً على الكافرين والمنافقين
و جعل من حوله مناراً للهدى ونوراً للبين
و جعل من حوله مناراً للهدى ونوراً للبين

صلوة الجمعة حول الكعبة المشرفة



98. A view of the Friday Prayer in the Mosque of Mecca in El Hegga in 1325.

عَنْ الطَّبَّاعِ وَابْنِ الْحَيْثَمِ وَالْأَوَّلَانِ هُمَا ابْنُ أَبِي حَتْمٍ وَابْنُ مَجْرُورٍ



99. A view of Zamzam with the pilgrims drinking from it.

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
 ١٣٢١

صوتها الشديد، ويقصد بذلك إعلام الناس بخروج الخطيب، فإذا ما كان على باب المنبر ناوله شخص هنالك سيفاً وثبتت الرايتان بجانب المنبر، فإذا ما رقى الدرجة الأولى ضربها بسيفه ضربة مسمعة، وكذلك يفعل في الدرجة الثانية والثالثة، فإذا ما وصل إلى العليا فعل بها كذلك ثم يدعو بدعاء خفي ويسلم على الناس يمينا وشمالا فيرددون عليه، ثم يأخذ المؤذنون على ظهر زمزم في الأذان الثاني وبعد الفراغ منه يشرع في الخطبة ومما يقوله فيها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بأصبعه إلى الكعبة ويدعو للخلفاء الأربعة وعمى النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وجدتهما وكذلك يدعو للخليفة وأمير مكة وإذا فرغ من الخطبة صلى وانصرف بجانبه حاملا الرايتين وبين يديه المفرق يعلم الناس بانتهاء الخطبة والصلاة (يَسْرِعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) ويرى في (الرسم ٩٧) الناس وهم يصلون الجمعة بالمسجد الحرام في ذى الحجة سنة ١٣٢٠ هـ . والذي على يمين الكعبة مقام إبراهيم فباب بني شيبه فزمزم والسقاية — السقاية الآن مخزن لأدوات المسجد — وفي (الرسم ٩٨) منظر صلاة الجمعة في ذى الحجة سنة ١٣٢٥ هـ .

بئر زمزم — هذه البئر تقع جنوب مقام إبراهيم بحيث إن الزاوية الشمالية الغربية من البناء القائم عليها محاذية للحجر الأسود على بعد ١٨ مترا منه، وماؤها طعمه قيسونى والبناء القائم عليها مربع من الداخل طول ضلعه ٥,٢٥ أمتار وهو مفروش بالرخام . وهذا البناء طبقتان : في الأولى منهما خدمة البئر، وفي الثانية خدمة من الخصيآن (الأغوات) ويصعدا إليه من يريد الاستحمام على سلم من الخشب انظر (الرسم ٩٢) تجد بناء زمزم في شرقيه داخل المسجد . ويرى في (الرسم ٩٩) بناء زمزم والحجاج يدخلون إليه يستقون .

وهي بئر قديمة العهد ترجع الى زمن إسماعيل عليه السلام، فان أمه هاجر لها نزلت به في مكان البيت وطمع ولدها إسماعيل طلبت الماء فلم تجده فجاء جبريل عليه السلام وبحث الأرض بعقبه ، في رواية غمزها بعقبه — وكنتاهما في صحيح

البخارى — فنبع الماء على وجه الأرض ، فكان ذلك نشأة زمزم ، وأدارت هاجر عليه حوضا خيفة أن يفوتها الماء قبل أن تملاً قربتها ، قالوا : ولو تركته لكانت زمزم عينا تجرى على وجه الأرض — على ماورد في الصحيح — وذكر الفاكهي ما يدل على أن ابراهيم عليه السلام حفر بئر زمزم بعد أن نبعت العين . وإذ ذاك بدأت عمارة مكة ولم يكن لأحد فيها قبل ذلك قرار فسكنتها قبيلة جرهم رغبة في ماؤها ، وقد غلب ذو القرنين إبراهيم على زمزم ردحا من الزمن ومازال ماؤها يتنفع به سكان مكة حتى استخفت جرهم بحجرة الكعبة وحرماها فدرس موضعه حتى صار لا يعرف ، وقيل إن جرهما طمست البئر حين نفيت من مكة ، ولما كان زمن عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم أرى في المنام مكان زمزم فاستبانها وحفرها قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد مدة طويلة أخذ ماؤها يتل حتى كاد ينقطع في سنة ٢٢٣ هـ . لأن البئر أهملت وهدم كثير من جوانبها فأخذ رجل من أهل الطائف يقال له محمد بن بشير يعمل فيها . قال الأزرقي : وقد صليت في قعرها وفيه ثلاث عيون : عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفاء وعين حذاء المروة ، قال : وكان ذرع غورها من أعلاها الى أسفلها ٦٩ ذراعا ، منها ٤٠ مبنية و ٢٩ نقر في الجبل من أسفلها ، قال التقي القاسي : وقد قيس بمحضورى ارتفاع فم البئر عن سطح الأرض وقطره ومحيطه فكان الارتفاع ذراعين إلا ربعا والقطر أربعة ونصفا والمحيط خمسة عشر ذراعا إلا قيراطين ، وذلك بذراع الحديد ٥٦ ١/٢ سنتيا — قال التقي القاسي : — أوائل القرن التاسع — وزمزم الآن داخل بيت مربع في جدرانها تسعة أحواض للماء تملا من بئر زمزم ليتوضأ الناس منها ، وفي الحائط المقابل للكعبة شبابيك ، وفوق هذا البيت ظلة للؤذين ولم أدر من أقام ذلك على هذه الصفة ، ثم ذكر أنه في سنة ٨٢٢ هـ . أجرى إصلاح كبير بل عمارة جديدة في هذا البيت وأحواضه والظلة التي فوقه للؤذين وأن ذلك كان على نفقة الجنب العالى الكبير الشيخ على بن محمد بن عبد الكريم الجيلاني نزيل مكة .

وفي سنة ٩٣٣ هـ . عمل لدائرييت زمزم طراز مذهب وكتب فيه اسم مولانا السلطان الملك المظفر سليمان نخبه آل عثمان .

وفي سنة ٩٤٨ هـ . جدد بيت زمزم على يد الأمير خشقلدى فرنخت أرضه وجعل عليه سقف فوقه مظلة مسقوفة بالخشب المنحرف عليه جملى (جمالون) في وسطه قبة مصفحة بالرصاص .

وفي سنة ١٠٢٠ هـ . وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من الحديد بداخل البئر ومنخفضة عن سطح الماء بمتر ، لأن بعضا من المجاذيب كانوا يلقون أنفسهم فيها ليموتوا فداء حسب تصورهم وتجد الآن — ١٣١٨ هـ — مكتوبا على الشباك الشمالى من جهة الباب « ماء زمزم شفاء من كل داء » « آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتصلعون من زمزم »^(٢) السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ . وتجد مكتوبا على بابها ما يأتى :

سرور لسلطان البسيطة والورا * عبد الحميد البر بحجر المكارم
ونصر له أيضا وفتح ورفعة * بتعمير هذا المآثر المتقادم
حفيرة ابراهيم يوم أبى هاجر * وركضة جبريل على عهد آدم

وعلى الشباك القبلى « ماء زمزم لما شرب له »^(٣) لا يجمع ماء زمزم ونار جهنم في جوف عبدة » (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ) .

وقد ورد كثير من الأحاديث في فضل ماء زمزم ، فمن ذلك ما رواه الطبرانى في معجمه بسند رجاله ثقات . وفي صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم » وذكر البخارى في صحيحه : أنه لما شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم غسل بماء زمزم

(١) رواه الديلمى في مسند الفردوس وهو حديث ضعيف . (٢) رواد الحكم وابن ماحه

والبحارى في تاريخه . (٣) رواه أحمد في مسنده والبيهقى في سننه وشعبة وابن أبى شيبة عن جابر بن

عبد الله بن عمرو . (٤) لم نر من نخرج هذا الحديث .

قال العلامة ابن القيم في كتابه زاد المعاد في باب الطب : ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمنا عند الناس ، وهو هزيمة جبريل وسقيا اسماعيل وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر : وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما طعام طعم » وزاد غير مسلم بإسناده وشفاء سقم وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر ، وقد رويانا عن عبد الله بن المبارك أنه لما حج أتى زمزم فقال : اللهم إن ابن أبي الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » فإنى أشربه لظما يوم القيامة وابن أبي الموالى ثقة ، فالحديث اذا حسن وقد صححه بعضهم وجعله بعضهم موضوعا ، وكلا القولين فيه مجازفة ، وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة وأستشفيت به من عدة أمراض فبرأت باذن الله وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرنى أنه ربما بقى عليه أربعين يوما وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارا ، انتهى كلامه فليس في الاستشفاء به مطعن لا من جهة الحديث ولا من جهة الطب وما الطب إلا التجارب ، وقد جرت عادة الناس بنقل هذا الماء إلى الجهات البائية تبركا به ، قال التقي الفاسي : والأصل في جواز نقله ما رويناه في جامع اترمذى عن عائشة رضى الله عنها أنها حملت من ماء زمزم في القوارير ، وقالت : حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأداوى والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم ، ورويناه في شعب الايمان للبيهقي وفي سننه وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .